جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا



الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي
(648 - 922 هـ /1250 - 1517م)

إعداد

نـــافـــذ محمد عبد ربه الشوامرة

إشراف

الدكتور شوكت رمضان حجة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ المملوكي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل

الكوارث الطبيعية في بلاد الشام
وآثارها في العصر المملوكي
(648 - 922 هـ /1250 - 1517م)

The natural disasters and their effect inCham during Mumluki age

إعداد

نـــافـــذ محمد عبد ربه الشوامرة

نوقشت هذه الرسالة يوم الثلاثاء، بتاريخ 2012/9/11م، الموافق 24 شوال 1433هـ
وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1. د. شوكت رمضان حجة	مشرفاً ورئيساً	....
2. د . محمد الحروب	عضواً خارجياً	....
3 . أ.د. خلقي خنفر	عضواً داخلياً	....

المختصرات والرموز

ت : توفى .

ج : جزء .

د.ت : دون تاريخ نشر .

د.م : دون مكان نشر .

ط : طبعة .

ص: صفحة .

ع : عدد .

ق : قسم .

م : ميلادي .

مج : مجلد .

هـ :هجري .

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه

إلى

والدي الكريمين .... أطال الله عمرهما

زوجتي التي ساندتني وعانت معي الكثير

أولادي

محمد ــــــ إبراهيم ــــــ شذى ــــــ يوسف ــــــ آدم ــــــ إلياس

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى

الدكتور شوكت رمضان حجة المشرف على هذه الدراسة، الذي قدم لي النصح في اختيار موضوع الدراسة، وأمدني بغالبية مصادر ومراجع الدراسة، وأرشدني ووجهني لإخراج الدراسة إلى النور .

الأستاذ الدكتور خلقي حنفر......والدكتور محمد الحروب...... والدكتور عبد القادر الجبارين..... والدكتور محمد العلامي ..... والدكتور ياسر أبو عليان......والدكتور حسن عبد الهادي.

فايز الشوامرة وأمين الشوامرة اللذين بذلا جهداً في تدقيق الدراسة ، ولؤي الشوامر الذي ساعدني في الوصول إلى العديد من المصادر والمراجع.

موظفي مكتبة جامعة الخليل، ومكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة جامعة اليرموك وأخص بالذكر الأستاذ جمال فودة، وموظفي مكتبة بلدية الخليل.

وإلى كل من ساهم في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود.

المحتويات

الموضوع..**الصفحة**

الرموز...ب

الإهداء..ج

الشكر والتقدير...د

المحتويات...هـ

ملخص باللغة العربية...ط

المقدمة...ك

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية.....................................**1 ـ 43**

أولاً: الزلازل...1 ـ 6

ثانياً: كوارث المناخ..**6 ـ 32**

1 ـ السيول...6ـ 12

2 ـ الفيضانات (الزيادة)..12 ـ 13

3 ـ الأمطار الغزيرة..13 ـ 16

4 ـ الثلوج..16 ـ19

5 ـ البَرَ د...19 ـ21

6 ـ الصقيع والبرد..21 ـ 23

7 ـ الرياح والعواصف...23 ـ 27

8 ـ الصواعق..27 ـ 28

9 ـ الزوابع..28

10 ـ القحط والجفاف...28 ـ 32

ثالثاً: الآفات الزراعية...**32 ـ 36**

1 ـ الجراد...32 ـ 35

2 ـ الفئران..35 ـ 36

رابعاً: **الطواعين والأوبئة**..**36 ـ 43**

1 ـ الطواعين...36 ـ 42

2 ـ الأمراض والأوبئة الأخرى..**42 ـ 43**

أ ـ الوخم...42 ـ 43

ب ـ الحميات (الحمى)..43

ج ـ الجدري والجرب..43

د ـ السعال والزكام...43
الفصل الثاني:آثار الكوارث الطبيعية على الناحية الاقتصادية والبيئة.......44 ـ89
أولاً: الزراعة...44 ـ 68
1 ـ تلف المحاصيل الزراعية وارتفاع أسعارها.......................................44 ـ 60
2 ـ نفوق الحيوانات وارتفاع أسعارها...60 ـ 68
3- انجراف الأراضي الزراعية والصخور...68 ـ 69
ثانياً: الصناعة:...70 ـ 84
1- المنتوجات المصنعة من المحاصيل الزراعية....................................70 ـ 79
ـ الدقيق والخبز:...70 ـ72
ـ التبن: 72-73
ـ السكر:... 73
ـ الدبس:...73 ـ 74
ـ الحلاوة:...74
ـ زيت الزيتون والسيرج:..74 ـ 76
ـ السفرجل المجفف:...76
ـ الزبيب:..77
ـ الحطب والفحم:..77-78
2- المنتوجات المصنعة من الثروة الحيوانية..78 ـ 80
- اللبن والجُبْن: ....78 ـ 79
- السمن:...79
3 ـ الأقمشة والملابس:...79 ـ 80
4 ـ الأدوية والعقاقير:... 81
5- موت الحرفيين والمهنيين:..82ـ 84
ثالثاً: التجارة:...84 ـ 89
1ـ تهدم الأسواق وإغلاقها:...84 ـ 87
2 ـ تعطيل الطرق التجارية:..87 ـ 89
الفصل الثالث: آثار الكوارث الطبيعية على الناحية السياسية، ودور الدولة في معالجتها:.. 90 ـ 118
أولاً: انعدام الأمن وحدوث الثورات والفتن:.....................................90 ـ 97
ثانياً: أثرها على العساكر المملوكية وحركة الجهاد:............................ 97 ـ 106

ثالثاً: دور الدولة في مكافحة الكوارث الطبيعية: ....106 ــ 118
1 ــ الزلازل والصواعق:...107 ــ 108
2 ــ السيول:...108 ــ 110
3 ــ الفيضانات:... 110
4 ــ الثلوج:..110
5 ــ القحط والجفاف وقلة المياه:..110 ــ 115
6 ــ الآفات الزراعية:...115 ــ 116
7 ــ الأوبئة والطواعين: ....116 ــ 118
الفصل الرابع :آثار الكوارث الطبيعية على الناحية الاجتماعية.......................119 ــ 152
أولاً: انتشار الجريمة الاجتماعية..120 ــ 127
1 ــ حوادث القتل.. 120-121
2 ــ انتشار السرقة..121 ــ 124
3 ــ انتشار ظاهرة الغش...124 ــ 125
4 ــ انتشار ظاهرة الدجل والخرافات.......................................125 ــ 126
5ــ انتشار التسول..126 ــ 127
ثانياً: **انتشار الفقر والمجاعات**..127 ــ 133
ثالثاً: **حدوث الخوف والفزع**.. 133 ــ 135
رابعاً: **تعطل الاحتفالات العامة والمناسبات الدينية**................................135 ــ 137
خامساً: **هجرة السكان ووفياتهم وتأثيرها في الناحية السكانية (الديمغرافية)**........137 ــ 152
أ ــ هجرة السكان..137 ــ 142
ب ــ وفيات السكان..142 ــ 149
سادساً : **دور العامة في مكافحة الكوارث الطبيعية**................................149 ــ 152
الفصل الخامس:آثار الكوارث الطبيعية على الناحية الدينية،والعمرانية..153 ــ182
أولاً: آثار الكوارث الطبيعية على الناحية الدينية:..................................154 ــ 168
1ــ تعطيل الصلوات والعبادات في المساجد:..154 ــ 155
2ــ تعطيل فريضة الحج:...155 ــ 158
3 ــ توجه الناس نحو العبادات والتوبة وعمل الخير:.................................158 ــ 164
4 ــ هدم المنشآت الدينية:...164 ــ 168
أ ــ هدم المساجد والمآذن والقباب:...164 ــ 166
ب - هدم الكنائس:..166

ج- هدم المدارس: 168-167
ثانياً: آثار الكوارث الطبيعية في الناحية العمرانية:................................. 168 ـ 182
1ـ هدم الحصون والقلاع والأسوار والجسور والبوابات:.......................... 168 ـ 171
2- تخريب الأبراج والأسواق والحوانيت:................................. 171 ـ 174
3 ـ هدم المنشآت العامة والخاصة:.. 174 ـ 182
أ ـ هدم المنازل:... 174 ـ 179
ب ـ هدم القصور والدور "المؤسسات الحكومية":.. 179
ج ـ هدم الحمامات:.. 179-180
د ـ هدم الطواحين والأفران:.. 180
هـ ـ هدم الخانات:.. 181
وـ هدم البيمارستانات:... 181 ـ 182
الخاتمة.. 183 ـ 186
الملاحق.. 187-197
قائمة المصادر والمراجع... 198-233
أولاً: المخطوطات.. 199-200
ثانياً: المصادر والمراجع العربية... 200-227
ثالثاً: الرسائل الجامعية.. 227-229
رابعاً: الدوريات.. 229-231
خامساً: المصادر والمراجع الأجنبية.. 231-233
- المعربة.. 231-233
- المراجع غير المعربة.. 233
ملخص باللغة الإنجليزية.. 234

ملخص باللغة العربية

تناولت هذه الدراسة الكوارث الطبيعية والآثار التي نجمت عنها في بلاد الشام فترة العصر المملوكي (648 ـ 923هـ /1250ـ 1517م).

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى أنواع الكوارث الطبيعية التي عصفت ببلاد الـشام في عصر دولة المماليك، وتوضيح الآثار التي ترتبت على حدوثها، ومدى تأثيرها في مخـتلف نواحي الحياة.

تناولت الدراسة في الفصل الأول الكوارث الطبيعية المختلفة، كالزلازل، وكوارث المناخ السيول، والأمطار،والثلوج، والبرد، والصقيع، والجفاف، والرياح والزوابع، والصواعق، وظهور الآفات الزراعية من جراد، وفئران، وجنادب؛ بالإضافة إلى تفشي الأوبئة والطواعين، وجاءت مرتبةً زمنيًا من الأقدم إلى الأحدث.

وتعرضت في الفصل الثاني إلى آثار الكوارث الطبيعية على الناحية الاقتصادية، لاعتماد الفلاح الشامي في معيشته وتوفير معظم احتياجاته الحياتية على الزراعة، والصناعة، والتجارة.

وتحدثت الدراسة في الفصل الثالث عن الدور الذي لعبته الكوارث الطبيعية في عدم استقرار الناحية السياسية، كانعدام الأمن، وحدوث الاضطرابات، والفتن، واستغلال قطاع الطرق وأعداء الدولة المملوكية فترة حدوثها للاعتداء على سيادتها من أجل تنفيذ مخططاتهم، وإلى جانب ذلك تناولت الدراسة دور السلطنة المملوكية في تقديم المساعدات العينية، والنقدية للسكان المتضررين وإعمار المنشآت العمرانية التي تعرضت للتدمير والخراب بفعل الكوارث الطبيعية.

وفي الفصل الرابع تطرقت الدراسة إلى مدى تأثير الكوارث الطبيعية في انتشار الأمراض الاجتماعية، كظاهرة القتل، والتسول، والغش، والدجل، والخرافات، والمتغيرات التي أحدثتها على سلوكيات، وعادات، وتقاليد بعض السكان، وبينت أثرها في هجرة السكان ووفياتهم ومدى تأثير ذلك

في الواقع السكاني "الديمغرافي" لمنطقة بلاد الشام، وكذلك وضحت دور العامة في الدور الذي أبدته إلى جانب السلطنة في مكافحة الكوارث الطبيعية.

ودرست في الفصل الخامس الآثار التي تركتها الكوارث الطبيعية على الناحية الدينية والعمرانية، فمن الناحية الدينية ناقشت الدراسة تأثير الكوارث الطبيعية على تعطيل العبادات في المساجد، وتعطيل قافلة الحاج عن الوصول إلى البلاد الحجازية، والمدى الذي لعبته في توجيه الناس إلى الإكثار من العبادات، وإقبالهم على إعلان التوبة إلى الله، ومن الناحية العمرانية بينت الدراسة تأثير الكوارث الطبيعية على المنشآت العمرانية العامة والخاصة من ناحية التدمير والتخريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

شهدت منطقة بلاد الشام في عصر دولة المماليك حدوث أنواع مختلفة من الكوارث الطبيعية كالزلازل، والسيول والفيضانات، وتساقط الأمطار، والثلوج، وهجمات أسراب الجراد، وظهور الفئران؛ بالإضافة إلى تفشي الأوبئه، والطواعين، وتسببت هذه الكوارث في تراجع الزراعة والصناعة والتجارة، مما أدى إلى تدمير اقتصاد الدولة المملوكية، وكان لحدوثها دور كبير في انعدام الأمن وعدم استقرار الأوضاع السياسية في المنطقة، وترك حدوث بعضها آثاراً بالغة في تدمير وتخريب الكثير من المنشآت العمرانية، مما نتج عنه طمس واندثار الكثير من إنجازات الإنسان الشامي عبر العصور في مجال التراث الحضاري المادي والشعبي.

اختيار الموضوع:

وقد كان لاختيار الباحث هذه الدراسة أسبابه ودوافعه، ومن هذه الدوافع:

1. لفت نظر الباحث افتقار المكتبات العربية إلى عدم وجود دراسة شاملة للكوارث الطبيعية التي ألمت ببلاد الشام فترة العصر المملوكي، فالدراسات التي تناولت البحث في هذا الموضوع اقتصرت في بحثها على ذكر كارثة واحده دون الأخرى، أو دراسة تأثيرها على ناحية واحدة، مثل:رسالة الماجستير للباحث محمد صلاح حمزة، "الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر(491 ــ 923 هـ ــ 1097 ــ 1517م)"، إذ تناولت ذكر الكوارث الطبيعية في العصرين الأيوبي والمملوكي دون التركيز على الآثار التي تركتها على مناحي الحياة، والبحث الذي كتبه الدكتور فيصل حمد "أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي"،تناول فيه الآثار الاقتصادية فقط، وما كتبه الأستاذ الدكتور يوسف غوانمه في بحثه الأول تحت عنوان"الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية" والبحث الثاني بعنوان "الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة جنوب الشام (الأردن وفلسطين)".

2. كان حجم الكوارث الطبيعية وما تركته من آثار مدمرة على الناحية الاقتصادية، والاجتماعية وغيرها من مناحي الحياة سبباً آخر في اختيار موضوع الدراسة، وكذلك لأخذ العبرة من ماضي هذه الكوارث والحيطة والحذر في كيفية التعامل عند حدوثها في الحاضر والمستقبل.

3. وقد كان لتحفيز وتوجيه أستاذي الدكتور شوكت حجة المشرف على هذه الرسالة دور كبير في اختيار موضوع هذه الدراسة.

أهمية الدراسة :

جاءت أهمية هذه الدراسة في كونها تبحث في مجال لم يبحث من قبل، وجاءت كذلك لتعرف القارئ على أبرز الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البشرية والحضارة على حد سواء، والتهديد المستمر الذي شكلته هذه الكوارث على حياة الإنسان وحضارته، وكما تبرز أهميه هذه الدراسة في تزويد ورفد مكتبتنا العربية بدراسة يمكن للباحثين وطلبة العلم الاستفادة من محتوياتها.

الدراسات السابقة :

بدا للباحث من خلال البحث والاطلاع على المصادر والمراجع التاريخية كتابة بعض المؤرخين والدراسات الحديثة لبعض الموضوعات التي تدور حول فلك هذه الدراسة، ومن هذه الدراسات:

الدراسات القديمة:

1. كتاب بذل الطاعون في فضل الماعون لأحمد بن حجر العسقلاني.

2. كتاب تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة لإسماعيل العجلوني .

3. كتاب كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة لعبد الرحمن السيوطي .

4. مخطوط بعنوان ما رواه الواعون في أخبار الطاعون لعبد الرحمن السيوطي.

الدراسات الحديثة:

1. رسالة دكتوراه أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في العصر المملوكي لفيصل حمد

2. رسالة ماجستير الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر(491ـ 923 هـ ـ 1079 ـ 1517م) لمحمد صلاح حمزة.

3. مقال بعنوان الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام "الأردن وفلسطين" ليوسف غوانمة.

4. كتاب الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية، ليوسف غوانمة.

5. مقال بعنوان أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي، لعبد الله الغيم.

6. مقال بعنوان الزلازل في بلاد الشام (من القرن الأول الهجري إلى الثالث عشر الهجري –القرن السابع الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي، لخالد الخالدي .

وجاءت هذه الدراسة بشموليتها مكمله للدراسات سابقة الذكر.

منهجية الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المعلومات من المصادر التاريخية، خاصة المعاصرة للأحداث، ومقارنتها مع بعضها البعض للتاكد من صحتها، ونهج الباحث أسلوب التحليل في الآثار التي تركتها الكوارث الطبيعية على الإنسان وحضارته.

صعوبات الدراسة :

واجهت الباحث في هذه الدراسة صعوبات ومشكلات عدة أهمها :

1. تكرار الحوادث التاريخية عند معظم المؤرخين، ووقوف كثير من المصادر التاريخية على ذكر غالبية الكوارث الطبيعية دون أن تعطي إحصاءات واضحة ومفصلة للآثار التي خلفتها الكوارث.

2. اهتمام معظم المصادر التاريخية في أحداث الكوارث الطبيعية التي حلت في مدينة دمشق كونها نيابة السلطنة، وإهمالها تدوين أحداث الكوارث الطبيعية التي حلت بباقي المدن الشامية.

3. تعد بعثرة المعلومات الخاصة بالكوارث الطبيعية بين ثنايا السطور في المصادر التاريخية من أكثر العقبات التي واجهت البحث.

مصادر الدراسة:

أولا: المخطوطات:

كان لعدد من المخطوطات التاريخية دور في بيان أحداث بعض الكوارث الطبيعية خاصة الأوبئة والطواعين ومن بين هذه المخطوطات:

تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق(ت 902هـ - 1496م)، وتحفه الراغبين في بيان أمر الطواعين للأنصاري (ت925هـ - 1519 م)، وخلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون للبيلوني(ت 1085هـ-1674م)، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون للسيوطي (ت911هـ -1505م).

ثانيا : كتب التاريخ:

ومن أهمها المصادر التي كانت معاصرة لفترة الدراسة، وبلغت أهميتها في تدوين الأحداث حال وقوعها ومن أهمها: كتاب تاريخ البصروي، "للبصروي(ت904هـ/1499م)"، وكتاب التحفه المملوكية في الدولة التركية "لبيبرس المنصوري (ت725هـ/1325م)"، وكتاب أنباء الغمر في أبناء العمر "لابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449م)"، وكتاب تاريخ ابن حجي لابن

حجي(ت815هـ/1412م)، وكتاب دول الإسلام "للذهبي (ت748هـ/1347م)"، وكتاب الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية "لابن صصرى (ت800هـ/1397م)"، وكتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان "لابن طولون(ت953هـ/1546م)"، وكتاب تاريخ ابن قاضي شهبة "لابن قاضي شـــهبة(ت851هـ /1447م)"، وكتاب البداية والنهاية "لابن كثير(ت774هـ/1372م)"، وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب "للنـــويري (ت733هـ/1332م)"، وكتاب السلوك لمعرفة دولة الملوك "للمقريزي (ت845هـ/1441م)".

ثالثا: كتب التراجم:

تأتي أهمية هذه المصادر في أنها نقلت الأحداث المتناثرة المتعلقة بأخبار الشخصيات التي ترجم لها ومعاصرتها لفترة الدراسة ومن أهمها : وكتاب المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (ت874هـ/1469م)، وكتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ت902هـ /1497م)، وكتاب أمراء دمشق في الإسلام للصفدي(ت764 هـ/1363م) وكتاب المقفى الكبير للمقريزي (ت845هـ/1441م)،

رابعا: كتب الجغرافية:

وتأتي أهمية المصادر الجغرافية بتزويد الدراسة في توضيح كثير من البلدان التي وقعت فيها كثير من الكوارث الطبيعية ومن أشهرها :

كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والأماكن والمواضع "للبكـــري(ت487هـ/1094م)"، وكتـــاب المسالك والممالك "لابن خرداذبة (ت300هـ/913م)"، وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر "لشيخ الربوة (ت727هـ/1327م)"، وكتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية "لابـــن طولـــون (ت953هـ/ 1546 م)"،ومعجم البلدان" لياقوت الحموي(ت 626هـ/1228م)".

خامسا المراجع العربية الحديثة:

وكان لكتابات بعض الباحثين التي اختصت في تاريخ نيابات الدولة المملوكية أهمية في توجيه نظر الباحث إلى العديد من المراجع التاريخية، ومن بينها كتاب مملكة صفد في عهد المماليك "لطه ثلجي"،

وكتاب القدس في العصر المملوكي "لمحمود السيد"، وغيرها من الدراسات التي كتبت في تاريخ دولة المماليك.

فصول الدراسة:

حوت الدراسة مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وكل فصل من فصول الدراسة اختص في دراسة ناحية من نواحي الحياة، إلا الفصل الخامس حيث دمج فيه موضوعات الناحية الدينية والعمرانية؛ بهدف المحافظة على موازنة الفصول من ناحية، وإعطاء وحده موضوعية للدراسة من ناحية أخرى.

تطرق الفصل الأول إلى الكوارث الطبيعية التي ألمت ببلاد الشام فترة عصر دولة المماليك الأولى والثانية: الزلازل، وكوارث المناخ، والسيول، والفيضانات، والأمطار الغزيرة، و الثلوج والبرد، والصقيع، والرياح والعواصف، والصواعق، والقحط، والجفاف، وظهور الآفات الحشرية كالجراد والفئران، وتفشي الطواعين والأوبئة.

وتعرض الفصل الثاني إلى الحديث عن آثار الكوارث الطبيعية على الناحية الاقتصادية، مبيناً الآثار التي خلفتها الكوارث الطبيعية على الزراعة بشقيها النباتي والحيواني، من حيث التلف والتدمير، والنفوق، وتناقضها، وارتفاع أسعارها، وانجراف الأراضي الزراعية والصخور، وعالج هذا الفصل ـــ أيضاً ـــ أثر الكوارث على الصناعة، ومدى تأثيرها على المنتوجات المصنعة من المحاصيل الزراعية مثل: الدقيق، الخبز، التبن، السكر، الدبس، الحلاوة، وزيت الزيتون والسيرج ومنتوجات المحاصيل المجففة كالسفرجل، والزبيب، وكذلك المنتوجات المصنعة من الثروة الحيوانية مثل: اللبن، والجبن والسمن، والدور الذي أحدثته في تلف وارتفاع أسعار الأقمشة والملابس والأدوية والعقاقير، ومن الناحية التجارية بين الفصل الآثار التي تركتها الكوارث على الأسواق والطرق التجارية.

وتحدث الفصل الثالث عن الآثار التي تركتها الكوارث الطبيعية على الناحية السياسية كانعدام الأمن، وحدوث الثورات والفتن، وتأثيرها على عساكر الدولة المملوكية، وحركة الجهاد وناقش الفصل ــ أيضاًــ الآثار الإيجابية للكوارث الطبيعية في صد هجمات الأعداء عن الدولة المملوكية، وانتهى الفصل بحديثه عن الدور الذي أبلته الدولة المملوكية في مكافحة الكوارث الطبيعية.

وتناول الفصل الرابع الآثار التي نجمت عن الكوارث الطبيعية على الناحية الاجتماعية كانتشار الجريمة الاجتماعية مثل: وقوع حوادث القتل، السرقة، انتشار ظاهرة الغش، والدجل والخرافات، والتسول، والدور لعبته في انتشار الفقر، والمجاعات، والفزع، والخوف في صفوف السكان، وتعطيل احتفالاتهم العامة، والمناسبات الدينية، وناقش هذا الفصل ــ أيضاً ــ هجرة السكان ووفياتهم بسبب الكوارث الطبيعية، وتأثيرها على السكان "الديمغرافية" في بلاد الشام والى جانب ذلك بيّن دور العامة في مكافحة الكوارث الطبيعية.

أما الفصل الخامس ــ الأخيرــ فقد اشتمل على دراسة الآثار التي تركتها الكوارث الطبيعية على الناحيتين الدينية والعمرانية، فمن الناحية الدينية: بين الدور الذي أحدثته الكوارث في تعطيل فريضة الحج، وتوجه الناس نحو العبادات، والتوبة، وعمل الخير، وناقش الآثار التي تركتها الكوارث على المنشآت الدينية من مساجد، وكنائس، ومدارس، من ناحية التدمير والخراب وأما من الناحية العمرانية: فقد تعرض الفصل للحديث عن الحصون، والقلاع، والأسوار والجسور، والبوابات التي تهدمت ودمرت بفعل الكوارث وتخريبها للأبراج، والأسواق، والمنشآت العامة، والخاصة كالمنازل، والقصور، والحمامات، والطواحين، والخانات، والبيمارستان، ثم خُتِمت الدراسة بخاتمة استوعبت ما خَلص إليه الباحث من نتائج وتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع، وملحق بجداول للكوارث الطبيعية.

الفصل الأول

الكوارث الطبيعية

الفصل الأول

الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في العصر المملوكي:

سلطت معظم الدراسات والأبحاث التاريخية الحديثة التي تناولت تاريخ بلاد الشام في العصر المملوكي اهتمامها على الأحداث السياسية والعسكرية، وما نتج عنها من آثار في جميع نواحي الحياة بسبب الحروب، والفتن، والحرائق. في حين أغفلت الحديث عن الكوارث الطبيعية وما ترتب عليها من آثار مدمرة على الإنسان والبيئة المحيطة به.

ولا تقل أهمية الكوارث الطبيعية عن الدمار الذي انتشر في العصر المملوكي بفعل البشر، بل قد تكون أكثر بشاعة وتأثيراً على جوانب الحياة الأخرى، فمن الطبيعي أن تكون هذه الدراسة ضرورة ملحة تلقي الضوء على أهوال الحياة وصعوبتها في تلك الفترة حتى تتكشف الصورة عن هذا العصر للدارس.

تعرضت منطقة بلاد الشام في فترة حكم المماليك لحدوث العديد من الكوارث الطبيعية: كالزلازل والسيول، والفيضانات، وتساقط الأمطار الغزيرة، وسقوط الثلوج، والبرد، والصقيع، والرياح والصواعق، والقحط، والجفاف، وهجمات أسراب الجراد، وظهور قطعان الفئران، وتفشي الأوبئة والطواعين. ولعل هذه الكوارث كانت سبباً مباشراً في عدم استقرار الحياة وانتظامها في ذلك العصر.

ومن خلال ذلك سنتطرق في هذا الفصل إلى ذكر تاريخ حدوث كل كارثة، والمكان الذي حدثت فيه مرتبة زمنياً، وما دفع الباحث لسردها وذكرها لتعريف القارئ إلى أنواع هذه الكوارث من ناحية وإعطاء وحدة متكاملة لموضوع الدراسة من ناحية أخرى، ومن أهم هذه الكوارث:

أولاً: الزلازل:

هزت مناطق بلاد الشام في عصر دولة المماليك ثمانٌ وعشرون زلزلة وتراوحت شدتها ما بين خفيفة، وعظيمة، ومهولة، ونتج عنها آثار سلبية على بعض نواحي الحياة، وهذا ما سيتم مناقشته

لاحقاً، ويمكن استعراضها على النحو الآتي:

في 6 ربيع الثاني/ 20 نيسان سنة (658هـ- 1260م) هزت دمشق ونواحيها زلزلة شـــديدة ([1]) وفي ربيع الثاني/ شباط سنة (659هـ - 1261م) هزت شاطئ مدينـــة عكـــا زلزلة مدمرة ([2])، وفـــي سنة(660هـ - 1261م) هزت كـــلاً من مدينة دمشـــق والشوبك ([3]) وعكا زلزلة مهولة ([4]).

وفي شهري محرم وصفر/ آذار سنة (686هـ- 1287م) تعرضت بلاد الشام لحدوث ثلاث زلازل متتالية: الأولى:هزت مدينة حمص في 21محرم/8 آذار، والثانية: هزت مدينة صفد في25 محرم/12 آذار، وأما الثالثة: وقعت في5 صفر/ 25 آذار، وانحصر تأثيرها بمدينة اللاذقية ([5]).

وفي صفر/ كانون الثاني سنة (692هـ- 1293م) هزت كلاً من غزة، والرملة، واللـــد، والكـــرك وقاقون([6]) زلزلة عظيمة ([7])، وامتد تأثيرها ليشمل معظم مناطق الشريط الساحلي لبلاد الشام، ولكـــن التأثير به كان أقل ضرراً من المناطق المذكورة ([8]).

وفي 23 ذي الحجة/ 9 آب سنة (702هـ - 1303م)، هزت بلاد الشام زلزلة شديدة ([9])، واشتمل

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 513/1.

([2])ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 321؛ابن أيبك الدواداري، أبو بكر، **كنز الدرر وجامع الغـــرر**، 58/8 ابن تغري بردي، يوسف، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، 34/2؛ ابن العميد، جرجس، **أخبار الأيوبيين**، 50.

([3]) الشوبك: قلعة في طرف الشام من نواحي البلقاء، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 453/4؛ البغدادي، عبد المـــؤمن **مراصـــد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 818/2.

([4]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 114/2.

([5]) ابن عبد الظاهر، يحيى، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 152،151.

([6]) قاقون:حصن بفلسطين قرب الرملة،من عمل قيسارية من ساحل بلاد الشام، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 299/4.

([7]) السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 200؛الغنيم،عبد الله، **أسباب الزلازل وأحـــداثها فـــي التـــراث العربي**، مجلة المجمع العلمي العراقي،مج 35، ع4، 2002م، 245.

([8]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 155/1؛ أحمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية فـــي العصـــر المملوكي**، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، 2008م، 45، الرسالة272؛ العضايلة، فراس، **أسباب ومظاهر تلف منزل الأمير في قلعة الكرك**، 70، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 2004م.

([9]) النويري،محمد، **الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، 124/6؛ السيوطي، عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، 379؛ غوانمة، يوسف، **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**،48،سليم،محمود،**عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**،288/1.

تأثيرها على كل من منطقة صفد([1])، حماة، حمص، وحلب ([2])، وفي محرم/ كانون الثاني سنة (722هـ - 1322م) هزت مدينة دمشق زلزلة اهتزت منها الأرض هزة عظيمة ([3])، وفي وسنة(723هـ - 1323م) هزت بلاد الشام زلزلة شديدة ([4])، وفي رجب/ كانون الثاني سنة (739هـ - 1339م) هزت مدينة طرابلس والمناطق المحيطة بها زلزلة عنيفة ومهولة([5])، وفي ذي الحجة/ أيار سنة (741هـ - 1341م) هزت بلاد الشام زلزلة مهولة([6])، وتكرر ذلك في 15 شعبان/ 2 كانون الثاني سنة (744هـ - 1343م) ([7]) وكان معظم تأثيرها في منبج ([8])، وحلب([9])، وفي 19 شهر جمادى الآخرة/ 1نيسان سنة(768هـ - 1367م) هزت مدينة صفد والمناطق الساحلية لبلاد الشام زلزلة عظيمة ([10]) وفي سنة (789هـ - 1387م) هزت كلاً من أنطاكيا ([11])، وحلب زلزلة مهولة([12])، وفي 17 محرم/

([1]) أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 592؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 200؛ البخيت، عدنان، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**،110.

([2]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 389/2؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 360/2؛ أعرج سميح **الشخصية الإسلامية في شعر العصر المملوكي**، 201، رسالة دكتوراة دراسة مشتركة بين جامعة الأقصى وجامعة عين شمس فلسطين، مصر، 2008م.

([3])السيوطي،عبدالرحمن،**كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**،205؛العجلوني،إسماعيل،**تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 109.

([4]) الدمشقي، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 114.

([5]) اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعيرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 4/ 225؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 2، 82؛ الخالدي، خالد، **الزلازل في بلاد الشام (من القرن الأول الهجري إلى الثالث عشر الهجري القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي)**، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، ع 13، 87، 2005م.

([6]) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 224/8، داود، جورج، **مدينة حلب في العصر المملوكي الأول**،167، رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية،عمان،1977م.

([7]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من عبر**، 130/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 3/ 404 الغزي، كامل **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 3/ 182؛ حمزة، عفت، **الكوارث الطبيعية**، 126.

([8]) منبج: هي أول مدن الشام، تبعد عن حلب مسيرة يومين، وتبعد عن الفرات مرحلة، للمزيد ينظر الإصطخري إبراهيم، **المسالك والممالك**، 49؛ خسرو، ناصر، **سفرنامة**، 55؛لسترنج،كي،**بلدان الخلافة الشرقية**،139.

([9]) ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 204؛ ابن الشحنة، محمد، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر** 281 282؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 360/1، 361.

([10]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 294/2؛ أبو زيتون، منال، **المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي**، 42، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد، 1998م.

([11]) أنطاكيا: قصبة العواصم للثغور الإسلامية، وتبعد عن حلب اثني عشر فرسخاً واعتبرها البعض من حلب للمزيد ينظر البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان**، 163؛ ابن الفقيه، أحمد، **مختصر كتاب البلدان**، 111؛الفيتري،يعقوب،**تاريخ بيت المقدس**،38

([12]) الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 199/3.

19 أيلول سنة(802هـ - 1399م) هزت مدينة دمشق زلزلة خفيفة ([1])، وتعرضت منطقة بلاد الشام في سنة (806هـ- 1403، 1404م) إلى ثلاث زلازل، الأولى: هزت مدينة حلب ومحيطها في 13 جمادى الآخرة/7كانون الأول، والثانية: حدثت في8 شعبان/20 شباط إذ هزت ــ أيضاًـــ مدينـــة حلــب([2]) والثالثة: حدثت في 20 شعبان/ 3 آذار فهزت كل من مدينة طرابلس واللاذقية وجبلة ([3]) وبلاطنس([4]) وثغربكاس([5]) وبعض مناطق في الساحل ([6])، وفي 13 جمادى الأولى/ 7 تشرين الثاني ســنة (807هـ - 1404م) هزت مدينة حلب وأعمالها زلزلة مهولة ([7]).

وفي منتصف ذي القعدة/ 6 نيسان سنة (809هـ- 1407م) هزت مدينة أنطاكيا زلزلة عظيمة([8]) وفي 10 شعبان/29 كانون الأول سنة (811هـ-1409م) هزت حلب، وطــرابلس، واللاذقيــة زلزلــة مهولة ([9])، وفي 15محرم/13تشــرين الثاني سنة (863هـ - 1458م) هزت كلاً من مدينــة القــدس

([1]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، 99/4.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 355/4؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 207؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 100.

([3]) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية ومعظم أهلها من همذان، للمزيــد أنظر،اليعقــوبي أحمد، **كتاب البلدان**، 112؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 105/2.

([4]) بلاطنس: حصن منيع بسواحل بلاد الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب، الحموي، ياقوت، **معجم البلــدان**، 478/1 ابن فضل الله العمري،أحمد،**التعريف بالمصطلح الشريف**،253

([5]) ثغربكاس: قلعة من نواحي حلب على شاطئ ماجي، الى الجنوب من أنطاكيا بينهما الجبال، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**80/2؛ أبو الفداء، إسماعيل، **مختصر كتاب البلدان**، 261.

([6]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 104/6؛ ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في معرفــة تواريخ الزمان**، 168/2؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق 687/2 ؛الخرابشة،سليمان،**مملكة طرابلس في العهد المملوكي**،211،رسالة ماجستير،الجامعة الاردنية،1985م.

([7]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، 217/5؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلســلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 110؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 220/3.

([8])ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 3/ 151؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عــن وصــف الزلزلــة** 207؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بــلاد الشــام فــي العصــر المملــوكي**، حوليــات الآداب الاجتماعية، مجلة الرسالة، الحولية 28، الرسالة 272، 2008م، 54.

([9]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 214/6؛ ابن عبد الباسط، خليل/ **نيل الأمل في ذيل الدول**، **172/3**؛ ســليمان مصطفى، **الزلازل من فجر التاريخ إلى اليوم**، 60؛ عبد الحميد، صلاح، **الزلازل**، 54.

والرملة والخليل والكرك زلزلة عظيمة([1])، وفي سنة (865هـ - 1460م) هزت مدينة القدس زلزلة مهولة ([2])، وفي ربيع الأول/ آذار سنة (889هـ - 1484م) زلزلت مدينة حلب ست مرات أو أكثر([3]).

وشهدت سنة (896هـ- 1491م) حدوث العديد من الزلازل في منطقة بلاد الشام، ففي ربيع الثاني / شباط هزت منطقة طرطوس([4]) زلزلة عظيمة([5])، والثانية: هزت مدينة دمشق في 16جمادى الآخرة/ 26 نيسان، أما الزلزلة الثالثة: فكانت في22 جمادى الآخرة/1أيار إذ هزت مدينة دمشق ومحيطها([6]).

ثانياً: كوارث المناخ:

السيول

تعرضت منطقة بلاد الشام لتشكل سيولاً كثيرة، وتبين من خلال المصادر التاريخية أن سبب تشكلها راجع لغزارة الأمطار الشديدة، أو لذوبان الثلوج الموجودة على المرتفعات الجبلية، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

تشكل في مدينة دمشق سنة(653هـ– 1255م) سيل عارم([7])، وبلغ ارتفاعه بسوق الفاكهة([8])

([1]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 100/2؛ حجازي، فايزة، **أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**، 105، رسالة ماجستير، إربد، اليرموك، 1992م.

([2]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 387/2.

([3]) السيوطي،عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 210؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**113؛ صلاح، حمزة، **الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر**، 229، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.

([4]) طرطوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكيا وحلب، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 28/4.

([5]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 115/1.

([6]) **نفسه**،116/1.

([7]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 16/2؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 449/7؛ الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 85/20.

([8]) سوق الفاكهة: سوق يقع بمدينة الصالحية، وكان يعرف أيضاً بالسوق الفوقاني، للمزيد، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 1/ 80؛ الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 47/2.

ستة أذرع ([1])، وفي سنة (664هـ - 1265م) تشكل في الغور سيل عرم ([2])، وفي سنة (669هـ - 1269م) تشكل بمدينة دمشق سيل عظيم وأفاد معظم المؤرخين كالنويري([3])، والمقريزي([4]) والذهبي([5])، والدويهي ([6])، أن تشكل هذا السيل كان في الثاني عشر من شوال إلا أن المؤرخ بيبرس المنصوري خالفهم في تاريخ تشكل السيل، ويبدو أن مخالفة المنصوري للآخرين راجع إلى أنه أرَّخ ببداية سقوط الأمطار وليس لوصول السيل ([7]).

وفي شعبان/ تشرين الأول سنة(682هـ- 1283م) تشكل بمدينة دمشق سيلٌ جارٍ ومندفع([8]) وتكرر ذلك بدمشق في 20 شعبان/ 1 تشرين الثاني سنة(683هـ-1284م) ([9])، واستهلت سنة (685هـ - 1286م) بتشكل سيل عظيم بصالحية ([10]) دمشق ([11])، وفي صفر/ كانون الثاني سنة (692هـ - 1293م) تشكل سيل عظيم بمدينة الرملة، وفاض نهر العوجاء ([12]) من شدة اندفاعه ([13])، وفي رجب/

([1]) الذراع: أربعة وعشرون إصبعاً، والإصبع: ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض، ويختلف طوله من مدينة لأخرى، فذراع القماش في دمشق كان يساوي (60.35 سم)، أما ذراع حلب وحماة فهما متعادلان، وهما أطول من ذراع دمشق وطولهما يساوي (67.98 سم)، في حين كان طول ذراع طرابلس (64 سم) ، وذراع القدس(64.77 سم)، وذراع غزة (58.18 سم)،للمزيد ينظر، ابن خرداذبه،عبيد الله، **المسالك والممالك**، 78؛ القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 223/4 فالتر،هنتس، **الأوزان والمكاييل الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، 84.

([2])ابن إياس،محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 127/7؛ عثامنة، خليل،**فلسطين في العهد الأيوبي والمملوكي**، 412.

([3]) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/3.

([4]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 72/2.

([5]) **العبر في خبر من غبر**، 319/3.

([6]) **تاريخ الأزمنة**، 252.

([7]) **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، 72.

([8]) المنصوري، بيبرس، **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة**، 245؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في العصر المملوكي**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة الرسالة، الحولية 28، الرسالة 272، 2008م، 45.

([9]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 52/2، 53؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 11/5؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

([10]) الصالحية: هي إحدى ضواحي مدينة دمشق، بنيت في القرن السادس الهجري، وقيل أن سبب تسميتها بهذا الاسم لوقوعها جبل قاسيون المعروف بجبل الصالحين، وقيل: نسبة إلى الصالحين الذين ابتدأوا وضعها، وقيل بأن الذين وضعوها كانوا يقيمون بمسجد أبي صالح، فنسبت إليه، للمزيد ينظر، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 24/1-31.

([11]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 361/13.

([12])نهر العوجاء:نهر بين أرسوف والرملة،الطبري،محمد،**تاريخ الرسل والملوك**،39/7؛الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 167/4.

([13]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 240؛ الدجاني، يعقوب وزميله، **الرملة**، 11.

حزيران من السنة نفسها تشكل بمدينة بعلبك سيل جارف([1])، وفي سنة (699هـ - 1299م) عندما كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون ([2]) يعد العدة للدخول إلى قرنتيا([3]) بسبب قدوم المغول، جاءهم سيل شديد مندفع من سيلان الأودية وكانت عواقبه وخيمة ([4])، وفي صفر/ تشرين الأول سنة (700هـ - 1300م) تشكل بمنطقة العوجا سيل شديد الاندفاع([5]).

وفي صفر / نيسان سنة (716هـ - 1316م) تشكل بمدينة حمص سيل مهول وشديد ([6]) وصل إلى بحيرة حمص ([7]) مروراً ببعلبك وقاع المحدثه ([8]) وجوسيه ([9]) وقَدَس ([10])، وفي سنة (717هـ - 1317م) تعرضت بلاد الشام إلى تشكل سيول ضخمة ومدمرة، فتشكل الأول: في مدينة

([1])أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 538؛النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 159/31؛ غوانمة، يوسف، **التاريخ السياسي لشرق الأردن**، 268؛ مكاحلة، نهى، **الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي**، 205، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([2])الناصر محمد بن قلاوون: هو السلطان محمد ناصر الدين، أبو الفرج بن الملك المنصور قلاوون تاسع سلاطين مصر والشام من المماليك البحرية، ولد سنة (684هـ- 1285م)، وتولى السلطنة سنة(693هـ- 1293م)، وخلع سنة(694هـ - 1294م) وأرسل إلى الكرك، ثم أعيد للسلطنة بمصر سنة(698هـ - 1299م)، ثم لجأ إلى الكرك مرة ثانية سنة(708هـ - 1309م)، ثم عاد إلى السلطنة بمصر للمرة الثالثة سنة(709هـ - 1310م)، وتوفي سنة(711هـ- 1311م) للمزيد انظر،الكتبي،محمد، **فوات الوفيات والذيل عليها**،35/4؛ الزركلي،خير الدين،**الأعلام**، 232/7؛الشهابي،قتيبة،**معجم ألقاب أرباب السلطان في الدولة الإسلامية**،170.

([3]) قرنتيا: بلد قريب من بيت جبرين من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**320/4؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 1075/3.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 318/2.

([5]) المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، 176/7.

([6]) الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في محتصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 223؛ أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**،164؛ابن حبيب الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 74/2.

([7]) بحيرة حمص: ويقال لها بُحيرة قدَس، طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة، تقع غرب حمص بمسيرة بعض يوم، للمزيد ينظر، أبو الفداء، إسماعيل، **تقويم البلدان**، 40.

([8]) المحدثه: سُواج ماؤه في أودية عضاة لبني كعب قرب العفلانة، للمزيد انظر، البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 1233/3.

([9]) جوسيه: قرية من قرى حمص، بينهما ستة عشر ميلاً، وهي بين الحجاز وبلاد الشام، للمزيد ينظر، ابن خرداذبه عبيد الله، **المسالك والممالك**، 76؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 185/2.

([10]) قَدَس: قرية ببلاد الشام قرب حمص، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 311/4؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 1068/3.

بعلبك في 17 محرم/ 10 أيار ([1])، والثاني: تشكل بمدينة حلب في 13 ربيع الأول/ 25 أيار([2])، أمـــا الثالث: فكان تشكله بمدينة دمشق في شعبان/ تشرين الأول([3])

وفي 3 رجب/ 26 أيلول سنة (718هـ-1318م) تشكل بظاهر حمص سيل لم يكن ضَرَرُه كبيراً بسبب نزوله في خندق المدينة([4])، وفي شهر رمضان/تشرين الأول من السنة نفســها تشــكل ســيل بسليمية([5])،وآخر بمنطقة الشوبك ([6])، وفي5 رمضان/ 20 تشرين الأول سنـــــة (719هـ- 1319م). تشكل بدمشق سيل عرم([7]) وكان قدومه من الحسنية([8]) ماراً بإبل السوق([9])، وفـــي ســـنة (721هـ - 1321م) تشكل بمدينة دمشق سيل هائل ([10])، وفي 12 ذي الحجة/ 27 أيلول سنة (728هـ - 1328م) تشكل بمدينة عجلون سيل عظيم ([11])، وفي9 محرم/ 11تشرين الأول سنة (732هـ - 1331م) تشكل في مدينة حمص سيل عظيم ([12]).

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 472/1؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 157/14؛ الصفدي الحسن، **نزهـــة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 242؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام** 254/2؛ حمد، فيصل،**لأسواق الشامية في العصر المملوكي**، 16،رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 526/2.

([3]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 301.

([4]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 326/4.

([5]) سليمية: بلدة من ثغور الشام من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وبينها وبين حمص مرحلة، للمزيد ينظر الحميري، محمـــد **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 320؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 240/3.

([6]) البرزالي، القاسم، **الوفيات**، 485؛ البخيت، عدنان، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، 110.

([7])الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 257/2؛ البرزالي، القاسم، **الوفيات**، 485؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيـــام المنصـــور وبنيه**، 2/ 102؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 167/14.

([8]) الحسنية: بلاد شرق الموصل على بعد يومين من جزيرة ابن عامر، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 260/2 البغدادي، عبـــد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 403/1.

([9]) إبل السوق: قرية كبيرة في غوطة دمشق، من ناحية الوادي، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 50/1.

([10]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 174/14.

([11])ابن الوردي،عمر، **تاريخ ابن الوردي**،406/2؛ابن حبيب،الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**،189/2

([12]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 275/2؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر مـــن حـــوادث الزمان**، 213/4؛ صلاح،**الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر**،272،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية،غزة،2009م.

وفي 3 ربيع الثاني/ 11 كانون الأول سنة (734هـ - 1334م) تشكل بدمشق سيل مهـــول([1]) وفي رمضان/ كانون الثاني سنة (745هـ - 1345م) تشكل بمدينة طرابلس سيل عظـــيم([2])، وتشـــكل سيل ــ أيضاً ــ في مدينة حماة في اليوم نفسه الذي حدث فيه سيل طرابلس ([3])، وفـــي ذي الحجـــة/ كانون الثاني سنة (752هـ - 1351م) تشكل بمدينة غزة سيل عظيم وشديد([4])، وفي ذي الحجة/تشرين الأول سنة(761هـ -1360م) تشكلت سيـــول في أنحاء متفرقة في بلاد الـــــشام ([5])، مثـــل: بعلبـــك وأراضي خيران([6]) وجبة عسال ([7]) وحلب ([8]).

وفي (769هـ - 1367م) تشكل سيل بمدينة حلب ([9])، وتكرر سيل آخر على حلب في شـــهر ذي حجة /أيار سنة(775هـ- 1374م) ([10])، وفي محرم/ شباط سنة (786هـ - 1384م) تشكل بدمشق سيل عظيم([11])، وفي 8 ربيع الأول/ 30 أيار من السنة نفسها فاجأ منطقة الغوطة([12]) سيل مهول([13])، وفي

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 344/14.

([2]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 506/2؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 417/1.

([3]) ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 213/1.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/ 172؛ الدباغ، مصطفى، **الموجز في تاريخ الدولة الإسلامية**، 83.

([5]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 108/1.

([6]) خيران: من قرى البيت المقدس، ويقال لها بيت خيران، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 411/2.

([7]) جبة عسال: ناحية بين دمشق وبعلبك تشتمل على عدة قرى، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 108/2.

([8]) ابن كثير إسماعيل، **البداية والنهاية**، 361/14.

([9]) ابن العراقي، أحمد، **الذيل على العبر في خبر من عبر**، 236/2؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 321/2 الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 192/3.

([10]) ابن العراقي،أحمد،**الذيل على العبر في خبر من عبر**،369/2؛ابن حجر العسقلاني،**أنباء الغمر بأبناء العمر**، 80/1.

([11]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 163/5؛ ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 158/2 ابـــن عبـــد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 212/2.

([12]) الغوطة: هي الكورة التي فيها دمشق، وهي موضع متصل بدمشق من جهة باب الفراديس، وحدودها من الشمال تـــل يزيـــد ومن الشرق بيت سوا وحمورية وبالا، ومن الجنوب قرى خيارة وعقربا، ومن الغرب قرية داريا، للمزيد،ينظر الحموي، يـــاقوت **معجم البلدان**، 419/4؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 431؛ الشهابي، قتيبة **معجم دمشق التاريخي**، 94/2.

([13]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 130/3؛ غوانمة، يوسف، **الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة فـــي جنوب الأردن وفلسطين في العصر المملوكي**، مجلة دراسات تاريخية، العـــددان،13،14 1983م،77؛ حجة،شـــوكت، **التـــاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن(من جنوب الشام) في عصر دولة المماليك الثانية**، 263.

ربيع الأول/ نيسان سنة (787هـ- 1385م) تشكل بمنطقة الكرك والشوبك سيل جارف ([1])، وفي ربيع الثاني/ شباط سنة(795هـ- 1393م) تشكل بمدينة حلب سـيل قوي وشـديد([2])، وفي سـنة(800هـ-1397م) تشكل ببلاد الشام سيلان أحدهما في مدينة غزة والرملة، والثاني في مدينة دمشق ([3]).

وفي 14 جمادى الآخرة/ 2 شباط سنة (801هـ - 1399م) تشكل بمدينة دمشق سـيل عـرم ([4]) وتشكل بها سيل آخر في 13 شعبان/ 20 نيسان سنة (802هـ - 1400م) ([5])، وفي رمضان/ شـباط سنة (810هـ - 1408م) تشكل بمدينة طرابلس سيل جارف ([6])، وفي 3ربيع الثاني /3نيسـان سـنة (891هـ - 1486م) تشكل بمدينة دمشق سيل عظيم ([7]).

وفي صفر/ كانون الأول سنة (896هـ - 1490م) تشكل بمدينة غزة سيل عظيم ([8])، وفـي 17 جمادى الأولى / 1 آذار سنة (899هـ - 1493م) تشكل بمدينة دمشق سيل مهول([9])، وفي 6شوال/ 3 أيار سنة (916هـ - 1510م) تشكل سيل عظيم في مدينة دمشق([10])، وفي 23 صفر/ 27 آذار سـنة (922هـ - 1516م) تشكلت بمدينة دمشق سيول متعددة ([11]).

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 157/3.

([2]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**،164/3؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الـذهب فـي أخبار من ذهب**، 576/8.

([3])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،3/ 654؛ابن الصيرفي، **نزهة النفوس والأبـدان فـي تـواريخ الزمان**، 479/1.

([4]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 341/1.

([5]) **نفسه**، 424/1.

([6])ابن حجر العسقلاني،أحمد،**أنباء الغمر بأبناء العمر**، 65/6؛ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 161/3.

([7]) ابن طوق، أحمد، **التعليق "يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق"**، 607/2.

([8]) ابن عبد الباسط،خليل ، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 215/8.

([9]) ابن الحمصي، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 351/1.

([10])ابن الحمصي، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران** ، 194/3.

([11]) **نفسه**، 280/3.

2 ــ الفيضانات (الزيادة):

حدثت في منطقة بلاد الشام فيضانات متعددة؛ بسبب ارتفاع نسبة منسوب المياه في الأنهار، وقد تبين لنا أن هذه الفيضانات (الزيادة) كانت تحدث بفعل الأمطار الغزيرة التي كانت تسقط على مناطق بلاد الشام، ومن خلال المصادر التاريخية التي تم مراجعتها استطعنا أن نحصيها وكانت كالآتي:

في سنة (669هـ - 1270م) فاض نهر حلب (1) بشكل كبير (2)، وفي سنة (700هـ - 1300م) زاد نهر العوجاء في فلسطين زيادة كثيرة (3)، وفي رمضان/ كانون الثاني سنة (745هـ - 1344م) فاض نهر حماة (4) بشكل فظيع (5).

وفي سنة (764هـ - 1362، 1363م) فاض نهر بردى (6) على مرحلتين: كانت الأولى في ربيع الأول/ كانون الثاني، والثانية حصلت في شهر جمادى الأولى / شباط، (7)، وتكرر فيضانه ــ أيضاً ــ في ربيع الأول/ تشرين الأول سنة (770هـ - 1368م) (8)، وفي 6 ذي الحجة / 9 أيار سنة

---

(1) نهر حلب: نهر يجري في مدينة حلب، ويسمى نهر قويق، للمزيد،ينظر، البكري، عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، 1103/3.

(2) ابن الشحنة، محمد، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**، 227.

(3) المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، 176/7.

(4) نهر حماة: نهر يقع شرق مدينة حلب ويبعد عن حمص نحو ميل، ويسمى نهر العاصي؛ لأنه مقلوب بجريانه من الجنوب إلى الشمال،وغالب الأنهار تسقى منها الأرض بغير دواليب ونواعير،ولكن نهر حماة لا يسقى منه إلا بالدواليب والنواعير، وينبع من بعلبك ويصب في بحيرة قَدَس، للمزيد، ينظر، ابن جبير،محمد،**رحلة ابن جبير**،231؛ أبو الفداء إسماعيل، **قويم البلدان**، 40.

(5) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 329/2؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 417/1.

(6) نهر بردى: أعظم نهر بدمشق، يسير بوادي بردى، ومخرجه من قرية يقال لها قنوا من كورة الزبداني على بعد خمسة فراسخ من دمشق من جهة بعلبك ويتفرق منه أنهار عدة منها: نهر يزيد، نهر ثورا، نهر بُلنياس، نهر القنوات ونهر مزة، للمزيد، ينظر ، الدمشقي، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 190؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 184/1؛ لابيش، أحمد، **معالم دمشق التاريخية**، 515.

(7) ابن كثير،إسماعيل، **البداية والنهاية**، 342/14؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 219/2.

(8) ابن عبد الباسط، خليل ، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 2/ 14.

(774هـ - 1372م) ([1]) وفي 11رجب/ 11 نيسان سنة (799هـ - 1396م)([2])، وفي 19 ربيع الأول / 29 تشرين الثاني سنة (802هـ - 1399م) ([3])، وفي 19شوال/ 8 آذار سنة (878هـ - 1474م) ([4]).

وفي ذي الحجة / أيلول سنة (897هـ - 1492م) فاضت أغلبية أنهار دمشق ([5])، وفي جمادى الأولى/ كانون الأول سنة (909هـ - 1503م) فاض كل من نهر بردى، ونهر حماة، ونهر طرابلس ([6]) ونهر الكلب ([7])، فيضاناً غير معهود من قبل ([8])، وفي 24 ربيع الأول/ 6 تموز سنة (913هـ - 1507م) فاض نهر بردى بشكل عظيم ([9]).

3 ـ الأمطار الغزيرة:

تعرضت منطقة بلاد الشام إلى سقوط الأمطار الغزيرة عليها، والتي كان لها آثار سلبية على بعض مناحي الحياة ويمكن سردها على النحو الآتي:

ففي صفر/ آب سنة (671هـ - 1272م) سقطت أمطار بشكل غزير على مدينة حلب([10])، وفي شعبان / 26 تشرين الأول سنة (683هـ - 1284م) سقطت أمطار شديدة الغزارة على مدينة وفي صفر/ كانون الثاني سنة (692هـ - 1293م) تساقطت الأمطار الغزيرة على سائر بلاد الشام

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 362/4.

([2]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 224/1.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 1/ 390؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 4/ 73.

([4]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 62.

([5]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 340/1.

([6]) نهر طرابلس: نهر يجري من تحت طرابلس، ويصب في البحر الرومي، وينبع من جبل لبنان، للمزيد،ينظر، الدمشقي، محمد **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 198؛ العمري، أحمد، **مسالك الأبصار في ممالك الأقطار**،80/1.

([7])نهر الكلب: يقع بين بيروت وصيدا،وكان الإغريق يسمونه نهر لوكوس، البغدادي،عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 1415/3.

([8]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 928/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 377.

([9]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**،932/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 379.

([10]) مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 96.

([11]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 185.

([12]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 152/1.

وفي صفر / تشرين الثاني سنة (700هـ - 1300م) سقطت الأمطار بشكل غزير جداً على سائر بلاد الشام، وكانت مدينة غزة أكثر المناطق المتضررة منه ([1])، وفي سنة (708هـ - 1308م) سقطت الأمطار الغزيرة على مدينة دمشق ([2]). وفي ربيع الأول / أيار سنة(716هـ- 1316م) سقطت أمطار بشكل غزير على كل من حمص وقارة ([3]) وعزاز ([4]) وحارم([5]) والمعرة([6]) وسرمين ([7]) وحلب([8]).

وقد تكرر سقوط الأمطار الغزيرة على مدينة دمشق فسقطت عليها في رجب/ آذار سنة(731هـ - 1329م) ([9])، وفي 1 رمضان / 9 حزيران من السنة نفسها([10])، وفي 1رجب/ 24 كانون الثاني سنة (738هـ - 1337م) ([11])، وكذلك في 13 شوال/ 15 كانون الثاني سنة (748هـ- 1348م) ([12]).

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 258/31.

([2]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 121/14.

([3]) قارة: هي قرية كبيرة تقع بين حمص ودمشق، وتبعد عن حمص مرحلة ونصف، وعن دمشق مرحلتين، وهي منزلة للقوافل، وغالب أهلها نصارى، للمزيد ينظر، أبو الفداء، إسماعيل، **كتاب البلدان**، 229؛ النابلسي، عبد الغني، **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز**، 104.

([4]) عزاز: بلد شمال حلب، بينهما مسيرة يوم، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 118؛ البغدادي، عبد المؤمن **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 937/2.

([5]) حارم: حصن من أعمال حلب، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 215/2.

([6]) المعرة: بليدة وكورة بنواحي حلب وأعمالها بينهما خمسة فراسخ، وقريبة من شيزر،وأنطاكيا، وكلها أشجار زيتون وتين للمزيد ينظر، ابن حوقل، **صورة الأرض**،154؛ ابن جبير، محمد، **رحلة ابن جبير**، 229؛الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 515/5.

([7]) سرمين: بلد مشهورة من أعمال حلب، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 215/3؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 710/2.

([8]) أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 764؛ المقريزي، أحمد **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 515/2.

([9]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 464/2.

([10]) **نفسه**، 466/2، 467.

([11])ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 123/3.

([12]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 150/1.

وفي ذي الحجة/ كانون الثاني سنة (753هـ - 1353م) سقطت أمطار بشكل غزير على مدينة غزة([1])، وفي سنة (758هـ - 1357م) سقطت أمطار غزيرة على مدينة دمشق ([2])، وتكرر في 9 جمادى الأولى/ 12 آذار سنة (796هـ - 1393م) ([3]).

وفي سنة(800هـ - 1398م) سقط مطر غزير جداً على مدينة غزة والرملة ([4])، وفي 1رجب/ 13 كانون الثاني سنة(806هـ - 1403م) سقطت أمطار غزيرة على مدينة دمشق ([5])، وفي 9 محرم/ 8 تشرين الأول سنة(833هـ - 1429م) سقطت أمطار غزيرة على مدينة حلب([6])، وفي صفر/ تموز سنة(837هـ - 1433م) سقطت الأمطار الغزيرة والشديدة على كل من غزة والقدس مع حدوث رعد شديد ومدوٍ([7])، وفي سنة (878هـ - 1473م) سقطت أمطار شديدة الغزارة على مدينة القدس ([8]).

وفي 17 صفر/ 24 كانون الأول سنة (896هـ - 1491م) سقط بمدينة دمشق وبجوارها مطر غزير استمر ليلاً نهاراً ([9])، وفي 18 ربيع الثاني/ 13 تشرين الثاني سنة (903هـ - 1497م) سقط مطر عظيم ومتتابع على مدينة دمشق ([10])، وتكرر في رجب/ كانون الثاني سنة (909هـ-1504م)([11]).

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 172/4؛ الدباغ، مصطفى، **الموجز في تاريخ الدولة الإسلامية**، 83.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 115/2.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 52/1.

([4]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 474/1.

([5]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 616/1.

([6])ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 3/ 262؛ ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 177/3؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، 308/2.

([7])ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،340/4؛ ابن الصيرفي،علي،**نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 177/3.

([8]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 426/2.

([9]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 113/1.

([10]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 240.

([11]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 220/1.

4 ـ الثلوج:

تعرضت بلاد الشام لموجات شديدة من تساقط الثلوج، وسنقوم بإحصاء أهم هذه الحالات التي كان لها آثارٌ مدمرةٌ وبالغةٌ على معظم نواحي الحياة، وكانت على النحو الآتي:

ففي محرم/ كانون الثاني سنة (655هـ - 1257م) تساقطت ثلوج كثيفة على مدينة دمشق ([1]) وفي سنة (668هـ-1269م) تساقطت الثلوج الكثيرة على بلاد الشام، ووصل امتدادها إلى منطقة المرقب ([2]) وجوارها ([3])، وفي 10رمضان/ 22 كانون الأول سنة (680هـ- 1281م) هطل على دمشق ثلج عظيم ([4]).

وفي سنة (685هـ - 1286م) تساقطت الثلوج بارسوف([5]) وغزة([6])، وفي صفر/ كانون الثاني سنة(692هـ- 1293م)تساقطت الثلوج الكثيفة على مدينة دمشق وضواحيها ([7])،وفي رجب / نيسان من السنة نفسها تساقطت الثلوج على مدينة بعلبك ([8])، وفي صفر/ تشرين الأول سنة (700هـ - 1300م) تساقطت الثلوج على معظم بلاد الشام([9])، وفي 1شوال/ 7شباط سنة (713هـ - 1314م) سقطت على مدينة دمشق ثلوج كثيرة ([10]).

([1]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 2/ 72.

([2]) المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على سواحل بلاد الشام وعلى مدينة بُلنياس، للمزيد ينظر، الحموي، ياقوت **معجم البلدان**، 108/5؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 1259/3.

([3]) الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 312/20.

([4])الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 61/4؛البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 535/1.

([5]) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، الإدريسي، محمد، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،1 /364؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 151/1.

([6]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 351/2.

([7]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 318/2، 317.

([8]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 152/1.

([9])الذهبي،محمد، **دول الإسلام**، 2/ 231؛ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 107/8.

([10]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 116/4؛ البرزالي، القاسم، **الوفيات**، 225.

وفي سنة (716هـ - 1316م) تعرضت منطقة بلاد الشام لموجة شديدة من تساقط الثلوج وكـــان تساقطها على موجتين:الأولى سقطت في ربيع الأول/ أيار على كل من حلب، وبعلبك، وحمـــص ([1]) والثانية سقطت في 2 شوال/ 29 كانون الأول على كل من حماة، واللاذقية ([2]).

وفي 12 ربيع الأول / 26 كانون الثاني سنة (725هـ - 1324م) تساقطت الثلوج الكثيفة علـــى مدينة دمشق ([3])، وفي 6 رمضان/ 10 كانون الأول سنة (745هـ- 1345م) سقط ثلج عظـــيم علـــى مدينة دمشق ([4])، ووتكرر سقوطه عليها في 1 شوال/ كانون الثاني من العـــام نفســـه ([5])، ويصـــف المقريزي ذلك بقوله:"وفيها كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة....... فإنه قام يســـقط مـــدة أسبوعين"([6])، وفي محرم/ آذار سنة (748هـ- 1347م) تساقطت الثلوج على حلب وبلادها([7])، وفـــي أواخر رمضان/ تشرين الثاني سنة (752هـ- 1351م) تساقط على دمشق وحولها ثلج لم يُر مثله منـــذ أكثر من خمسين سنة([8])، وفي ذي الحجة/ كانون الأول سنة(753هـ - 1351م) سقط على غزة ثلـــج حتى تجاوز العريش([9]).

وقد تكرر تساقط الثلوج على مدينة دمشق في سنوات متتابعة ففي 11جمادى الأولـــى/ آذار سنة(797هـ- 1394م)، وفي الأول من محرم/ 13 كانون الثاني(798هـ- 1396م)، وفـــي 2 رجـــب/ 1نيسان سنة(799هـ- 1396م)، وفي 1ربيع الأول/22 كانون الثاني سنة (800هـ- 1397م) ([10]).

([1])النويري، أحمد،**نهاية الأرب في فنون الأدب**، 178/32؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 515/2.
([2]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 455/2؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 177/1.
([3]) الذهبي، محمد، **ذيول على العبر في خبر من غبر**، 314/4؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 297/4.
([4]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 413/1.
([5])ابن كثير،إسماعيل **البداية والنهاية**، 297/14؛ ابن حبيب،الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 65/3.
([6]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 42/3.
([7]) الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 3/ 186.
([8]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 20/2.
([9])ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 246/1؛عطا الله، محمود،**نيابة غزة في العهد المملوكي**، 215.
([10]) للمزيد ينظر، ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 107/1-270.

وفي أواخر ربيع الثاني/ 20 كانون الثاني سنة (800هـ - 1397م) اجتاحت مدينة صفد موجة شديدة لتساقط الثلوج الكثيفة ([1])، وفي سنة (803هـ - 1400م) سقطت ثلوج كثيفة على مدينة دمشق([2])، وتكرر تساقطها عليها في 14ربيع الثاني/ تشرين الثاني سنة (806هـ - 1403م)([3]).

وفي شوال/ كانون الثاني سنة (881هـ-1476م) سقطت الثلوج على بلاد الشام وبلغت حدتها في منطقة الكسوة([4])، والمناطق المحيطة بها ([5])، وفي 15 محرم/ 26 تشرين الثاني سنة (896هـ - 1490م) اجتاحت مدينة دمشق موجة كبيرة من تساقط الثلوج ([6])، وفي سنة (899هـ - 1493م) تعرضت بلاد الشام لموجة شديدة من تساقط الثلوج على فترات متباعدة، وعلى مناطق متفرقة، ففي 19 ربيع الأول/ كانون الثاني سقطت على مدينة القدس الشريف، ووصل امتدادها إلى مدينة الرملة([7])، وفي 30 ربيع الأول/ 8 كانون الثاني سقطت بشكل كثيف على مدينة دمشق([8])، وفي 6 ربيع الثاني/ 24 كانون الثاني تساقطت الثلوج من جديد على مدينة القدس، وبعد أسبوع تساقط الثلج للمرة الثالثة على مدينة القدس([9])، وفي سنة (900هـ- 1494م) تساقط على مدينة دمشق ثلج([10])، وفي

([1]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 172/1.

([2]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 92/2.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 610/2.

([4]) الكسوة: قرية تبعد عن دمشق اثني عشر ميلاً، وهي أول منزلة تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر للمزيد ينظر،ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك**، 78؛ المقدسي، محمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 191؛ إبراهيم، رائد، **رحلة حظيرة الأنس الى حضرة القدس لابن نباتة المصري دراسة موضوعية وفنية**، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية، مج1، ع20، 2006م، 103.

([5]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 79.

([6]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 112/1.

([7]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 495/2.

([8]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 34/1.

([9]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 495/2.

([10]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 370.

شوال / شباط سنة (914هـ - 1508م) تساقطت الثلوج الكثيفة على مدينة دمشق، واستمر تساقطه لمدة أسبوعين متتاليين. ([1])

5 ــ البَرَد:

تعرضت بلاد الشام لموجات شديدة من تساقط البرد، ومن خلال استعراضنا للمصادر التاريخية لاحظنا أن البرد خلف آثاراً كبيرة على جميع مناحي الحياة، ومن هنا لا بد من ذكر الموجات التي تساقطت على المنطقة وكان لها آثار واضحة وهي على النحو الآتي:

ففي رجب / كانون الثاني سنة (671هـ - 1272م) تعرضت مدينة دمشق لتساقط برد كبير تعادل الواحدة منها وزن ثلاثة دراهم([2])، وتكرر في 7 ذي الحجة/ 5 أيار سنة (674هـ - 1275م) ([3]) وكذلك في صفر/ كانون الثاني سنة (692هـ - 1293م) ([4])، وفي أواسط ربيع الأول/ تشرين الثاني سنة (701هـ - 1301م) اجتاحت منطقة حماة والمناطق المحيطة بها موجة برد من تساقط البَرَد الشديد([5])، وفي سنة (703هـ - 1303م) سقط على مدينتي غزة والرملة برد قدر بيض النعام ([6]).

وفي ربيع الأول/ أيار سنة(716هـ- 1316م) سقط على المنطقة الشرقية الشمالية لبلاد الشام برد شديد وكبير في حجمه([7]) وبلغ وزن بعض حباته ما زنته ثلاث أواق شامية([8])، وبلغ حجم بعضها قدر

([1]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 934/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 379.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/2.

([3]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 357/1.

([4]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 51/14.

([5]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 90/14؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 170/3، 171.

([6]) مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 129.

([7])النويري،أحمد،**نهاية الأرب في فنون الأدب**، 178/32؛ المقريزي،أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 515/3.

([8]) الأوقية الشامية، كانت من قبل أربعين درهماً، وكل رطل يبلغ اثنتا عشرة أوقية، وأصبحت في العصر المملوكي خمسين درهماً، المقريزي، أحمد، **الأوزان والأكيال الشرعية**، 38، المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 49 الميناوي، محمد، **النقود والمكاييل والموازين**، 36.

حب النارنج ([1])، وفي 2 صفر/ 4 نيسان سنة (718هـ -1318م) تعرضت مدينة طرابلس لتساقط البرد الكثيف ([2])، وفي يوم 29ربيع الأول/ 13 نيسان سنة (725هـ - 1325م) سقط البرد على كل من دمشق، وحلب، وحرستا ([3])، وبرزة ([4])، وبيت لاهيا ([5])، وسطرا ([6])، والغوطة([7])، وفي 9 شعبان/13 أيار سنة (731هـ - 1331م) سقط برد كثيف في كل من النيرب([8]) والمزة([9]) وكفر سوسية([10]) وبعض نواحي الشاغور([11])، وبعضه كان بحجم بيض الحمام([12])، وفي ربيع الأول/ نيسان سنة (787هـ - 1385م) تعرضت غوطة دمشق لتساقط البرد الكثيف([13])، وفي 14 رجب/ 2 نيسان سنة(800هـ - 1398م) تساقط البرد على مدينة دمشق ومحيطها ([14])، وتعرضت منطقة بلاد الشام في سنة(825هـ - 1422م) إلى تساقط البرد، ففي محرم/ كانون الثاني تساقط في بلاد حوران

([1]) النارنج: شجرة مثمرة من الفصيلة السبابية الدائمة الخضرة، أوراقها جلدية لامعة، لها رائحة عطرة، وأزهارها بيض، للمزيد ينظر، خسرو، ناصر، **سفرنامة**، 65؛ مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، 2/ 745.

([2]) النويري،أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 220/32؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/3.

([3])حرستا: قرية وسط بساتين دمشق على طريق حمص،بينهما وبين دمشق أكثر من فرسخ،الحموي،ياقوت،**معجم البلدان**،241/2.

([4]) برزة: قرية شرق الصالحية في الجبل فيها مقام لسيدنا إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ للمزيد ينظر، ياقوت، الحموي **معجم البلدان**،ابن طولون،محمد،**ضرب الحوطة على جميع الغوطة**،مجلة المجمع العلمي في دمشق،مج 21،ع 12، 1946م، 154.

([5]) بيت لاهيا: قرية مشهورة بغوطة دمشق، وتسمى بيت الآلهة، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 522/1؛ ابن طولون محمد، **ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي في دمشق،مج21، ع12، 1946م، 154.

([6]) سطرا: هي قرية من قرى دمشق، ياقوت، الحموي، **معجم البلدان**، 220/3.

([7]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 1/ 63، 64.

([8]) النيرب: قرية مشهورة بدمشق، على نصف فرسخ منها، وهي على مدخل نهر يزيد، الإصطخري، إبراهيم **المسالك المسالك والممالك**، 46؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 330/5.

([9])المزة: قرية كبيرة وسط بساتين كثيفة، بينها وبين دمشق نصف فرسخ،الحموي،ياقوت، **معجم البلدان**، 122/5.

([10]) كفر سوسية: هي قرية من قرى دمشق، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 669/4.

([11]) الشاغور: محلة بالباب الصغير من دمشق، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 310/3.

([12]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 465/2؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 424/2.

([13]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 156/3.

([14])ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،654/3.

وفي شهر ذي الحجة/ تشرين الثاني سقط بشكل كثيف على مدينة صفد ومحيطها([1])، وفي محرم/ كانون الأول سنة(826هـ- 1422م) تعرضت بلاد حوران لتساقط كميات كبيرة من البرد([2]).

وفي شعبان/ تشرين الأول سنة (885هـ - 1480م) تساقط البرد على مدينة دمشق([3])، وفي صفر/ صفر/ تشرين الثاني سنة (900هـ - 1494م) سقط على مدينة غزة ومحيطها برد كثيف وعظيم ([4])، وفي صفر / آذار سنة (922هـ - 1516م) تساقط بمدينة دمشق برد شديد([5]).

6 ـ الصقيع والبرد:

عمت بلاد الشام موجات شديدة من الصقيع (الصقعة) والبرد الشديد، وتركت آثاراً لا يستهان بها وخصوصاً على الأشجار المثمرة والمحاصيل الزراعية، وهذا ما سيتم التطرق إليه لاحقا، ويمكن استعراض أهم موجات الصقيع التي كان لها آثار ظاهرة وهي على النحو الآتي:

ففي سنة (657هـ - 1258م) تعرضت بلاد الشام لموجة شديدة من الصقيع ([6])، وفي سنة (666هـ - 1267م) تعرضت الغوطة بدمشق لموجة شديدة من الصقيع ([7])، وفي سنة (667هـ - 1268م) 1268م) شهدت بلاد الشام موجة من البرد والصقيع الشديد ([8])، وتكرر ـ أيضاً ـ في سنة (668هـ (668هـ - 1269م) ([9])، وتعرضت مدينة دمشق لموجات شديدة من الصقيع في سنوات: (682هـ – 1283م)([10]) و(691هـ – 1292م) ([1])، و(699هـ – 1299م) ([2]).

([1]) للمزيد ينظر، المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 52/7-69؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 105/4-121.

([2]) ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 125/4.

([3]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 23/1.

([4]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 373/1.

([5]) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، 227.

([6]) ابن دقماق، إبراهيم، **نزهة الأنام في تاريخ الاسلام**، 255.

([7]) الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 362/20.

([8])الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 382/20؛العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 51/2.

([9]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 64/2.

([10]) ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 86/1.

وتكرر حدوث الصقيع بغوطة دمشق إذ اجتاحتها موجة شديدة في ذي الحجة/ تشرين الأول سنة (727هـ - 1327م) ([3])، وفي سنة (729هـ - 1329م) ([4])، وفي ذي الحجة 6 أيلول/ سنة (730هـ - 1330م) ([5])، وفي جمادى الآخرة/ نيسان سنة (732هـ - 1332م) ([6]).

وفي 17صفر/ 27 تشرين الأول سنة (734هـ - 1333م) تعرضت مدينة دمشق لموجـــة مـــن الصقيع الشديد ([7])، وفي رمضان/ كانون الثاني سنة (745هـ - 1345م) اجتاحت بلاد الشـــام موجـــة شديدة من الصقيع ([8])، وفي سنة (763هـ - 1363م) تعرضت بلاد الشام لموجة شـــديدة من الصـــقيع وبلغ أشدها من منطقة زيزا ([9])، إلى مدينة دمشق ([10])، وفي محرم/ شباط ســـنة (785هـ - 1384م) تعرضت مدينة دمشق لموجة شديدة من الصقيع والبرد القارس ([11])، وفـــي ســـنة (793هـ- 1391م) تعرضت منطقة حلب وجوارها لموجة برد قارصة وشديدة ([12])، وفي 4 رجب/ 5 نيسان سنة (799هـ - 1396م) تعرضت مدينة دمشق لموجة شديدة من البرد والصقيع ([13])، وتكرر ذلك عليها فـــي 12 شعبان/ 21 نيسان سنة (801هـ - 1399م) ([14])، وفي ذي الحجة/ آذار سنة (811هـ - 1408م)([15]).

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 199/1؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 274/2.

([2]) اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 698/4.

([3]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 181/2؛الزربا، فريال، **الحياة الاجتماعيـــة فـــي دمشـــق فـــي العهـــد المملوكي**،178،رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية، عمان،1980م.

([4])ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 332/2.

([5]) **نفسه**، 402/2.

([6]) **نفسه**، 521/2.

([7]) ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،103/1.

([8]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،263/4.

([9]) زيزا: من قرى البلقاء يطؤها الحاج ويقام بها الأسواق، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 163/3.

([10]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 200/2.

([11]) ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 1.

([12]) **نفسه**، 72.

([13]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 613/3.

([14]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 349/1.

([15]) **نفسه**، 866/2.

وفي جمادى الأولى/ آذار سنة (828هـ - 1425م) تعرضت بلاد الشام لموجة من البـرد الشـديد واشتدت في المنطقة الممتدة من دمشق إلى حلب ([1])، وفي سنة (841هـ -1438م) تعرضـت معظـم البلاد الشامية لموجة من الصقيع والبرد الشديد ([2])، وقد تكرر الصقيع الشديد على مدينة دمشق فـي صفر/آذار سنة(885هـ-1480م) ([3])، وفي 17ربيع الآخر/26 آذار سنة (894هـ-1489م) ([4])، وفي7 وفي7 شوال / 14 نيسان سنة (907هـ - 1502م)([5]).

7 ـ الرياح والعواصف:

واجهت بلاد الشام هبوب موجات شديدة من الريح والعواصف الباردة والحارة، وتركت آثاراً على معظم مناحي الحياة، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

ففي شهر ذي الحجة/ آب سنة(667هـ- 1269م) هبت على بلاد الشام ريح حارة شديدة وفي سنة(668هـ- 1269م) هبت ريح شديدة على الثغور الشمالية لبلاد الشام([6])، وفي محرم/ كانون الأول

سنة (692هـ - 1291م) هبت في معان ([7])، ريح شديدة البرودة ([8])، وفي شـعبان/أيـار سـنة (698هـ - 1299م) هبت على سواحل بيروت ريح عاصفة وشديدة ([9])، وفي 13ربيع الأول/ 25 أيار

([1])ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 72/4.

([2]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 409/3.

([3]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 13/1.

([4]) **نفسه**، 87/1.

([5]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 207/1؛ تواء، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 85.

([6]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 199/1، 200.

([7]) معان: مدينة في طرف بادية الشام في طريق مكة وهي من نواحي البلقاء، البكري، عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، 1242/4؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 153/5.

([8]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 62/13؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 151/1؛ البرزالي القاسم، **تاريخ البرزالي**، 314/2.

([9]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 204/1؛ النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 237/31.

أيار سنة(717هـ- 1317م)هبت على مدينة حلب ريح سوداء ومظلمة([1])، وفي صفر/ نيسان سنة(718هـ - 1318م) هبت ريح عاصفة من جهة البحر على مدينة طرابلس ([2]).

وقد تكرر هبوب الرياح على مدينة دمشق ففي 1 محرم/ 21 شباط سنة (719هـ - 1319م) هبت عليها ريح باردة ([3])، وفي جمادى الأولى/ حزيران سنة (723هـ - 1323م) هبت عليها ريح جافة وحارة ([4])، وفي يوم الجمعة 1 شعبان/ 10أيار سنة (731هـ - 1331م) هبت عليها ريح عاصفة عاصفة ([5])، ولم يمض سوى أسبوعين حتى هبت عليها من جديد في 14 شعبان/ 20 أيار ريح عاصفة ومدمرة ([6])، وفي صفر/ آب سنة (740هـ - 1339م) هبت بجبل لبنان ريح حارة وصل امتدادها إلى عكا([7])، وفي سنة (745هـ - 1344م) هبت على مدينة دمشق ونواحيها ريح عاصفة ([8]). .([8])

وفي سنة (748هـ - 1347م) هبت على بلاد الشام عاصفة شديدة، وكان أشدها تأثيراً المناطق الساحلية ([9])، وفي رجب/آب سنة (749هـ - 1348م) هبت على مدينة دمشق ريحٌ تحمل غباراً

([1]) ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 80/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 526/2.

([2])ابن الوردي،عمر، **تاريخ ابن الوردي**،381/2؛ ابن كثير، إسماعيل،**البداية والنهاية**، 163/14؛البرزالي،القاسم،**الوفيات**، 453.

([3]) الدمشقي، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 115؛ النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب** 227/32،؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 169/14.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 66/3.

([5]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 455/2؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 465/2.

([6]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 466/2.

([7]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 116/4؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 228/4.

([8]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 421/3.

([9]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 517/2؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 338/2.

أصفر، ثم تحول إلى أسود حتى أظلمت الدنيا منه ([1])، وفي سنة (757هـ - 1356م) هبت من جهـــة المغرب ريح شديدة وامتدت حتى وصلت البلاد الشامية ([2]).

وتوالى هبوب الريح على دمشق مراراً وتكراراً في سنوات: (759هـ - 1357م)([3])، و(781هـ- و(781هـ- 1380م)([4])، وفي7محرم/ 2 نيـــسان سنة(783هـ- 1381م) ([5]). وفي رمضان/ آب ســـنة (792هـ - 1390م) هبت على شواطئ طرابلس موجة من الريح الشديدة ([6])، وفي 17 جمادى الأولى / 5آذار سنة (800هـ - 1398م) هب ريح عاصف ومدمر على مدينة دمشق ([7])، وفي 30 رمضان/ 13 نيسان (806هـ - 1404م) ثارت بمدينة دمشق ريح باردة ومرعبة ([8]).

وفي ربيع الأول/ آذار سنة (825هـ - 1422م) هبت ريح حارة ذات سموم على منطقـــة الكـــرك ونواحيها ([9])، وشهدت منطقة بلاد الشام في سنة (841هـ - 1438م) هبوب موجات من الريح الشديدة، الشديدة، ففي 10 شعبان/ 14 شباط تعرضت كل من طرابلس، واللاذقية، وحماة، وحلـــب، وحمـــص لهبوب ريح شديدة ([10])، وفي 9 شعبان/ 14 شباط هبت على مدينة دمشق، والغور، وبلاد صفد، ريح في غاية القوة([11])، وفي شوال/ أيار هبت على مدينة صفد ريح شديدة البرودة ([12]).

([1]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 313.

([2])الذهبي،محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 171/4؛ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 96/2.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 129/2.

([4]) **نفسه**، 56/3.

([5]) ابن العراقي، أحمد، **الذيل على العبر في خبر من عبر**، 506/2؛ ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 47/2.

([6]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 312/1.

([7]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 280/1؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 654/3.

([8]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 1/ 625؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،357/4.

([9]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 450/7؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 108/4.

([10]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 7/ 347؛ ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 3/ 401؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصـــر المملـــوكي** مجلة الرسالة، الحولية 28، الرسالة 272، 2008م، 57.

([11])ابن الصيرفي،علي،**نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 402/3؛ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،5/ 22.

([12]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 7/ 352.

وفي شعبان/ كانون الثاني سنة (844هـ - 1441م) اجتاحت مدينة طرابلس وأعمالها ريح شرقية وعاصفة([1])، وفي سنة (885هـ - 1481/1480م) شهدت مدينة دمشق ثلاث موجات من هبوب الريح الأولى: في 1 محرم/ 14 آذار ، والثانية في صفر/ نيسان، والثالثة في ذي الحجة/ كانون الثاني([2]).

ومن خلال استعراض المصادر التاريخية اتضح لنا أن مدينة دمشق من أكثر المناطق عرضة لهبوب الريح إذ هبت عليها موجات شديدة من الرياح في سنة (890هـ - 1485م) ([3])، وفي شعبان/ تموز سنة (894هـ - 1489م) ([4])، وفي 3 رمضان/ 28حزيران سنة (897هـ - 1492)، وفي ذي الحجة/ آب من السنة نفسها شهدت موجة أخرى من هبوب الريح الجافة، وكذلك في 9 محرم/ 29 تشرين الأول سنة (899هـ - 1493م) ([5])، وفي رجب/ كانون الثاني سنة (909هـ - 1504م) هبت على قرية سخنين ([6])، ريح شديدة ومدمرة ([7])، وفي رمضان/ شباط من السنة نفسها هبت على مدينة مدينة صيدا عاصفة شديدة([8])، وتكرر هبوب الرياح على مدينة دمشق، في 17 محرم/ 16 نيسان سنة (916هـ - 1510م)([9])، وفي 19 محرم/ 17 نيسان سنة (917هـ - 1511م) ([10]).

8 ــ الصواعق:

لم تكن الصواعق أقل خطورة على مناحي الحياة من هبوب الريح إذ نجد كثيراً من المناطق في بلاد الشام تعرضت لخطر وقوع الصواعق، ويمكن استعراضها على النحو الآتي:

([1])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،471/7؛ ابن عبد الباسط، خليل **نيل الأمل في ذيل الدول**، 131/5.

([2]) للمزيد ينظر، ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 9/1-29.

([3]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 58/1.

([4])السخاوي،محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام**، 527/2؛ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 161/8.

([5]) للمزيد ينظر، ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 335/1-345.

([6]) سخنين: أولى قرى قضاء الناصرة، وثالث قراها من ناحية المساحة، للمزيد انظر، الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، 385/7.

([7]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 220/1.

([8]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 929/2.

([9]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 275/1.

([10]) **نفسه**، 285/1.

ففي شهر رمضان/ كانون الثاني سنة (676هـ - 1277م) وقع في مدينة صفد صاعقة مدمرة ([1]) ([1]) وفي سنة (687هـ - 1288م) وقع ببلاد حلب صاعقة شديدة ([2])، وفي سنة (698هـ - 1298م) تعرضت مناطق شمال بلاد الشام لوقوع صاعقة مهولة ([3])، وفي شعبان/ آذار سنة (804هـ - 1402م) وقع بمدينة دمشق صاعقة مروعة ([4])، وفي محرم/ كانون الأول سنة (827هـ - 1423م) وقع بمدينة عجلون صاعقة محرقة ([5])، وفي شعبان/ تموز سنة (894هـ - 1489م) وقع على مدينة بعلبك صاعقة مروعة ([6])، وفي 17 محرم/ 16 نيسان سنة (916هـ - 1510م) وقعت صاعقة غربي الصالحية بدمشق ([7]).

9 ـ الزوابع ([8]):

تعرضت منطقة بلاد الشام لحدوث زوابع مدمرة وشديدة، حيث أثرت على بعض المناطق ويمكننا ذكر أهمها على النحو التالي:

ففي يوم الخميس 14 صفر/10 نيسان سنة(685هـ- 1286م) تعرضت منطقة الغسولة ([9]) لحدوث زوبعة شديدة([10])، وفي سنة(718هـ- 1318م) حدثت بمدينة طرابلس زوبعة شديدة ومهولة([1]). ومهولة([1]).

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 367؛ العيني، محمد، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 191/2.

([2]) السيوطي، عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، 51/2.

([3]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 172/1.

([4]) ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 75/3.

([5]) النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، 196/2.

([6]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 275/1.

([7])ابن عبد الباسط، خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 8/ 161، 162.

([8])الزوبعة:ريح تدور في الأرض، تقصد وجهاً واحداً تحل الغبار وترتفع إلى السماء وكأنه عمود، وتكون بشكل حلزوني، وتنتج عن فعل الضغط الجوي، ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، 11/7،مادة زوبع؛ توني، يوسف،**معجم المصطلحات الجغرافية**، 228.

([9]).الغسولة: من قرى دمشق، وهي منزلة للحجاج، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 204/4.

([10])النويري،أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 87/31؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 102/1.

10 ــ القحط والجفاف:

تعد موجات القحط والجفاف التي اجتاحت منطقة بلاد الشام من أشد الكوارث الطبيعية خطورة على المجتمع الشامي، إذ كانت تؤدي إلى زعزعة الأوضاع الاقتصادية، وحدوث الهزات السياسية من حين إلى آخر، ويمكن استعراض أهم هذه الموجات التي تركت آثاراً واضحة على النحو الآتي:

توالى اجتياح موجات القحـــط والجفـــاف لمنطقة بلاد الشام في سنوات: (658هـ - 1259م) ([2])، و(659هـ - 1259م)([3])، و(674هـ- 1276م) ([4])، و(677هـ- 1279م)، و(678هـ- 1280م) ([5]) و(680هـ - 1282م) ([6]).

وفي سنة (691هـ - 1292م) اجتاحت مدينة دمشق ونواحيها موجة شديدة من القحط والجفاف([7]) وفي سنة (694هـ - 1295م) اجتاحت منطقة القدس والساحل، ومدن الشام حتى مدينة حلب موجة من الجفاف الشديد ([8])، وفي سنة (695هـ - 1296م) اجتاحت كلاً من حوران، والقدس ونابلس، ودمشق والمناطق المجاورة لها، موجة شديدة من الجفاف([9]).

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 23/14؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعـــلام**، 18/5 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 193/2.

([2]) اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 114/4.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 268/2.

([4]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 362/13.

([5]) سميث، جوناثان، **الإسبيتارية**، 438.

([6]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 61/4.

([7]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 2/ 272.

([8]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 2/ 390؛ المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 32.

([9]) المظفري، علي، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 50؛ ابـــن الجـــزري، محمـــد، **تـــاريخ ابـــن الجـــزري** 582/1مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 37؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 145/8.

وفي سنة (696هـ - 1297م) تأخر الوسمي ([1])، مما أدى إلى اجتياح كل من القدس والساحل موجة شديدة من القحط والجفاف([2])، وفي سنة (697هـ - 1297م) تعرضت كل من مدينة دمشق والقدس والخليل لموجة شديدة من القحط والجفاف ([3])، وفي سنة (704هـ - 1304م) اجتاحت منطقة الأغوار موجة من القحط والجفاف ([4])، وفي سنة (705هـ - 1305م) عمت فلسطين موجة من الجفاف الشديد([5])، وفي سنة (706هـ - 1307م) اجتاحت منطقة بلاد الشام موجة من القحط والجفاف والجفاف الشديد([6])، وتكرر في سنة (719هـ-1319م)([7])، و(736هـ ـ1335م)([8])، و(743هـ-1342م)([9])، وفي سنة(723هـ - 1322م) تعرضت المنطقة الممتدة من دمشق إلى حلب لموجة جفاف جفاف شديد([10])، وفي سنة(725هـ - 1325م) تعرضت كل من حوران والكرك والقدس لموجة جفاف شديدة ([11]).

وفي سنة (747هـ - 1346م) اجتاحت بلاد الشام موجة شديدة من القحط والجفاف ([12])، وفي سنة (748هـ - 1347م) اجتاحت حوران ودمشق والقدس موجة من القحط والجفاف الشديد([13])، وفي

([1]) الوسمي: مطر الخريف، ومن معانيه محصول الذرة الأول، المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 32.

([2]) المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة في كشف الغمة**، 34؛ الطراونة، طه، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 189.

([3])ابن الجزري،محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 394/1؛ العيني،محمود،**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 413/3.

([4]) المنصوري، بيبرس، **التحفة المملوكية في الدولة التركية**، 176؛المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 402/2.

([5])ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**211/11؛ الطراونة، ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 189.

([6]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 172؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 290، 291.

([7]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 4/ 354؛ الكتبي، محمد، **فوات الوفيات والذيل عليها**، 82/2.

([8]) اليوسفي، محمد، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، 295.

([9]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 208/14.

([10]) أبوالفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 439/2؛ الغزي،كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 176/2.

([11]) المقريزي، أحمد، **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 462/1.

([12]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 40/4.

([13]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 306/14؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 508/1 يحيى، صالح، **تاريخ بيروت**، 103.

سنة (754هـ - 1353م) اجتاحت بلاد الشام موجة من الجفاف ([1])، وفي سنة (760هـ - 1358م) ([2]) ([2]) اجتاحت مدينة دمشق موجة من القحط والجفاف ([3])، وكذلك في سنة (777هـ - 1375م)، وفي سنة سنة (782هـ- 1380م) اجتاحت بلاد الشام موجة من الجفاف وكانت كل من مدينة دمشق والقدس أكثر المناطق تضرراً منها ([4])، وفي سنة (790هـ-1388م) اجتاحت مدينة القدس وما حولها موجة من القحط والجفاف ([5])، وفي سنة (797هـ-1394م) اجتاحت موجة من الجفاف الشديد بلاد الشام([6]).

وفي سنة (798هـ-1395م) اجتاحت مدينة القدس موجة شديدة من القحط والجفاف([7])، وفي سنة (799هـ - 1396م) اجتاحت كلاً من دمشق، وحماة، وحمص، وبعلبك، والقدس، ونابلس، موجة من القحط والجفاف([8])، واجتاحت بلاد الشام موجات شديدة من القحط والجفاف في سنوات:(800هـ - 1398م)([9])، و(807هـ-1404م)([10])، و(818هـ- 1415م) ([11])، و(820هـ - 1417م) ([12]).

وفي سنة(825هـ - 1422م) اجتاحت حوران، والكرك، والقدس، والرملة، وغزة، موجة شديدة من القحط والجفاف ([13])، واجتاحت بلاد الشام موجتان من القحط والجفاف في سنة (829هـ -

---

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 186/4.

([2]) ابن صصرى،محمد،**الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 188؛ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 481/2.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 2/ 149

([4])ابن قاضي شهبة أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 39/3؛ ابن حجر العسقلاني،أحمد،**أنباء الغمر بأبناء العمر**، 2/ 15.

([5]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 257/2.

([6]) ابن صصرى،محمد،**الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 164؛ ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 544/3.

([7]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 165/1.

([8]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 611/3؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 398/5.

([9]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 652/3.

([10]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 2/ 670؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 12/ 246؛ عرار، شفيق، **سكان فلسطين في العهد المملوكي**،127،رسالة ماجستير، جامعة بير زيت،فلسطين، 2004م.

([11]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 395/6؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 494/1؛ العيني،محمود،**السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**،345.

([12]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 268/7.

([13]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 56/7.

1426م)([1]) و(831هـ - 1428م) ([2])، وفي سنة (873هـ - 1468م) اجتاحت مدينة دمشق والقدس والقدس موجة من القحط والجفاف ([3])، واجتاحت بلاد الشام موجتان من الجفاف الشديد في سنة(891هـ سنة(891هـ - 1486م)([4]) وفي سنة (895هـ -1489م) ([5]). وفي سنة (906هـ - 1500م) اجتاحت بلاد حوران موجة من الجفـــاف ([6])، واجتاحت مدينة دمشـــق موجتان من الجفاف في ســـنة (918هـ - 1512م) ([7]) و(920هـ - 1514م)([8])، وفي سنة (921هـ - 1515م) اجتاحت بلاد الشام موجة من القحط والجفاف([9]).

ثالثاً: الآفات الزراعية:

1 ــ الجراد:

واجهت بلاد الشام هجمات شديدة لأسراب الجراد، بحيـــث انعكســـت أثارهـــا علـــى الأشـــجار والمحاصيل الزراعية، ويمكننا ذكر أهم الحالات التي تركت آثاراً على نواحي الحياة على النحو الآتي:

هاجمت أسراب من الجراد الكثيف مدينة دمشق في سنة (669هـ - 1270م) ([10])، وفي ســـنة (701هـ - 1302م) ([1])، وفي سنة (702هـ - 1303م) تعرضت منطقة لبنان لهجمة شرسة من الجراد

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 130/7؛ ابن عبد الباسط،خليل ، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 190/4.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 7/ 177؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 237/4.

([3]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 34؛ العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليـــل**، 410/2-411؛ حجة، شوكت، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن(من جنوب الشام) في عصر دولـــة المماليـــك الثانيـــة** 263؛ العارف،عارف،**تاريخ القدس**،99.

([4]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 108.

([5]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 475/2.

([6]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 194/1.

([7])**نفسه**،291/1.

([8]) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، 220.

([9]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 308/1.

([10])ابن صصرى،محمد،**الدرة المضيئة في الدول الظاهرية**،3؛المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،2/ 318.

الجراد الكثيف ([2])، وفي (703هـ - 1304م) هوجمت كل من منطقة قاقون وغـزة، والسـاحل مـن أسراب الجراد([3])، وفي سنة (715هـ - 1315م) تعرضت تخوم بلاد الشام لهجمة من الجراد وشهدت منطقة ملطية ([4])، أكثر انتشاراً له ([5])، وفي سنة(724هـ- 1323م) هاجم الجراد بلاد الشـام بشـكل كثيف ([6]).

وفي سنة (727هـ - 1326م) تعرضت مدينة دمشق لهجمة شديدة من الجـراد، وكانـت أكثـر المناطق عرضة لانتشاره كل من منطقة كفر بطنا([7])، وسقيا ([8])، وحمورية ([9])، والغوطة([10])، وفـي سنة (743هـ - 1342م) هاجمت أسراب من الجراد الكثيف كلاً من مدينة دمشق، وحلـب، والقـدس وغزة([11])، وفي سـنة (747هـ - 1346م) هـاجم الجـراد مدينـة حلـب ([1])، ثـم وصـل إلـى البلقاء([2])ودمشق([3]).

([1]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 1/ 656؛ الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 3/4؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 4/ 176؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالـي** 185/3؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 1/ 576؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 283.

([2]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 283.

([3]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 4/ 308؛ المقريزي، أحمد، **السـلوك لمعرفـة دول الملـوك** 370/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 284.

([4]) ملطية: مدينة من ثغور بلاد الشام، وتعد من أكبر مدن الثغور، الإصطخري، إبراهيم، **المسالك والممالك**، 46؛ ابن حوقل، محمد، **المسالك والممالك**، 120؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**،192/5.

([5]) البرزالي، القاسم، **الوفيات**، 311.

([6]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 72/3؛ مقابلة، إيمان، **القرية في بلاد الشام في العصر المملـوكي** 197، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1998م.

([7])كفر بطنا:من قرى غوطة دمشق،وتسمى عند البعض كفر بطها،الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،468/4؛ ابن طولـون محمد، **ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي في دمشق، مج21، 1ع2، 1946م، 16.

([8]) سقيا: قرية من عمل الفرع، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 228/3.

([9]) حمورية: قرية بالغوطة بدمشق، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 306/2؛ ابن طولون، محمد، **ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي في دمشق،مج 21،ع 12، 1946م، 160.

([10]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 181/1.

([11]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 499/2؛ عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العصر المملوكي**214 الإمام، رشاد، **مدينة القدس في العصر الوسيط**، 159.

وفي محرم نيسان سنة (748هـ - 1347م) هاجمت أسراب الجراد المنطقة الممتدة من منبج إلى الباب([4])، ثم وصل إلى دمشق وأعمالها ([5])، وفي سنة (752هـ - 1351م) هاجم الجراد الكثيف منطقة بلاد الشام ([6])، وفي سنة (756هـ - 1355م) هاجم مدينة دمشق جراد عظيم ([7])، وتكرر في سنة (765هـ - 1363م) ([8])، وسنة (766هـ - 1364م) ([9])، وفي سنة (770هـ - 1368م) هاجم الجراد بلاد الشام([10])، وتكرر كذلك في سنة (803هـ - 1401م) ([11]).

وفي صفر/ أيار سنة (813هـ - 1410م) هاجم الجراد المناطق الساحلية من بلاد الشام([12])، وفي سنة (861هـ - 1456م) تعرضت بلاد الشام لهجمة كثيفة من الجراد ([13])، وفي محرم/ نيسان سنة

([1]) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 419/2؛ ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 226 داود،جورج،**مدينة حلب في العصر المملوكي الاول**،168، رسالة ماجستير،الجامعة الاردنية،عمان،1980م.

([2]) البلقاء: من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى،البكري، عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** 1/ 275؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 489/1.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 26/4؛ مكاحلة، نهى، **الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي** 201، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([4]) الباب: من أرض الشام، بليدة من أعمال حلب، تقع بين بزاعة وحلب وهي في جانب البطحاء، للمزيد ينظر، ابن جبير، محمد، **رحلة ابن جبير**، 224؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 1/ 303.

([5]) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 2/ 493؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/ 46؛ الغزي كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 3/ 84؛ خصاونة، حسين، **طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي** 144، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([6])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،4/ 136؛ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 212/1.

([7])الذهبي،محمد،**ذيول العبر في خبر من غبر**، 4/ 167؛السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 81/1.

([8]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/ 274؛ أبو زيتون، منال، **المجاعات في مصر والشام في العصر المملوكي**، 25، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1998م.

([9])ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**،14/ 400، 401؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق19/2، 20.

([10]) القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 1/ 457؛ خصاونة، حسين، **طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي**، 154، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([11]) ابن عربشاه، أحمد، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**،147؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،63/3؛صافي، سعيد،**مدينة الخليل في العصر المملوكي**، 61،رسالة ماجستير،جامعة اليرموك،إربد، 1996م.

([12]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 258/6؛ابن عبد الباسط، خليل ، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 284/7.

([13]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 355.

(883هـ - 1478م) هاجمت أسراب الجراد الكثيفة معظم مناطق بلاد الشام ([1])، وفي محرم/ نيسان سنة (884هـ - 1479م) تعرضت مناطق بلاد الشام لهجمة عظيمة من الجراد وكان أكثر وجود له في مدينة دمشق ([2])، وفي سنة (885هـ - 1480م) هاجم الجراد مدينة دمشق، وكان تأثيره الأقوى بقرية بقرية قوفا ([3])، والغوطة ([4])، وفي ربيع الثاني/ أيار سنة (888هـ - 1483م) وصل إلى دمشق موجة من الجراد العظيم ([5])، وفي سنة (889هـ - 1484م) هاجمت أسراب الجراد مدينة القدس([6])، وكذلك في سنة (894هـ - 1489م)، وتعرضت مدينة دمشق لهجومين متتاليين من أسراب الجراد في 10 جمادى الآخرة/ 12 آذار، وفي 10 شعبان/ 8 تموز سنة (897هـ - 1492م) ([7])، وفي شعبان/ أيار سنة (900هـ - 1494م) هاجمت أسراب الجراد أراضي جوبر ([8]) وزملكا ([9]) وحمورية ([10]).

2 ـ الفئران:

عانت منطقة بلاد الشام من ظهور الفئران، التي خلفت آثاراً مدمرة وتحديداً في المحاصيل الزراعية، ويمكننا استعراض أهم حالاتها على النحو الآتي:

([1]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 1/ 221.

([2])ابن الحمصي،أحمد،**حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**،1/ 229؛ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،7/ 284. 284.

([3]) قوفا: قرية من قرى دمشق، ويقال لها: بيت فوقا، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 413.

([4]) ابن طوق، أحمد، **التعليق "يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق"**، 1/ 159؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 18/1.

([5]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 284/1.

([6]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 2/ 459.

([7]) ينظر، ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 88/1-92.

([8]) جوبر: قرية بالغوطة من دمشق، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 2/ 176؛ البغدادي، عبد المؤمن، **مراصد الاطلاع الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 1/ 354.

([9]) زوملكا: بلدة كبيرة من أمهات الغوطة، وشربها من نهر ثورا، ابن طولون، محمد، **ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي في دمشق،مج 21، ع12، 1946عم، 157.

([10]) ابن طوق، أحمد، **التعليق "يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق"**، 242/3.

من خلال استعراض المصادر التاريخية تبين لنا أن الجولان وحوران من أكثر المناطق عرضة لظهور قطعان الفئران، فظهرت الفئران في هذه البلاد في سنة (659هـ - 1261م)([1])، وسنة (748هـ - 1347م)([2])، وظهرت الفئران بشكل كبير جداً في معظم بلاد الشام سنة (770هـ - 1369م)([3]) وفي سنة (802هـ -1399م) ظهرت الفئران بشكل كثير في كل من الجولان والجيدور([4]) وحوران([5]) وفي سنة (827هـ - 1424م) ظهرت الفئران في كل من غزة، والرملة والقدس([6])، وفي سنة (828هـ - 1425م) ظهر بمنطقة اللجون فئران كثيرة ([7]).

وإلى جانب الجراد والفئران عانت بلاد الشام من ظهور الدودة، والعصافير، والجنادب، ففي سنة (730هـ - 1329م) ظهرت الدودة بغوطة دمشق ([8])، وفي سنة (748هـ - 1347م) تعرضت منطقة كركر ([9]) وكلختا ([10]) إلى هجوم من العصافير كالجراد على بيادر الحبوب ([11])، وفي سنة (899هـ - 1493م) ظهر ببلاد حوران ما يسمى بالجندب وهو دون الجراد بحجمه ([12]).

ومن خلال استعراض المصادر التاريخية لم نلاحظ أي أثر قد تركته الزواحف على الحياة إلا موقفاً واحداً للأفاعي ففي سنة (822هـ - 1419م) وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصاً كان له أربعة

([1]) ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،5/ 322؛ ابن أيبك الدواداري، أبو بكر، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 85/8؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 525/1.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 502/1.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/ 374.

([4])الجيدور :من نواحي دمشق،وهي في شمالي حوران، ويقال: إنها والجولان كورة واحدة،الحموي ياقوت،**معجم البلدان**، 197/2.

([5]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 1/ 432؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 100/4.

([6])ابن الصيرفي،علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 71/3؛ الطراونة، طه، **مملكة صفد في العهد المملوكي**، 19.

([7]) السخاوي،محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 475/2؛ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 186/4.

([8]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 403/2؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 184/3.

([9]) كركر: حصن بالقرب من ملطية بينها وبين أمد، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 403/4؛ابن فضل الله العمري،أحمد، **دولة المماليك الأولى**،201.

([10])كلختا: قلعة تقع شرق حلب، ابن فضل الله العمري،أحمد، **دولة المماليك الأولى**،201؛ القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،124/4.

([11]) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 425/2.

([12])ابن طوق، أحمد، **التعليق، "يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق"**، 1297/3.

من الأولاد الذكور، وقام بختنهم واحد بعد الآخر في الساعة نفسها ، وبعد أن خُتنوا اضطربت أحوالهم الصحية، وماتوا بعد ساعة، وذلك بعد أن شربوا السكر، فظن كل الموجودين أن الموس الذي خُتنوا به مسموم، فقام المزين الذي ختن الأولاد ليبرهن للحضور بأن الموس غير مسموم بجرح يده بالموس فما جرى له أي شيء، وبعد ذلك تتبعوا أمر السكر الذي شرب منه الأولاد، فوجدوا في الزير الذي أخـذ الماء منه حية عظيمة، قد ماتت من فترة، وتمزقت فكانت سبباً في هلاك الأطفال ([1]).

رابعاً: **الطواعين والأوبئة:**

1 ــ الطواعين:

أكثر ما عانت منه منطقة بلاد الشام من الكوارث التي حلت بها خلال تفشي الطواعيـن، مما كان لها أكبـر الأثـر على جميـع نواحي الحياة؛ بسـبب كثـرة الوفـيات التي كانـت تحـدث فـي صفوف السكان، ويمكن إجمال أهم حالاتها على النحو التالي:

في سنة (656هـ - 1258م) تفشى الطاعون في بلاد الشام ([2])، وفـي سـنة (658هـ - 1259م) تفشى الطاعون بمدينة حلب ومحيطها ([3])، وفي سنة (749هـ - 1348) تفشى فـي بـلاد الشـام طاعون شديد ([4])، قدم إليها من مدينة بغداد ([1]) واشتمل تأثيره على معظم العالم([2])، وفي شعبان / أيار أيار سنة (764هـ – 1363) تفشى الطاعون في بلا الشام ([3]).

([1])ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 50/2، 51؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب فـي أخبار من ذهب**، 224/9.

([2]) أبو شامة، عبد الرحمن، **الذيل على الروضتين**، 306؛ ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبـار بنـي أيـوب** 220؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 449/1.

([3])أ ابن العبري،غريغوريوس،**تاريخ مختصر الدول**،88؛ أبوالفداء،إسماعيل، **المختصر فـي أخبـار البشـر**، 305/2 الذهبي،محمد، **العبر في خبر من غبر**، 378/3.

([4]) ابن دقماق، إبراهيم، **النفحة المسكية في الدولة التركية**، 164؛ ابن النجيم المصري، إبراهيم(ت970هـ - 1562م) 1562م) **رسالة في ضبط أهل النقل في خبر الفصل في حق الطاعون والوباء**، مخطوط بمكتبة جامعة الملـك سـعود بالرياض تحت رقم 5935، ورقة 4؛ حاطوم، نور الدين، **تاريخ العصر الوسيط في أوروبا**،365/2؛صالحية، محمـد، **ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي**، مجلة أبحاث اليرموك وسلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج 4، ع9

وتوالى تفشي الطاعون في مدينة دمشق في سنوات متتالية، في شـــعبان / أيـــار ســـنة (765هـ – 1363م)([4])، وفي رمضـــان / شـــباط (770هـ – 1368 م)([5]) وفـــي محـــرم/ آب ســـنة (771هـ – 1369م)([6])، وفي سنة (773هـ – 1371م) ([7])، وفي صفر / آب سنة (774هـ – 1372م) ([8]) وفـــي رمضان / شباط سنة (775هـ – 1373م) ([9])، وفي محرم / حزيران ســـنة (776 هـ – 1374م) ([10]) وفي سنة (779هـ - 1377م) تفشى مرض الطاعون في معظم مناطق الشام ([11])، وفي سنة (783هـ - 1381م) تفشى الطاعون في مدينة صفد ([12])، وفي سنة (784هـ - 1382م) تفشى الطاعون بمدينـــة دمشق([13]).

1993م، 101؛ أبو غازي، عماد، **تطور الحياة الزراعية زمن المماليك الجراكسة**، 67؛ W .Dols, Michael, **The Black Death in The Middle East**, 96.

([1]) ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 116/3؛ ابن تغري بردي ، يوسف، **النجوم الزاهرة فـــي ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 155/10؛حسن،أسامة،**طومان باي**،20؛جورج،بيار،**معجم المصطلحات الجغرافية**،895.

([2]) Gasquet, Francis Aidan, 1846-1929. **The great pestilence**. P.1-14, Putnam, Bertha Haven, 1872-1960. **The enforcement of the statutes of laborers during the first decade after black death 1349-1359**,p.1-2.

([3]) السيوطي، عبد الرحمن، (ت911هـــ - 1505م) **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، مخطوط بمكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم 193، ورقة 15؛ الأنصاري، زكريا، (ت925هـــ - 1521م)، **تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين**، مخطوط في جامعـــة برنتسون، وتوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم 230، ورقة 110؛ الحجـــي حياة، **أحوال العامة في حكم المماليك**، 369؛ حتي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، 277/2؛ W .Dols, Michael, **The Black Death in The Middle East**,97

([4]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 402/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 274/4.

([5]) السخاوي،محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 171/1.

([6]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 176/1؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **بذل الطاعون في فضل الماعون**، 368؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 109.

([7]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 109.

([8]) ابن العراقي،أحمد، **الذيل على العبر في خبر من عبر**، 335/2؛ ابن عبد الباسط،خليل **نيل الأمل فـــي ذيـــل الـــدول** 42/2؛ داود،جورج،**مدينة حلب في العصر المملوكي الأول**،167، رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية،عمان،1980م.

([9]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 435/2.

([10])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 444/2؛ابن حجر العسقلاني،أحمد، **أنباء العمر بأبناء الغمر**،**1**/100.

([11]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 234/1.

([12])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 131/5؛ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 188/2.

([13]) ابن الشحنة،محمد،**روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**،219؛ابن حجر العسقلاني،أحمد،**أنباء الغمر في أبناء العمر**،8/2.

تعرضت مدينة حلب لتفشي الطواعين فيها في جمادى الأولى/ آذار سنة (787 هـ - 1385م)([1]) وفي سنة (789هـ - 1387م) ([2])، وفي سنة (790 هـ - 1388م) تعرضت مدينة دمشق لتفشي طاعون شديد فيها وصل إلى القدس وغزة والمناطق الساحلية لبلاد الشام ([3])، وفي جمادى الأولى/ آذار سنة (795هـ - 1393م) تفشى الطاعون من جديد بمدينة دمشق، وفي رجب/ أيار من السنة نفسها وصل امتداده حتى وصل إلى حلب وأعمالها، ومن ثم إلى حماة، وبعلبك، وغزة، والرملة([4]).

وفي جمادى الأولى/ آذار سنة (796هـ - 1394م) تفشى الطاعون بطرابلس وسواحل الشام وفي شهر رجب/ أيار وصل امتداده حتى صالحية دمشق ([5])، وتعرضت مدينة دمشق لتفشي الطاعون في سنة (799هـ - 1397م) ([6])، وكذلك في سنة (800هـ - 1398م) ([7]).

واجهت بلاد الشام طاعون شديد استمر يفتك بسكانها ثلاث سنوات متتالية وهي: سنة (812 هـ - 1409م) ([8]) وسنة (813هـ – 1410م) ([9]) وسنة (814هـ – 1411م) ([10])، وفي ربيع الأول/ نيسان سنة (819هـ - 1416م) تفشى الطاعون في كل من مدينة دمشق، وطرابلس ([11]).

([1])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،158/3؛ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 232/2.

([2]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**،181/1.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 144/3.

([4]) **نفسه**، 468/3.

([5]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 59/1؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 513/3.

([6]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 618/3؛الخرابشة، سليمان،**مملكة طرابلس في العهد المملوكي**،211،رسالة ماجستير،الجامعة االأردنية،1980م.

([7]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 297/1؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،3/ 658.

([8])المقريزي، أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،23/6؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،180/3.

([9]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي** ، 931/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 197/3.

([10]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 967/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 290/6.

([11]) العيني،محمود،**السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**،354، ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 363/2؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 198/9؛الخرابشة،سليمان،**مملكة طرابلس في العهد المملوكي**،211،رسالة ماجستير،الجامعة االاردنية،1985م.

وفي ربيع الأول/ آذار سنة (820هـ - 1416م) تفشى الطاعون في بلاد الشام ([1])، وفي شـعبان/ آب كثر انتشاره في كل من مدينة القدس، والرملة، وفي ذي الحجة/تشـرين الثـاني سـنة (825هـ - 1422م)، تفشى طاعون شديد بمدينة حلب ([2])، وفي ربيع الأول/ نيسان سنة (826هـ- 1423م) تفشى تفشى الطاعون في بلاد الشام([3])، وفي سنة (830هـ- 1426م) تفشى الطاعون في مدينة صـفد ([4])، وفي شعبان/ أيار سنة (832هـ - 1429م) تعرضت أرض فلسـطين لتفشـي الطـاعون ([5])، وفـي صفر/تشرين الأول سنة (833هـ - 1429م) تفشى الطاعون في كل من دمشـق، وحمـص، وحلـب وصفد، والرملة والقدس ([6])، ومن مميزات هذا الطاعون أنه خالف الطواعين السابقة في فترة حدوثه، إذ إن بداية تفشيه حصلت في فصل الشتاء وارتفع في الربيع، في حين كانت الطواعين السابقة تقع في فصل الربيع بعد انقضاء الشتاء، وترتفع خلال فصل الصيف، وكان المصاب بهذا الطاعون يموت وهو بعقله ويدرك ما يدور حوله وهو يحتضر، بينما الطواعين السابقة كان المصاب يموت وهو في غيبوبة فبين الأطباء سبب مخالفة هذا الطاعون راجع إلى سيلان الأخلاط ([7]) في الربيع وجمودها ([8]).

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،410/6.

([2]) ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 122/4؛ الحلبي، محمد، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 22/3.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،80/7؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل فـي ذيـل الـدول**،132/4؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**،475/2؛ ابن العماد الدين الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،251/9.

([4])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،148/7؛ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،210/4.

([5]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**،159/3.

([6])المقريزي،أحمد، **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 474/1؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكـر ملوك مصر والقاهرة**، 323/4؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **بذل الماعون في فضل الطاعون**،369؛ غوانمة، يوسف، **دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في الإسلام**، 192؛ W .Dols, Michael, **The Black Death in The Middle East**, 115

([7]) الأخلاط: هي أمزجة الإنسان الأربعة، ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، 127/5، مادة خلط.

([8]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،342/7.

وفي سنة (838هـ - 1434م) تفشى الطاعون بعامة بلاد المسلمين ([1])، وفي سنة (841هـ - 1437م) تفشى طاعون عظيم بمعظم البلاد الشامية ([2])، وفي سنة (852هـ - 1448م) تفشى الطاعون بحلب وأعمالها، وكانت منطقة بانقوسا ([3]) من أكثر المناطق تضرراً به([4])، وفي سنة سنة (853هـ - 1449م) تفشى الطاعون في البلاد الشامية ([5])، وانتشر في جمادى الآخرة/ آذار سنة (863هـ - 1459م) بمدينة حلب ([6]).

وفي سنة (864هـ - 1459م) تفشى الطاعون في كل من مدينة القدس، وغزة، وامتد انتشاره ليصل صالحية دمشق([7])، وفي رمضان/ آذار سنة (873هـ - 1468م) تفشى الطاعون في بلاد الشام([8]). واستمر انتشاره للسنة التالية حتى محرم/ تموز سنة (874هـ - 1469م) ([9])، وذلك بدليل تأكيد كل من ابن الصيرفي ، وابن سباط ، على ذلك بقولهم: "زادت حدة الطاعون"([10]).

([1]) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 328/9.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك** 555/7 ؛ المقريزي، أحمد، **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 479/1؛ ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 199/3؛ ابن عبد الباسط، خليل **نيل الأمل في ذيل الدول**،26/5؛ آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**، 396 شفيق،**سكان فلسطين في العهد المملوكي**،41، رسالة ماجستير، جامعة بير زيت، فلسطين،2003م.

([3]) بانقوسا:جبل في ظاهر مدينة حلب من ناحية الشمال، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 331/1.

([4]) الحلبي،محمد، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 46/3؛ الغزي،كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 229/3.

([5]) الأنصاري، زكريا (ت925هـ - 1519م) **تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين**، مخطوط في جامعة برنتسون،يوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم 230، ورقة110.

([6]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 16/ 105؛ا بن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 57/6.

([7]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 16/ 110؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 446/9.

([8]) ابن أجا، محمد، **العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار**، 45 البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 36.

([9]) ابن الصيرفي، علي، **أنباء الهصر بأنباء العصر**، 118؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 2/ 714.

([10]) **أنباء الهصر بأنباء العصر**، 118؛ **صدق الأخبار**، 714/2.

وفي محرم/ آذار سنة(881هـ - 1476م) تفشى الطاعون في بلاد الشام ([1])، واستهلت سنة(882هـ سنة(882هـ - 1477م) والطاعون متفشي بدمشق ومعظم بلاد فلسطين ([2])، وفي جمادى الآخرة/ آذار سنة(897هـ - 1492م) تفشى طاعون شديد وجارف في بعض مدن الشام ومنها: القدس، والرملة، وغزة، وكانت الخليل من أكثر المناطق تضرراً منه([3])، وفي شعبان/ نيسان(903هـ- 1497م) تفشى الطاعون بمدينة دمشق وضواحيها([4])، وفي جمادى الأولى/ تشرين الثاني سنة(904هـ- 1498م) تفشى ببيروت وباء توفي به خلق كثير ([5])، ولم تحدد المصادر نوعه، وفي سنة (909هـ- 1503م) تفشى طاعون شديد بالبلاد الشامية وكان أكثر انتشاره في كل من مدينة دمشق، وغزة، والرملة، والقدس([6])، وفي جمادى الأولى/ تموز سنة (919هـ - 1513م) تفشى الطاعون الشديد بمعظم البلاد الشامية ([7]).

2 ـ والأوبئة:

لقد تفشى في منطقة بلاد الشام في العصر المملوكي أمراض، وأوبئة غير الطاعون ولم تكن أقل خطورة منه، إذ كانت تترك آثاراً سلبية على جميع مناحي الحياة، ولكنها كانت تختلف عنه بأنها كانت أقل انتشاراً، وتنحصر في مناطق محدودة ومن هذه الأوبئة:

([1]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 81؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 125/3؛ عبد المنعم صبحي، **الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين**، 59.

([2]) ابن الجيعان، محمد، **القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف**، 122؛ البصروي، علي، **تاريخ البصروي** 83؛ العارف،عارف،**تاريخ القدس**،99.

([3])العليمي،عبد الرحمن،**الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 486/2؛ابن سباط،حمزة،**صدق الأخبار**، 904/2.

([4]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 22.

([5]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 921/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 374.

([6])ابن طولون،محمد،**أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**،118؛الدويهي أسطفان،**تاريخ الأزمنة**، 378.

([7]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 253/3؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 317/1.

أ ــ الوخم: ([1])

ففي سنة (685هـ - 1286م) تفشى الوخم في مدينة غزة ([2])، وفي سنة (726هـ - 1325م) تفشى وخم شديد عم المنطقة من الفرات وحتى مدينة دمشق، ولم تبق مدينة فيما بين ذلك إلا وكثر الموت في الناس منه([3])، وفي سنة (748هـ - 1347م) تفشى وخم عظيم بمدينة صفد([4])، وفي سنة (922هـ - 1516م) تفشى الوخم الشديد في بلاد الشام. ([5]).

ب ــ الحميات (الحمى):

في سنة (672 -1273م) تفشت في مدينة القدس والرملة حميات شديدة([6])، وفي سنة (800هـ-1397م) تفشى في معظم السكان ببلاد الشام حمى شديدة([7])، وفي سنة(806هـ - 1403م) تفشت الحمى الحمى بمدينة دمشق ودام مكوثها أشهراً عدة([8])، وفي سنة (816هـ - 1413م) تفشت الحميات في سكان كل من مدينة حلب، وحماة، ودمشق ([9]).

ج ــ الجدري والجرب:

([1]) عُرف الوخم: بأنه تعفن الهواء المورثُ للأمراض الوبائية الضارة، ومن يكون أكثر عرضة لهذا المرض السكان اللذين يهاجرون من مناطق سكناهم إلى مناطق أخرى؛ لأنهم لم يعتادوا مناخ المنطقة التي هاجروا إليها، وذلك بدليل أن المسلمين لما فتحوا منطقة العراق ونزل الجيش الإسلامي بالمدائن سنة (17هـ - 638م) بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبشره بالفتح، ولما وصل الوفد الذي بعثه سعد للخليفة، لم تعجب الخليفة حالتهم ومنظرهم إذ أصبحوا نحفاء، وأوجههم صفراء فسألهم الخليفة عن سبب تغير أحوالهم وألوانهم، فقالوا له: "وخومة البلاد غيرتنا"، فطلب عمر بن الخطاب من سعد بن أبي وقاص أن يبحث للمسلمين عن منطقة تلائمهم، وتكون منطقة جافة وملائمة لرعي الإبل؛ لأن العرب لا يوافقها إلا ما وافقت إبلها من البلدان، وعندما قدم السلطان العثماني سليم الأول إلى الشام سنة (922هـ - 1516م) كان أكثر ضحايا الوخم الذي أصاب الشام من الجيش العثماني، للمزيد انظر، أبو يوسف، يعقوب، **الخراج**، 17؛ اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، 138/2، الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك**، 719/2؛ ابن منظور،محمد، **لسان العرب**،175/15، مادة وخم؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 126/5.

([2]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 351/2.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 90/3.

([4]) ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 116/3.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 90/3.

([6])المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 87؛ الإمام، رشاد، **مدينة القدس في العصر الوسيط**، 158.

([7]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 307/1.

([8]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 354/6.

([9]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهو في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 686.

في سنة(916هـ-1510م) تفشى في سكان منطقة بلاد الشام جدري عام، ولم يسلم منه إلا القليل[1] وفي سنة (917هـ-1511م)أصيب معظم سكان دمشق بالجدري، وبُعث منه الجرب والحكاك[2].

د ـ السعال والزكام:

تفشى مرض الزكام والسعال في مدينة دمشق في سنة (726هـ - 1325م) [3]، وفي سنة (816هـ - 1413م) [4]، وسنة (916هـ - 1510م) [5]، وكذلك في سنة (920هـ - 1515م)[6].

الفصل الثاني

أثر الكوارث الطبيعية على الناحية الاقتصادية والبيئية

---

(1) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 225/3.

(2) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 381.

(3) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 123/2.

(4) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 348/4.

(5) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 228/3.

(6) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 323/2.

الفصل الثاني

آثار الكوارث الطبيعية في الناحية الاقتصادية والبيئية:

أولاً: الزراعة:

تعرضت الزراعة بشكل عام في بلاد الشام إلى التخريب، والتلف، والتدمير بفعل الكوارث الطبيعية المختلفة، وقد أثر ذلك وانعكس بشكل سلبي على الدولة المملوكية ومجتمعها من ناحية اقتصادية، وقد ظهر ذلك بشكل جلي وواضح على النواحي التالية:

1 ــ تلف المحاصيل الزراعية وارتفاع أسعارها:

أ ــ دور السيول:

كان للسيول آثار على تلف المحاصيل الزراعية والأشجار، مما أدى إلى ارتفاع أسعار المحاصيل المتضررة، وقلة توفرها في الأسواق، ويبدو أن أشجار الجوز كانت من أكثر الأشجار عرضة للتلف جراء السيول، ومثال ذلك السيل الذي تشكل في مدينة دمشق سنة (669هـ - 1271م)، إذ اقتلع عددا كبيراً من أشجار الجوز فيها ([1])، وقال النويري في ذلك: "واقتلع أشجار جوز عاتية" ([2])، وقدر عدد أشجار الجوز التي اقتلعها السيل الذي تشكل في بعلبك سنة (787هـ - 1385م) باثنتي عشرة ألف شجرة([3])، وهذا بحد ذاته رقم كبير لا بد أنه أثر في إنتاج المحصول من حيث توفره في السوق وارتفاع أسعاره؛ كما أثر سلباً في اقتصاد أصحاب هذه الأشجار.

وترك تشكل السيول آثارا على جرف وتدمير البساتين المزروعة بأشجار الكرمة، وهذا ما حدث في السيل الذي تشكل في مدينة بعلبك سنة (692هـ - 1293م) إذ جرف عدداً كبيراً من كرومها، فترك

([1]) المنصوري، بيبرس، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، 72؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 190/2؛ المقريزي أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 72/2؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 1/ 432.

([2]) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/30.

([3])ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 157/3؛ابن حجر العسقلاني،أحمد،**أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** 164/3؛حجة شوكت، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن (من جنوب الشام) في عصر دولة المماليك الثانية**، 263.

آثاراً بالغة في القطاع الزراعي، إذ قدرت خسائره بمائة وخمسين ألف دينار ([1])، وهذا بدوره قد انعكس على أوضاع الناس والفلاحين داخل المدن المتضررة من ناحية انتشار الفقر، وحدوث المجاعات، وعندما تكرر تشكله فيها سنة (717هـ - 1317م) جرف أربعين بستاناً أخرى بشكل تام معظمها مزروعة بأشجار الكرمة، وتشعث سبعة وسبعون بستاناً آخر([2])، ويبدو أن هذا ترك آثاراً بالغة في تراجع النمو الاقتصادي للمدينة، وأصبح أبناء الطبقة البرجوازية فقراء من كثرة ما فقدوه من أملاكهم ([3]).

تأثرت مدينة عجلون بالسيل الذي تشكل فيها سنة (728هـ - 1328م)، آثاراً اقتصادية انعكست على نفسية فلاحي المدينة؛ بسبب إتلاف محاصيلهم، وقدرت خسائرهم في القطاع الزراعي بمائتي وسبعين ألف درهم ([4])، وتأثرت المحاصيل الزراعية في الكرك جراء تشكل السيل فيها سنة (761هـ - 1360م)، فأتلف عدداً كبيراً من أشجارها ([5]).

ورغم أن تشكل السيول كان ناتجاً عن تساقط الأمطار الغزيرة، إلا أن استمرار هطولها أيضاً أثر بشكل واضح في توفر محصول القمح في بعض المناطق، إذ تفيدنا المعطيات المتوفرة في المصادر التاريخية أن محصول القمح في مدينة غزة أصيب بالتجلد ([6]) سنة (700هـ- 1300م) جراء

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 152/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 240/2.

([2]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 473/1؛ الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 242؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 254/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 158/14؛ ابن سباط حمزة، **تاريخ ابن سباط**، 628/2؛ غوانمة، يوسف، **التجارة الدولية في مناطق شرق الأردن (من جنوب الشام) في العصر المملوكي**، مجلة دراسات تاريخية، ع23، 1986م، 95؛ البعلبكي، ميخائيل، **تاريخ بعلبك**،62،63.

([3]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 254/2؛ حمد، فيصل، **الأسواق الشامية في العصر المملوكي**، 163، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([4]) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 406/2؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 189/2 تورا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 101.

([5])الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 186/4؛ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 361/14؛السخاوي محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 108/1.

([6]) التجلد: الأرض المجلودة أصابها الجليد، وجلد البقل، ويقال: في الصقيع والضريب، ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، 175/3، مادة جلد؛جورج، بيار،**معجم المصطلحات الجغرافية**،150

تساقط الأمطار الغزيرة لمدة أربعين يوماً بشكل متواصل ([1])، ويبدو أن هذا أثــر ســلباً فــي تــوفر محصول القمح وارتفاع أسعاره، إلى جانب تأثر الفلاح من ناحية معيشــية ونفســية بســبب وضــعه المتردي .

ب ـــ دور الثلوج والبلاد والصقيع:

وتسبب تساقط الثلوج على مدينة دمشق سنة (745هـ - 1345م) بشــكل غيــر مــألوف طــوال أسبوعين ـــ منها خمسة أيام متواصلة ـــ آثاراً كبيرة في القطاع الزراعي، فأُتْلفَ محصول القمح، مما أثر في ارتفاع أسعاره، وكَسَّر أغصان أشجار التفاح، وأتلف عدداً كبيراً من أشجار العنــب، وطــال ضررها مراعي المواشي، فقلت الأعلاف ونفقت أعداد كبيرة من الأغنام، مما أدى إلى ارتفاع أسعار لحومها، فبيع الرطل ([2]) بسبعة أو ثمانية دراهم بعد أن كان يباع بثلاثة أو أربعة من قبل ([3])، وكــان لسقوط الثلوج سنة (896هـ - 1490م) آثار واضحة من حيث تكسير أغصان الأشجار، خاصة أشجار الزيتون، مما أثر في توفر منتوج الزيت في تلك السنة، وارتفع سعره، وبيع الرطل منه بستة دراهــم بعد أن كان يباع بثلاثة من قبل، وبالمقابل نرى أنه ترك آثاراً على تراجع أسعار الحطــب؛ لإغــراق الأسواق بكميات كثيرة من حطب الأشجار التي كسرت، فبيع القنطار ([4]) بعشرة أوخمسة عشر درهماً

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 258/31.

([2]) الرطل: هو وحدة وزن شاع استخدامها في كل من مصر والشام، فالرطل المصري اثنتا عشرة أوقية، والأوقية: اثنــا عشــر درهماً، فيكون الرطل المصري مائة وأربعة وأربعين درهماً، ورطل دمشق اثنتا عشرة أوقية، والأوقية خمسون درهمــاً، فيكــون الرطل الدمشقي ستمائة درهم، واختلفت وحدة وزن الرطل في بلاد الشام من بلد إلى آخر، فرطل دمشق وطرابلس واحد، ووزنه (1.85كغم)، والرطل الحلبي (2.273 كغم)، ورطل حماة (2.063 كغم)، والرطل الحمصي (2.7 كغم)، ابن الرفعة، أبو العبــاس **الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان**، 76؛ المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 94؛ هنتس، فــالتر، **المكاييــل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، 34؛ الخاروف، محمد، **وحدات الوزن وآلاتها عند المسلمين**، مجلة البحــث العلمي، جامعة أم القرى، مج1، ع4، 1981م، 453.

([3])ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 297/14؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 413/1؛ابــن حبيــب، الحســن **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 64/3، 65؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 42/3.

([4]) القنطار: هو ملء مسك ثور ذهباً، وقيل أربعون أوقية ذهباً، وقيل ألف ومائتا دينار، وهــو ألــف ومائتــا أوقيــة المقريزي، أحمد، **الأوزان والأكيال الشرعية**، 73؛ جمعه، علي، **المكاييل والموازيين الشرعية**، 24.

بعد أن كان يباع بثلاثين[1]، ويبدو أن هذا في حد ذاته كان له أثر إيجابي في بعض فئـات المجتمـع كالفقراء، حيث إنهم استفادوا من تدني سعره.

ولم تكن موجات تساقط البرد أقل ضرراً من تساقط الثلوج، إذ أدى تساقطها في بعض السـنوات إلى إتلاف المحاصيل الزراعية وثمار الفاكهة، ففي سنة (692هـ - 1293م) أتلف بمدينة دمشق ألـف وخمسمائة مكوك [2] من محصول القمح [3]، وأصيبت ثمار الفاكهة بنكسة لكثرة ما أتلف منها سـنة (800هـ - 1398م) [4]، ونثر ثمار التفاح والمشمش قبل نضوجها في سنة (922هـ - 1516م) [5]

وقد أثر تساقط البرد في بعض الأحيان في عدم توفر محصول القمح في الأسواق، وهذا بـدوره دفع التجار لاستيراده من الخارج لتغطية النقص الحاصل، مما ترك آثاراً سلبية في الوضع الاقتصادي من أجل الحصول عليه، ومثال ذلك ما حصل سنة (725هـ - 1325م) في مدينة حلب، إذ أدى تساقطه إلى إتلاف سنابل القمح قبل حصادها، فقدر التالف منه بألفٍ وخمسمائة وثلاثين مكوكاً، فحصل النقص الحاد لمنتوجه وارتفعت أسعاره، واضطر تجار حلب إلى استيراد القمح من مصر، ومناطق السـاحل الشامي لسد النقص الحاصل بأسواق المدينة، ولم تسلم الأشجار من شدته، إذ أبـاد من أشـجار بهسنا[6] أعداداً كبيرة[7]، ومن خلال المصادر التاريخية تبين لنا أن موجات الصقيع والبَـرْدْ أتلفـت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، وأحرقت أوراق الأشجار، وأتلفت ثمارها، وتركت أغصانها

---

(1) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 112/1.

(2) المكوك: مكيال لكيل الحبوب، ويختلف مكياله في بلاد الشام من بلد لآخر، ففي الرملة يعادل (19.8 كغـم)، وفـي حلب (61 كغم)، الشيزري، عبد الرحمن، **نهاية الرتبة في طلب الحسـبة**، 17؛ هنـتس، فـالتر، **المكاييـل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، 75.

(3) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 51/14.

(4) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 654/3.

(5) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، 211.

(6) بهسنا: قلعة حصينة بالقرب من مرعش، وهي من أعمال حلب، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 514/1.

(7) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 63/1، 64؛ توما، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 242.

حطباً وهي قائمة، ففي سنة (667هـ - 1268م) تعرضت بلاد الشام عامة لموجة الصـــقيع والبَـــرْدْ، فأُتلفت غالبية الزروع والثمار فيها ([1])، وعندما تكرر ذلك في سنة (799هـ - 1396م) أتلـــف أوراق أشجار اللوز والمشمش، ولم يخرج من الكروم شيءٌ في تلك السنة ([2])، ويبدو أن آثار ذلك قد تمثلـــت في تراجع منتوج الدبس، وارتفاع أسعاره، وفي سنة (841هـ - 1438م) صقعت أشجار غالبية الـــبلاد الشامية وأصابها الضعف الشديد، وأصبحت حطباً وهي قائمة، واسودت أوراقها، ولم ينجُ مـــن هـــذه الموجة إلا أوراق أشجار الصفصاف ([3])، ويبدو أن ذلك أثر في توفرها في الأسواق مما انعكس ســـلباً على نفسية الفلاحين ومعيشتهم .

وتبين لنا من خلال المصادر التاريخية أن القطاع الزراعي بمدينة دمشق نال السواد الأعظم مـــن الضرر جراء حدوث موجات الصقيع، إذ أتلف فيها وبضواحيها أوراق الأشجار وثمار الفواكه وهـــي على غصونها، مما أثر على انخفاض حاد في توفر الفاكهة في الأسواق، وأدى ذلـــك إلـــى ارتفـــاع أسعارها، وهـــذا مـــا حصـــل في سنـــوات (666هـ-1267م)([4])، و(691هـ-1292م)([5])، و(729هـ-

و(729هـ-

1329م)([6])، و(811هـ -1408م) ([7])، و(907هـ - 1502م)([8]).

وبسبب الصقيع تعرضت الزروع بمدينة دمشق إلى التلف،إذ كانت تحرق وتسود، مما أثـــر فـــي توقف نموها، وتراجع إنتاجها، وارتفاع أسعارها، وهـــذا مـــا حـــدث لهـــا فـــي ســـنوات (691هـ -

---

([1]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 51/2؛ الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 382/2.

([2]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 224/2؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تـــاريخ ابـــن قاضـــي شـــهبة**، 613/3 المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،114/7؛ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 172/4.

([3]) الصيرفي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 419/3؛ ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،27/5.

([4]) الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 362/2.

([5]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 119/1؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 274/2.

([6]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**،332/2.

([7]) ابن حجي، **تاريخ ابن حجي**، 866/2.

([8]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 207/1.

1292م)([1])، و(907هـ - 1502م) ([2])، ومن أمثلة ذلك ـ أيضاً ـ ما ذكره الدويهي سنة (707هـ - 1307م) عندما تعرضت كل من بلاد حوران ومرج بن عامر لموجة الصقيع الشديد فقال:" صقع الزرع بعد خصبه خصباً " ([3]).

وكان لموجات الصقيع آثار مدمرة في تلف المحاصيل الزراعية وخاصة محصول الخضروات والورود، ومثال ذلك ما حدث سنة (729هـ - 1329م) في مدينة دمشق إذ أتلف محصول الباذنجان فيها، وتكبد الفلاحون فيها جراء ذلك خسائر فادحة، إذ قدرت خسائرهم بمائتي ألف درهم ([4])،وكان لتلف محصول الورود في غوطة دمشق سنة(811هـ- 1408م)([5]) آثار بالغة في توفر العقاقير والأدوية المحلية ـ المركبة منه ـ من ناحية توفرها وارتفاع أسعارها([6])، ويبدو أن ذلك قد أثر في مدخولات الدولة المالية لتوقف تصدير ماء الورد إلى مصر والحجاز وبلاد السند لقلة وجوده، وإلى جانب ذلك تأثر الفلاحون والتجار على حد سواء من الناحية المعيشية ([7]).

ج ـ دور الرياح:

وترك هبوب الريح آثارا مدمرة وبالغة في الأشجار، مما أثر في توفر ثمارها في الأسواق وارتفاع أسعارها وتحديداً أشجار المناطق المرتفعة، ومثال ذلك ما حدث سنة (759هـ - 1357م) في مدينة دمشق عندما هبت عليها ريح عاصفة فاقتلعت أعداداً كبيرة من أشجارها ([8])، وعندما تكرر هبوبها عليها سنة (783هـ - 1381م) اقتلع أعداداً كبيرة من أشجار الجوز من مغارسها، ورمى ثمار

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 119/1؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 274/2.

([2]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 207/1.

([3]) **تاريخ الأزمنة**، 291.

([4]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 332/2.

([5]) **ابن حجي، تاريخ ابن حجي**، 866/2.

([6]) البدري، عبد الله، **نزهة الأنام في محاسن الشام**، 307، 308.

([7]) ابن الشحنة، **الدرر في تاريخ مملكة حلب**، 197؛ البدري، عبد الله، **نزهة الأنام في محاسن الشام**، 118.

([8]) ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 129/2.

الأشجار على الأرض قبل نضوجها حتى أصبحت أكواماً كالبيادر([1])، ويبدو أن ذلك أثر في توفر ثمار الأشجار، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها، وتكرر ذلك في سنة (806هـ - 1404م) عندما هبت الريح على دمشق في شهر نيسان، إذ سقطت من شدتها أوراق الأشجار، وتطايرت أزهارها وسقطت ثمارها على الأرض([2]).

وفي مدينة حلب اقتلعت الريح الشديدة أشجاراً رومية كثيرة من شجر البلوط والزيتون في سنة (717هـ - 1317م) ([3])، وفي طرابلس تضررت محاصيل القمح والزروع في أربع وعشرين قرية من من شدتها سنة (718هـ - 1318م)، حتى أنها لم ترد بذارها في تلك السنة([4]).

ونلاحظ أن بلاد فلسطين كانت في طليعة البلدان الشامية من حيث كمية إنتاج زيت الزيتون وجودته، وكانت تعتمد بدرجة أولى على زيادة خزينتها المادية بالمردود الذي تحصل عليه جراء تصديره إلى الشام، ومصر، والحجاز، واليمن، فكان يحمل من زيتها سنويا ألف قنطار لإضاءة الجامع الأموي بدمشق([5])، ولكن كان لإتلاف أعداد من أشجار الزيتون جراء هبوب الريح الشديدة، أثر بالغ في تراجع كمية الزيت المصدر، مما ترك آثاراً في خلق أزمة اقتصادية خانقة؛ بسبب نقصان خزينة البلاد المادية، وهذا ما شهدته مدينة سخنين عندما هبت عليها الريح الشديدة سنة (909هـ - 1504م) إذ اقتلعت ألفي شجرة من أشجار الزيتون فيها([6]).

([1]) ابن العراقي، أحمد، **الذيل على العبر في خبر من عبر**، 516/2؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 254/1؛ ابن عبد الباسط ،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 178/2.

([2]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 625/2.

([3]) ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 181/2؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 633/2 الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**،300.

([4]) البرزالي، القاسم، **الوفيات**، 453.

([5]) الدمشقي، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 194؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 381/2؛ ابن ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 163/14.

([6]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 258/1.

د ـــ دور الصواعق والقحط والجفاف:

وقد أثر وقوع الصواعق على توفر الأشجار بأصنافها المختلفة، وكذلك أثرت بشكل بالغ في ارتفاع أسعار القمح لإحراق مساحات شاسعة من حقوله، ويتضح ذلك في الصاعقة التي وقعت بمدينة طرابلس سنة (740هـ - 1339م)، إذ أحرقت أعداداً كثيرة من أشجارها ([1])، والصاعقة التي وقعت بمدينة حلب سنة (894هـ - 1489م) أحرقت مساحات شاسعة من أراضيها التي كانت مزروعة بمحصول القمح([2]).

ونجد أن موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام تركت آثاراً سلبية في القطاع الزراعي وخاصة محصول القمح، إذ أدت إلى نقصه من الأسواق، وبذلك زاد الطلب مع قلة العرض، فأثر على ارتفاع أسعاره بشكل كبير جداً، وهذا ما حصل سنة (658هـ - 1259م) عندما اجتاحت موجة القحط والجفاف بلاد الشام، إذ تراجع إنتاج محصول القمح فأثر في ارتفاع أسعاره بنسبة 40% في مدينة حلب، وبيع المكوك بمائة درهم بعد أن كان يباع بستين([3]).

ونستشف من خلال ما أوردته المصادر التاريخية أن غالبية المحاصيل الزراعية فقدت من الأسواق الشامية لقلة الزروع جراء اجتياح موجة القحط والجفاف سنة (659هـ - 1260م)، فأثرت في ارتفاع أسعارها، وارتفع سعر القمح بنسبة تقارب 200% إذ جاوز سعر الغرارة مائة وسبعين درهماً بعد أن كانت تباع بثمانين أوتسعين، وانعكس أثر نقصه على ارتفاع أسعار الخبز بنسبة 66.3% إذ بيع الرطل منه بثلاثة دراهم بعد أن كان يباع بدرهم واحد، ولم يقتصر خطر هذه الموجة على محصول القمح فحسب، بل طالت معظم المنتوجات الزراعية الأخرى، وخاصة الخضروات والفواكه، مما أثر في ارتفاع أسعارها فبيع رطل الرمان بثلاثين درهماً، وحبة التفاح الواحدة بخمسة دراهم، والبصلة

([1])الذهبي، محمد،**ذيول العبر في خبر من غبر**،11/4؛ابن العماد الحنبلي،عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،219/8.

([2])ابن عبد الباسط، خليل ، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 162/8.

([3]) اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 114/4.

بنصف درهم، والحزمة من البقل بدرهم([1]). ولجأ تجار الشام إلى استيراد المنتوجات من مصر لتغطية النقص الحاصل في المواد الغذائية، إلا أن ذلك لم يخفف من الضائقة الاقتصادية، فلجأ التجـــار إلـــى توسيع دائرة الاستيراد من أوروبا، واستغل الفرنج هذه الظروف وأنزلوا كميات كبيـــرة مـــن القمـــح لسواحل بلاد الشام وباعوها بأثمان عالية، وبانتقال رصيد الأموال التي كانت لدى المسلمين للفرنج لسد أثمان القمح استؤصلت أموالهم، مما ترك آثاراً بالغة على إرهاق خزينة البلاد المالية، وتقليص حجـــم العملات المتداولة في أسواقها([2]).

ونلاحظ مما سبق أن الاحتلال الفرنجي قد استغل تردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد الشـــامية بسبب الكوارث الطبيعية لمصلحته الخاصة، مما أضر باقتصاد البلاد الشامية بخاصة، ودولة المماليك عامة، وبذلك عملوا على تقوية اقتصادهم ومدخولاتهم على حساب المماليك، وهذا بحد ذاته اضـــعف قدرة المماليك على تحرير المناطق التي تخضع للفرنجة.

ومن الآثار السلبية للجفاف في القطاع الزراعي، أنه كان يؤدي إلى تيبس سنابل القمح وهي على وشك النضوج، وهذا بدوره كان يؤثر في تراجع كميات إنتاجه، وهذا ما حدث في موجة سنة (694هـ - 1295م) إذ أدت إلى ارتفاع أسعاره بنسبة تقارب 100%، فبيعت الغرارة بمائتي درهم بعد أن كانت تباع بمائة درهم وأقل، والشعير أصبح بمائة وعشرين بعد أن كان يباع بستين أو أقل ([3]).

وقد ترك انحباس الأمطار آثاراً بالغة في نقص مياه الشرب، مما أثر على ارتفاع أسعارها، وهذا ما حصل في موجة سنة (695هـ - 1296م)، إذ استهل الشتاء والمناخ بلاد الشام بعامة صيفاً وكأنهـــا شهر تموز، فنضبت الينابيع، وجفت الأنهار، وارتفعت أسعار مياه الشرب، فكان المسافر يسقي دابتـــه بدرهم، ويشرب هو بربع درهم، وبيعت جرة الماء بمدينة القدس بنصف درهم أودرهم؛ وبالإضافة إلى

([1]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 72/2؛ ابن دقماق، إبراهيم، **نزهة الأنام في تاريخ الإســـلام**، 273 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 268/2؛ السيوطي، عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، 64.

([2])الداوداري،أبو بكر،**كنز الدرر وجامع الغرر**،85/8؛ المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،273/2.

([3]) المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 34؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشـــام في العصر المملوكي**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة الرسالة، الحولية 28، الرسالة272، 2008م، 45.

ذلك لم تنبت الزروع من الأرض، مما أثر في ارتفاع سعر القمح، فبيعت الغرارة بمائة وأربعين درهماً، وما هي إلا فترة وجيزة حتى ارتفع سعرها لتباع بمائة وستين، ثم تزايد سعرها حتى وصل المائتي درهم، والشعير أصبح يزيد عن المائة([1])، وقد ازداد الوضع سوءاً في السنة التالية (696هـ-1297م) للسبب ذاته، إذ فقدت الأقوات والقمح من بلاد الشام بعامة ،واشتدت حدة الغلاء فبيع إردب([2]) القمح بمائة وسبعين درهماً، والشعير بمائة وعشرين([3]).

وكان من آثار موجة القحط والجفاف التي اجتاحت البلاد الشامية سنة (725هـ - 1325م) أن قلت الخضروات وخاصة محصول الخيار، الذي ارتفع سعره بشكل خيالي، فبيع الرطل منه بخمسة عشر درهماً بعد أن كان يباع من قبل كل عشرين رطلاً بدرهم([4])، ويبدو أن ارتفاع أسعار محصول الخيار بشكل حاد راجع لكثرة استعماله في معالجة بعض الأمراض كالحمى والطاعون، بحيث كان يستخلص لبه ويخلط مع الحوامض لتخفيف درجة حرارة المصاب، وتنشيط حركة دم جسم المصاب([5]).

هـ ـــ دور انحباس الأمطار:

وكان من آثار انحباس الأمطار سنة(748هـ- 1347م) أن الأرض لم ينبت فيها الزروع إلا القليل وعجز محصول السمسم عن النمو، وتيبست الأشجار وخاصة أشجار الزيتون، فقلت الثمار والغلة، مما ترك آثاراً في ارتفاع أسعار المنتوجات الزراعية في تلك السنة بشكل فاحش، فبيع الرطل من زيت

([1])ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 1/ 182؛ مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 37؛ ابن الفرات محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 145/8.

([2]) الأردب: مكيال مصري للحنطة ويساوي أربعاً وعشرين صاعاً، المقريزي، أحمد، **المكاييل والأوزان الشرعية** 80؛ هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري**، 59.

([3])الذهبي، محمد، **العبر في خبر من غبر**، 385/3؛البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 446/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 268/2؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 211/8؛ ابن إياس، محمد، **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، 83.

([4]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 64/2؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 224/2؛ ؛ ابن كثير، إسماعيل **البداية والنهاية**، 14/؛192 البرزالي، القاسم، **تاريخ، البرزالي**، 473/4.

([5]) البيلوني، محمد (ت 1085هـ - 1674م)، **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون** مخطوط موجود بمكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم 5605، ورقة 22.

الزيتون والسيرج بستة أوسبعة دراهم بعد أن كان يبـــاع بثلاثة، وبيع مد([1]) القمح بأربعة([2])،ويروي المقريزي أن الغرارة من القمح كانت تباع في بلاد الشام سنة (754هـ - 1353م) بثمانين درهما قبـــل موجة القحط والجفاف، وارتفعت في أثناء اجتياحها بنسبة تقارب 33.3% إذ بيعت بمائـــة وعشـــرين درهماً، وطال ضررها حتى أثر في تناقص أعلاف الحيوانات ،وارتفاع أسعارها، فبلغ سعر حمـــل([3]) التبن أربعين درهماً بعد أن كان يباع بعشرين أو أقل([4])، ويبدو أن ذلك قد أثر في ارتفاع أسعار اللحوم الطازجة .

وازداد الوضع سوءاً في سنة (797هـ - 1394م) إذ يبست الزروع في أرضها وعـــز وجـــود القمح، فبيعت الغرارة بأكثر من مائتي درهم([5])، واستمر الوضع من سيء إلى أسوأ في سنة (798هـ - - 1394م) إذ كان لانحباس الأمطار في شهري شباط وآذارـــ وهي في مرحلة انعقاد البذورــــ دور في جفاف السنابل قبل نضوجها، فعانت البلاد من قلة وجود القمح وارتفـــع ســـعره ليســـجل أعلـــى المستويات في تاريخ حدوث القحط والجفاف في العصر المملوكي، فبيعت الغرارة بأكثر من خمسمائة درهم([6]) وهلت سنة (799هـ - 1396م) والبلاد على حالها لاستمرار القحـــط والجفـــاف، فارتفعـــت أسعار القمح حتى عجز السكان عن شرائه إن وجد، وبلغ سعر الغرارة بمدينة القدس أكثر مـــن ألـــف درهم بعد أن كانت تباع قبل اجتياح الموجة بثلاثمائة([7])، وتركت موجة القحط والجفاف سنة (807هـ - - 1404م) آثاراً في تراجع مياه الورد في البلاد الشامية، وتراجعت صادرات البلاد، مما أثر علـــى

([1]) المد: سمي مداً على أساس أن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً، وهو الحفنة بالكفين العريضين، ويبلغ وزنه رطلاً وثلثاً، ابـــن الرفعة، أبو العباس، **الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان**، 56؛ المقريزي، أحمد، **الأوزان والأكيال الشرعية**، 77.

([2])ابن كثير،إسماعيل،**البداية والنهاية**، 307/14؛ابن قاضي شهبة، أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 508/1.

([3]) الحمل: هو ما يحمل من الغلال وغيرها على ظهور الحيوانات، فحمل البعير وسق، والوسق: ستون صاعاً، والصاع: خمســة أرطال ونصف، وحمل البغال والحمير وقر، والوقر: خمسة عشر صاعاً، الخوارزمي، محمد، **مفاتيح العلوم**،11؛ ابن الرفعة، أبو العباس، **الإيضاح والتبيان في معرفة المكاييل والميزان**، 63؛ المقريزي، أحمد، **الأوزان والأكيال الشرعية**، 77.

([4]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 186/4.

([5]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 544/3.

([6]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 165/1.

([7]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 611/3؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 398/5.

مردودها المادي في تلك السنة، ويعلل ابن قاضي شهبة أن سبب قلته في تلك السنة راجع إلى ارتفاع درجات الحرارة وقلة المياه والبَرْدْ([1]).

وكان لانحباس الأمطار في بعض السنوات آثار في ترك الأرض الزراعية بوراً، لتخوف الفلاحين من عدم الحصول على مردود مزروعاتهم، كما حدث في سنة (873هـ - 1468م) إذ قلت المحاصيل الزراعية، وارتفعت أسعارها، فبيع رطل الأرز بخمسة عشر درهماً بعد أن كان يباع بثلاثة، ورطل الجزر بدرهمين، ورطل البصل بثلاثة، ورطل الحمص بأربعة، ورطل الفول بخمسة بعد أن كانت تباع بأقل من هذه الأسعار قبل ذلك([2]).

و ــ دور الجراد:

وكان الجراد من أكثر الآفات الزراعية خطورةً على القطاع الزراعي، فعندما كانت تهاجم البلاد الشامية يؤثر في إتلاف المحاصيل الزراعية وخصوصاً القمح ويتسبب في نقصه، مما كان يدفع البلاد الشامية إلى استيراده بكميات كبيرة لسد النقص الحاصل، وهذا بدوره انعكس سلبياً على خزينة البلاد المالية، مما أثر على الأوضاع الاقتصادية للمنطقة، ومثال ذلك: ما شهدته البلاد الشامية بالهجومين المتتاليين سنة (701هـ - 1302م) ([3])، وسنة (702هـ - 1303م) ([4]) إذ أكل حال وصوله جميع ما في في دمشق من زروع وثمار، وجرد الأشجار من أوراقها حتى أصبحت كالعصي([5])، ووصف الذهبي ذلك كشاهد عيان بقوله: "جاء دمشق جراد عظيم فما ترك حشيشة خضراء، وأكل أوراق الأشجار،

([1]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 413/4.

([2]) البصروي،علي،**تاريخ البصروي**،34؛ العليمي،عبد الرحمن،**الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**،410/2.

([3]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 1/ 656؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 3/ 185؛ الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 3/4؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 4/ 176؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 1/ 576؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 283؛ حمد الفيصل، **العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكيين الأول والثاني**، مجلة المنار،مج 14،ع 2008/2م، 292.

([4]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 283؛ حمد الفيصل، **العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكيين الأول والثاني**، مجلة المنار، 14، 2008/2م، 292.

([5]) **ذيول العبر في خبر من غبر**، 3/4.

وبقي حبه على أغصانه، ورأيت بعض الحب قد أكل نصفه وكان ذلك عبرة"([1])، وبذلك نجد أنه تــرك آثاراً في نقص محصول القمح، وارتفاع أسعاره فبيعت الغرارة بمائتي درهم بعد أن كانت تباع بثمانين درهماً من قبل، وهذا ما أجبر البلاد الشامية على استيراد القمح من الديار المصرية لتغطيــة الــنقص الحاصل في أسواقها، وعلى أثر هذا تراجعت أسعار القمح بنسبة 40% فبيعت الغرارة بعــد وصــول القمح المصري بمائة وعشرين درهماً([2])، وعندما تكرر هجومه على بــلاد الشــام ســنة (724هـ - 1323م) ترك آثاراً بالغة في القطاع الزراعي إذ جرد الأشجار من أوراقها، وأكل محصول القمح وهو على وشك النضوج فعز وجوده وارتفعت أسعاره بنسبة 100%، فبيعت الغرارة بمائتي درهم بعــد أن كانت تباع بمائة أو أقل، وهذا بدوره ترك آثاراً بالغة على رصيد الخزينة المالية للبلاد الشامية، إذ تم اللجوء إلى معالجة النقص الحاصل من محصول القمح عن طريق استيراده من البلاد المصرية، وبلغ مجمل ذلك عشرين ألف إردب([3])، ويبدو أن هذه الكمية كانت كافية لتغطية العجز بــدليل أن أســعار القمح تراجعت بعد وصول الصفقة بنسبة تراوحت بين 40% إلى 60% فبيعت بــين ثمــانين ومائــة وعشرين درهماً بعد أن كانت بمائتي قبل وصوله([4]).

وفي سنة (747هـ - 1346م) عندما هاجم الجراد بلاد الشام وارتعى محصول الشــعير بمدينــة دمشق ــ وهو في المراحل الأولى من نموه ــ عزّ وجوده وكأنه لم يزرع في تلك السنة؛ مما أثر في توفره في الأسواق وارتفاع أسعاره، وعندما تكرر هجوم الجراد ســنة (748هـ - 1347م) ارتعــى محصول القمح بدمشق مما أدى إلى حصول نقص حاد في كميته، وارتفعت أسعاره لدرجة أن الغرارة

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 91/14؛ أبو زيتون، منال، **المجاعات في مصر وبلاد الشــام فــي العصــر المملوكي**، 25، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1998م.

([2]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 656/1؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 185/3؛ الذهبي، محمــد، **ذيــول العبر في خبر من غبر**، 3/4.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 72/3؛ مقابلة، إيمان، **القرية في بلاد الشام في العصر المملــوكي** 197، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1998م.

([4]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 265/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،72/3.

بيعت بمائتي درهم بعد أن كانت بثمانين أو اقل، أي ارتفع سعره بنسبة 120% ([1])، ومن الآثار التي تركها – أيضاً – عندما تكرر هجومه سنة (752هـ - 1351م) في مدينة دمشق زادت أسعار القمح بنسبة 33.3%، فبيعت الغرارة بمائة وعشرين درهماً بعد أن كانت تباع بثمانين أو أقل ([2]).

وفي سنة (765هـ - 1363م) هاجم الجراد محصول القمح بدمشق، مما نتج عن ذلك نقص حاد في كميته، وأثر في ارتفاع أسعاره، فبيعت الغرارة بمائة وثمانين درهماً، بعد أن كانت تباع بمائة وعشرين درهماً، كما ترك آثاراً في ارتفاع أسعار الدبس بعد أن رعى أشجار العنب كافة في الغوطة([3])، ولم تحدد المصادر السعر الذي بلغه، ومن الآثار التي تركها الجراد سنة (766هـ - 1364م) أنه ارتعى محصول الأرز وثمار أشجار العنب بمدينة دمشق، مما ترك آثاراً حادة في ارتفاع أسعار منتوجاتها، فبلغ سعر قنطار الأرز مائتي درهم بعد أن كان يباع بمائة، وكذلك الدبس إذ بلغت نسبة ارتفاعه 100% فبيع القنطار منه بمائتي درهم، بعد أن كان يباع بمائة درهم وأقل ([4]).

وعندما اشتد هجومه على المنطقة بين غزة والفرات سنة (803هـ - 1401م) أتلف جميع المحاصيل الزراعية، وخاصة محصول القمح، مما كان له آثارٌ سلبية في تدني كميته في الأسواق وإلى جانب ذلك ترك آثاراً في توفر مياه الشرب في مدينة دمشق؛ لسده عيون المياه وتغطية أسطح الأنهار من كثرة تراكمه، وهذا بدوره أثر في حدوث فوضى بين السكان لتزاحمهم على مياه الشرب([5])

([1])ابن الوردي،عمر،**تاريخ ابن الوردي**، 493/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،144/1.

([2])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،136/4؛ ابن عبد الباسط، خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،212/1.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 274/4.

([4]) ابن كثير،إسماعيل، **البداية والنهاية**، 401/14؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ق2، 20.

([5]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 498/1؛ ابن عرب شاه، أحمد، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**، 147؛ المقريزي أحمد **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 63/6؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 188/4؛ ابن تغري بردي، يوسف **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 200/12، ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 64/3؛ عطا الله محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 216؛ عبد المنعم، صبحي، **المغول والمماليك السياسة والصراع**، 42.

وعندما هاجم بلاد الشام سنة (889هـ - 1484م) أكل معظم ثمار الكروم ورعى الزروع([1])، ويبدو أن هذا أثر في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية حيث انتشر الفقر وعمت المجاعات.

ز ـــ دور الفئران:

وأدى ظهور الفئران في البلاد الشامية – فترة الدراسة – إلى ترك آثارٍ مدمرة على القطاع الزراعي، وانعكس ذلك على توفر المحاصيل الزراعية، وعلى أوضاع الفلاحين على حد سواء، وقد لاحظنا أن أخطر ما كان يواجهه الفلاح آنذاك التهام الفئران لغلته التي كان يجمعها على البيادر فيضيع جهده من حرث، وبذر، وحصد، وهذا ما حصل لبيادر أهل الشام في سنة (770هـ - 1369م) إذ التهمت قطعان الفئران أكوام الغلال قبل درسها ([2])، والتهمت في سنة (826هـ - 1423م) غالبية محصول القمح، مما ترك آثاراً في ارتفاع أسعاره، فبيعت الغرارة بثلاثمائة درهم بعد أن كانت تباع بمائة درهم ([3]).

ونال القطاع الزراعي بمنطقة حوران النصيب الأكبر من أثر ظهور الفئران، فأكل في سنة (659هـ - 1261م) من محصول القمح ثلاثمائة ألف غرارة، أي ما يعادل (واحداً وستين طناً وثلاثمائة وخمسين كغم)، عدا الشعير؛ مما تسبب في فقدانه، وأثر في ارتفاع أسعاره، فبيعت الغرارة بأربعمائة درهم، وهذا بدوره أثر في الاقتصاد المملوكي عندما استغل تجار الفرنجة النقص الحاصل، وباعوا ما لديهم من الغلال في الساحل الشامي بأسعار مرتفعة([4])، وأصيب محصولا القمح والشعير فيها سنة (748هـ - 1347م) بنقص حاد في كميته لكثرة ما أكل من سنابله وهي بدون حصاد، مما ترك آثاراً

([1]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 459/2.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 74/4؛ أبو زيتون، منال، **المجاعات في مصر والشام في العصر المملوكي**، 26، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1998م.

([3]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان**، 71/3.

([4]) ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،5/ 322؛ ابن أيبك الدواداري، أبو بكر، **كنز الدرر وجامع الغرر** 85/8؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 525/1؛ حمد، فيصل، **العوامل المؤثرة على تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول والثاني**، مجلة المنارة، مج14، ع2008/2م،291.

في ارتفاع أسعارها، فبيعت غرارة القمح بثلاثمائة درهم، والشعير بمائة وخمسين ([1])، ومع نضوج محصول القمح في شهر أيار سنة (802هـ - 1399م) ترك ظهور الفئران في حوران، والجولان والجيدور، آثاراً سلبية على ندرته في الأسواق وارتفاع أسعاره، فبيعت الغرارة بمائة درهم بعد أن كانت تباع بسبعين، أي بلغت نسبة ارتفاعه 30% ([2]).

ح ــ دور العصافير والطاعون:

ولعبت الطيور دوراً كبيراً في إثارة الفلاحين جرّاء قلقهم على إنتاجهم الزراعي، إذ لاحظنا عندما هاجمت العصافير منطقة كركر وكلختا سنة (748هـ ــ 1347م)، التهمت كميات كبيرة من بذور الغلال ــ وهي أكوامٌ على البيادر ــ، مما دفع الفلاحين إلى حملها وخزنها في المخازن على عجلة من أمرهم ([3]).

وكان لتفشي مرض الطاعون أثر واضح على نقص الخضروات والفواكه، حيث زاد إقبال المرضى على تناول أصناف مختلفة منها كالبطيخ، والتمر الهندي؛ لاعتقادهم أنها تساعد على الشفاء([4])، وبذلك تركت آثاراً في ارتفاع أسعارها بشكل فاحش، وهذا ما حدث في سنة (656هـ - 1258م) عندما أقبل المرضى على تناولها بكثرة مما ترك آثاراً في ارتفاع أسعارها بشكل حاد فبيع الرطل من التمر الهندي بستين درهماً والبطيخة بثلاثين درهماً، والحزة الواحدة بدرهم ([5]).

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 504/1.

([2]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 1/ 432؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 100/4.

([3]) ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 186/4.

([4]) عندما كانت تتفشى الأوبئة والطواعين كان المصابون يقبلون على تناول ماء التمر الهندي مع مزجه بالسفرجل والليمون الحامض، والكافور، مع قليل من ماء الورد، مما يساعد على انخفاض حرارة الجسم، ويهيج الدورة الدموية وكذلك استخدم البطيخ لعلاج المصابين بالطاعون؛ لأن أكله كان يعمل على تسكين الحرارة، وتلطيف حلق المصاب من الجفاف، وكذلك تنشيط حركة القلب، ابن الأزرق إبراهيم، (ت902هـ - 1496م)، **تسهيل المنافع في الطب والحكمة** مخطوط موجود في جامعة طوكيو تحت رقم 1226، ورقة رقم 72و 76؛ البيلوني، محمد، (ت1085هـ - 1674م) **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون**، مخطوط موجود بمكتبة الملك سعود تحت رقم 5605، ورقم رقم 26.

([5])ابن واصل،محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،248؛ الذهبي،محمد **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2.

2 ـ نفوق الحيوانات وارتفاع أسعارها:

كان الإنتاج النباتي والحيواني يعد رافداً أساسياً لاستمرار الحياة في المجتمع المملــوكي، وفــي الوقت الذي عانى فيه الإنتاج الزراعي من خطر الكوارث الطبيعية نجد – أيضاً- أنها تركت آثاراً في الثروة الحيوانية من حيث نفوقها، وارتفاع أسعارها، مما أثر سلباً على الأوضاع الاقتصادية للسكان في بلاد الشام. ومثال ذلك الزلزلة التي ضربت بلاد الشام سنة (702هـ - 1303م)، إذ أدت إلــى نفــوق عددٍ كبيرٍ من الجمال، لكثرة ما ألقي منها في البحر ،مما أثر في ارتفاع أسعارها في الأسواق ([1]).

أ ـ دور السيول:

ويبدو أن السيول كانت تعد من أكثر الكوارث الطبيعية خطورةً على نفوق الحيوانات، مما أثــر سلبياً في الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام، ففي سنة (669هـ - 1271م) أغرق السيل في مدينــة دمشق عدداً كبيراً من مختلف الحيوانات، وفي وقت تشكله كان يقيم بميدان المدينة حجاج روم، فأخــذ معظم جمالهم ومواشيهم، وطال أثره الثروة السمكية المتواجدة بالأنهار إذ "نثرها" بين أزقــة المنــازل فسارع السكان لجمعها بأعداد كبيرة، ومن كثرة ما جمعوا منه لم يقبلوا على شرائه من الصيادين، مما ترك آثاراً في انحطاط أسعاره، فبيعت الأربعة أرطال والخمسة بدرهم، بعد أن كان يباع الرطل الواحد بدرهم([2]). ويبدو أن هذا السيل أثر في ارتفاع أسعار الحيوانات من كثرة ما نفق منها، وخاصة التــي تستخدم في وسائل النقل كالجمال، والبغال، والحمير.

([1]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 237/2.

([2]) المنصوري، بيبرس، **مختار الأخبار**، 45؛ النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/30؛ ؛ ابــن كثيــر إسماعيل، **البداية والنهاية**، 3/ 348البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 233/1؛ الدويهي، أســطفان، **تــاريخ الأزمنــة** 252؛ شلبي، محمود، **حياة الظاهر بيبرس**، 309.

وتكرر نفوق الحيوانات وخاصة الأغنام والجمال بأعداد كبيرة جداً بفعل السيل الذي تشكل بدمشق سنة (682هـ - 1283م) ([1]). ويبدو أن هذا أثر في ارتفاع أسعار اللحوم نتيجة نفوق الأغنام، وارتفاع أسعار الجمال، باعتبارها أفضل وسيلة للنقل في ذلك العصر، ونفقت أعداد كبيرة من حيوانات مدينة دمشق وضواحيها جراء سيل سنة (683هـ - 1284م) فأخذ من شدة اندفاعه أعداداً كبيرة من جمال وبغال الجيش المصري الذي كان يقيم هناك ([2])، ويصف البرزالي ذلك بقوله: "عُدم للأمير بدر الدين بكتاش النجمي ([3]) من القماش، والخيل، والجمال، ما قيمته أربع مائة ألف وخمسين ألف درهم" ([4])، ويبدو أن ذلك أثر في قدرة الجيوش الغازية في تحقيق أهدافها من ناحية استرجاع المدن الساحلية من يد الفرنج.

ولاحظنا أن تشكل السيول أدى إلى نفوق أعدادٍ كبيرة من الحيوانات البرية، مما أثر على تعطيل حركة صيد الحيوانات البرية لكثرة ما نفق منها، ومثال ذلك السيل الذي تشكل في العوجاء سنة(691هـ - 1292م) إذ نفق جراء تشكله أحد عشر أسداً وعددٌ كبيرٌ من الغزلان ([5])وأخذ السيل الذي تشكل بحمص سنة(716هـ-1316م) من خراكي([6]) التركمان أغناماً كثيرة وألقاها في بحيرة حمص([7])، ويبدو أن هذا أثر في ارتفاع أسعار لحوم الأغنام في تلك السنة، وأدى السيل الذي تشكل في مدينة حلب سنة

([1]) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 330/2؛ ابن حبيت، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** 816/1؛ قساطلي، نعمان، **الروضة الغناء في دمشق الفيحاء**، 68.

([2])ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 7/8؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**666/7.

([3]) الأمير بدر الدين بكتاش النجمي، هو أحد مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فلما مات أخذه الملك الصالح نجم الين أيوب، وترقى في الخدم حتى صار من أمراء مصر في الأيام الصالحية، وأعطى إمرة مائة وتقدم في أيام الظاهر بيبرس وأقام أميرا زيادة على ستين سنة، وعرف بأمير سلاح وتردد في الغزو مرارا في بلاد سيس وتوفي في سنة (706هـ - 1306م)، المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، 389/1.

([4]) **تاريخ البرزالي**، 51/2.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ، 240/2

([6]) خراكي: جمع خركاة، وهي لفظ فارسي معناه الخيمة الكبيرة، أو البيت من الخشب يصنع على هيئة مخصوصة، ويغشى بالجوز ونحوه، ويحمل في السفر للمبيت فيه عند نزول المطر، الأعشى، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 138/2.

([7]) الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في سيرة من ولي مصر من الملوك**، 233.

(795هـ - 1393م) إلى نفوق عددٍ كبيرٍ من الوحوش، وعثر من ضمن الحيوانات التي نفقت من جرائه على ثعبان كبير الحجم لو دخل الآدمي في فمه لوسعه وكان طوله أكثر من ستِ أذرع([1]).

ب ــ دور الثلوج:

وأدى تساقط الثلوج في بعض الحالات إلى نفوق أعداد كبيرة من الحيوانات، مما أثر في تعطيل حراثة الأرض لقلة وجودها، وكذلك أثر على تعطيل صيد الحيوانات البرية، وهذا ما حصل عندما تساقطت الثلوج على بلاد الشام سنة (914هـ - 1508م) فنفق من الثروة الحيوانية أعداد كثيرة على كافة أصنافها، وطال تأثيرها فشمل الحيوانات البرية ([2])، وقال ابن سباط: "وفني الحيوان وهجت الوحوش" ([3]).

وكانت بلاد الشام من أكثر البلاد الإسلامية تصديراً للحيوانات، وخاصة الأغنام، إذ قدر عدد الأغنام التي صدرت منها في العقود الخمسة الأولى من القرن الثامن الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي إلى أسواق مصر بنحو عشرين ألف رأس([4])، ولاحظنا أن نفوق الحيوانات جراء تساقط الثلوج وبعض الكوارث الطبيعية الأخرى قد ترك آثاراً بالغة في تراجع صادرات البلاد من الأغنام مما انعكس ذلك على تدني خزينة البلاد المالية، كما حصل في مدينة حلب عندما تساقطت عليها الثلوج في سنة(700هـ - 1300م)، إذ أدت إلى نفوق أعداد كبيرة من الأغنام مما أثر في صادراتها([5]).

([1])ابن عبدالباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 329/2؛ابن العماد الحنبلي،عبد الحي،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،576/8.

([2]) ابن سباط حمزة، **صدق الأخبار**، 934/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 379.

([3]) **صدق الأخبار**، 934/2.

([4]) توا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 35.

([5]) الذهبي، محمد، **ذيول على العبر في خبر من غبر**، 134/4، ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 107/8.

ج ــ دور البرد والصقيع:

ولم يكن تساقط البرد أقل تأثيراً من الثلوج في نفوق الحيوانات، إذ أدى تساقطه في مدينة دمشق سنة(787هـ-1385م) إلى موت الطيور وهي في الجو من خلال إصابتها ببعض حبات البرد ويصف ابن قاضي شهبة هذا المشهد بقوله: "ما رأت عيناي مثله من كثرته وكبره إذ رمى طيوراً كثيرة"([1]).

وترك نفوق الجمال جراء تساقط البرد على كل من حمص وحماة سنة (713هـ - 1313م) آثاراً سلبية في وسائل النقل، إذ نفق عددٌ كبيرٌ من أغنامها وجمالها، وبسبب ذلك بلغت أجرة الجمل الواحد من حمص وحماة إلى مصر ألف درهم([2]).

وتركت موجة الصقيع التي تعرضت لها بلاد حوران سنة (707هـ - 1307م) آثاراً بالغة في ارتفاع أسعار الحرير ومصنوعاتها بسبب موت ديدان القز بأعداد كبيرة ([3]).

د ــ دورالطواعين والأوبئة:

وكان لتفشي الأوبئة والطواعين أثر بالغ في نفوق الثروة الحيوانية في بلاد الشام، مما كان له انعكاسات وآثار في تراجع الأوضاع الاقتصادية للدولة المملوكية، فعندما تفشى الطاعون العام في البلاد الشامية كافة سنة(749هـ - 1348م) نفقت غالبية الحيوانات بالبلاد الشامية، مما أثر في الحياة الاجتماعية والمعيشية من ناحية توفر اللحوم والألبان، ودواب النقل والحرث([4])، وقال ابن إياس في ذلك:"وقع الطعن أيضاً في القطط، والكلاب، والوحوش .... وكذلك الخيول، والجمال، والحمير، وسائر

([1]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 156/3.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 515/2؛ تواء، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 35.

([3]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 163/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 24/3؛ الدويهي أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 291.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/ 88؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة** 549/1؛السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 34/1، 35، السيد، علي، **القدس في العصر المملوكي**،70.

الحيوانات، حتى الطيور، كالنعام وما أشبه ذلك" ([1])، وبنفوق الأبقار بهذا الوباء بأعداد كبيرة تركت الأرض بوراً ودون زراعة، مما ترك آثاراً في نقص الغلال وارتفاع أسعارها ([2])، وروى ابن تغري بردي في هذا الصدد وقال: "وخرج رجل بعشرين رأس بقر لإصلاح أرضه فماتوا واحد بعد واحد وهو يراهم يتساقطون قُدامه، فعاد إلى غزة" ([3])، ونجد أن نفوق حيوانات الغابات والبر كالأسود والذئاب، والغزلان، والأرانب، وحمر الوحش في الأغوار وبيسان في هذه السنة تركت آثاراً في تراجع أحد مظاهر الترف التي كان يمارسها سلاطين وأمراء الدولة المملوكية من صيد حيوانات الغابات والبراري بسبب تناقص أعدادها ([4]).

وكان لتفشي الطواعين آثار واضحة في نقص كبير في أعداد الدجاج، وارتفاع أسعارها وخاصة الفراريج، لكثرة استخدام هذا النوع من الطيور في علاج مرضى الطاعون، اعتقاداً منهم بأنها تساعد على الشفاء، ومثال ذلك عندما تفشى الطاعون في مدينة حلب سنة (656هـ - 1258م)، إذ أقبل المرضى على تناولها بأعداد كبيرة ، مما أثر في توفرها في الأسواق، وارتفاع أسعارها، فبيعت الفروجة بعشرة دراهم بعد أن كانت تباع بدرهمين([5]) وتكرر ذلك سنة (812هـ - 1409م) ،عندما تفشى الطاعون في بلاد الشام، إذ ارتفعت أسعارها، وبيعت الفروجة الواحدة ما بين ستين ومائة درهم بعد أن كانت تباع بعشرين، وعشرة دراهم من قبل، ومرد نقصها وارتفاع أسعارها في هذه السنة راجع إلى استخدام الأطباء لها بأعداد كبيرة في علاج مرضى الطاعون ([6])، وقد وصف لنا المقريزي طريقة العلاج بها وقال: " إن مملوكاً خرجت له بترة في صدره فأتاه طبيب من أهل القدس

([1]) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق1، 530.

([2])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،549/1؛السخاوي،محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 35/1.

([3]) **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 158/10.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 90/4؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة** 551/1؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 155/10.

([5])ابن واصل،محمد،**مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،84/5؛ الذهبي،محمد،**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2.

([6]) **المقريزي، أحمد، درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 15/3، 16.

وأخذ فروجاً من صغار الدجاج فجعل دبره على البترة فحال ما وضعه مات، فأخذ طائراً آخر، وعندما استقر دبره على البترة مات، فما زال كلما وضع دبر فروج على البترة يموت حتى هلك عشرون طائراً من الفراريج، ثم مات المريض وزعم هذا الطبيب أن ابناً له عولج هكذا فبرئ"([1]).

وعندما تفشى الطاعون ببلاد الشام سنة (833هـ - 1429م) ترك آثاراً في نقص وسائل النقل كالجمال، والخيول، والبغال، والحمير، لكثرة ما نفق منها، مما انعكس ذلك على ندرة توفرها وارتفاع أسعارها ([2])، ويبدو أن تفشي الطاعون ترك آثاراً في تلوث البيئة وخاصة مياه الأنهار، وأفسد مياه الشرب فيها، ومثال ذلك عندما تفشى الطاعون بحلب سنة (852هـ-1448م)، إذ طفت الأسماك الميتة بأعداد كبيرة في خندق المدينة، فأفسدت المياه وابتعد الناس عن شربها من شدة رائحتها([3]).

ومن خلال المصادر التاريخية تبين لنا بأن هناك أمراضاً كانت تصيب الحيوانات بشكل خاص دون أن تصيب البشر، مما أثر على تناقص أعدادها، وارتفاع أسعارها في الأسواق وكذلك تركت آثاراً في ارتفاع أسعار لحومها، وألبانها، وكلفة النقل، ففي سنة (702هـ - 1302م) أصاب الخيول وباءٌ في بلاد الشام أثر في توفرها في الأسواق، وارتفعت أسعارها، ومن كثرة ما نفق منها خلت الاسطبلات من وجودها ([4])، وفي سنة (703هـ - 1303م) تفشى المرض بالجمال، والخيول، والحمير، والأغنام ببلاد الشام، فنفق منها أكثر من ثمانين ألف رأس، مما ترك آثاراً في توفرها في الأسواق وارتفاع أسعارها، وعز وجود الأضحية في تلك السنة لندرتها وارتفاع سعرها ([5])، وكذلك أثر في تراجع صادرات البلاد الشامية من الأغنام إلى الأسواق المصرية، مما ترتب عليه خلق أزمة اقتصادية خانقة بالبلاد الشامية، ومن ناحية أخرى تركت كثرة نفوق الخيول في هذه السنة آثاراً في توفر وسائل النقل

([1]) **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 16/3.

([2]) الحلبي، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 46/2؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 229/3.

([3])ابن سباط،حمزة، **صدق الأخبار**، 84/2؛ السيوطي، عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، 584/2.

([4]) ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 207/1؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 584/2.

([5]) العيني، محمود، **عقد الجمان في حوادث أهل الزمان**، 308/4.

التي تقل العساكر، مما أثر في تعطيل حركة الجهاد، ورد المغول عن البلاد ([1])، ويروي النويري عن نفوق الخيول التي كان يملكها بسبب هذا المرض، وقال: "كنت يومئذ بدمشق، وكنت أملك عشرة رؤوس من الخيل والجياد، فنفقت بجملتها واحتجت إلى ما أركبه" ([2]).

وفي سنة (691هـ - 1292م) أصاب الجمال في مدينة دمشق مرضٌ " سلت منه " أدى إلى نفوقها بأعداد كبيرة، وبذلك ترك آثاراً واضحة في تراجع مكانة الأمراء الاجتماعية إذ استعاضوا عنها بركوب الحمير، والأكاديش عند خروجهم للمحافل، وتأدية الصلاة في المساجد([3])، وكان لنفوق الأبقار بأعداد كثيرة آثارٌ في ترك الأراضي الزراعية بوراً،وبذلك عدمت الزراعة ، وارتفعت أسعار المحاصيل، وهذا ما حصل لأراضي دمشق وضواحيها في سنة (765هـ - 1363م) عندما نفقت أعدادٌ كثيرة من أبقارها ([4]).

وفي شهر ذي القعدة سنة(918هـ- 1513م) حدث النفوق في الأغنام ببلاد الشام بأعداد كبيرة جداً مما أثر في توفرها في الأسواق، وارتفاع أسعارها وأسعار لحومها، وإن وجد بلغ الرطل منه اثني عشر درهماً، بعد أن كان يباع بثلاثة دراهم، وبما أن انتشار هذا المرض وقع مع إقبال عيد الأضحى عجز الناس عن ذبح الأضحية في تلك السنة؛ لانعدام وجود الأغنام، وإن وجد بعضها عجزوا عن شرائها من شدة ارتفاع أثمانها، وهذا انطبق على طبقات المجتمع الدمشقي كافة سواء الأغنياء أو الفقراء([5]).

وقد تبين لنا من خلال المصادر التاريخية أن انتشار الأمراض بين الحيوانات بشكل متكرر جعل الناس يربطون بين انتشارها، ووجود بعض الحيوانات مثل الكلاب، ففي عام (729هـ ـــ 1329م)

([1]) توا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 34.

([2]) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 54/32.

([3]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 150/31.

([4]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 22/11.

([5]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 316/1؛ ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 240/3.

أصدر نائب السلطنة تنكز([1]) بدمشق أمراً بجمع الكلاب من أنحاء دمشق، ومن ثـم قتلهـا، وحرقهـا اعتقاداً منه أنها السبب في تفشي الأمراض، وعلى أثر ذلك قتل ألف كلب([2])، ويبدو أن ذلك يؤكد على أن المجتمع المملوكي كان عاجزاً عن تشخيص نوع الأمراض التي تصيب الحيوانات أو سبب حدوثها.

3ـ انجراف الأراضي الزراعية والصخور:

كان لانجراف الأتربة والصخور جراء تشكل السيول أثارٌ مدمرة في بلاد الشام علـى قطـاع الزراعة بشكل خاص، والأوضاع الاقتصادية بشكل عام،وقد تسبب تشكلها فـي خـراب الأراضـي الزراعية، واقتلاع الأشجار، وطم الأنهار، مما نتج عن ذلك توقف لجريانها أحياناً، ومثال ذلك السـيل الذي تشكل في الغور، إذ أعاق جريان نهر الأردن من كثرة الصخور الكبيرة التي ألقاها في مجراه([3]). وكذلك السيل الذي تشكل بدمشق سنة(719هـ - 1319م) إذ أدى إلى انقطاع جريان مياه أنهارها وسد بعض عيون المياه فيها([4])، ويؤكد الذهبي على انجراف التربة قائلاً: "إن الرطل من الماء كان يصفي ثلثه طيناً"([5]).

بالإضافة إلى ذلك طمت الأنهار من كثرة التراب والصخور حتى أصـبحت معظمهـا طينـاً أصفر، وانعكست أثار ذلك على تفشي الأمراض في صفوف السكان من جراء شربهم ميـاه الأنهـار الملوثة، ومن أمثلة ذلك ما حصل في السيل الذي تشكل بمدينـة دمشـق سـنة (669هـ - 1271م) إذ جرف معظم الأراضي الزراعية التي مر منها، وطم الأنهار حتى أصبح لونها أصفر من كثرة نسـبة

([1]) تنكز:هو أبو السعيد سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام من سـنة (712هـ ـــ 1312م / 741هـ ـــ 1339م) للمزيد ينظر، الصفدي ، **أمراء دمشق في الإسلام** ، 66 .

([2]) ابن الجزري ، محمد **تاريخ ابن الجزري** ، 3 / 32.

([3]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهو في وقائع الدهور**، 127/7؛ عثامنة، خليل، **فلسطين في العهد الأيوبي والمملـوكي** 412؛ شلبي، محمود، **حياة الملك الظاهر بيبرس**، 224.

([4]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 233/32؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 257/2.

([5]) **دول الإسلام**، 257/2.

الطين التي سحبها السيل معه([1])، وقال البرزالي: " ورَدم الأنهار بطين أصفر"([2])؛ وأضاف النويري: "رمى فيها صخوراً عظيمة ساقها بين يديه واقتلع أشجار جوز عاتية"([3])، وأثر تشكل السيول أحيانا في انجراف التربة الزراعية وإتلاف محاصيلها ، كالأشجار المثمرة، وإتلاف مساطيح السفرجل وغيره في البساتين، وهذا ما حدث في السيل الذي تشكل بمدينة دمشق سنة (717هـ -1317م)، إذ جرف الأراضي الزراعية، وأتلف السفرجل، ووصف الدويهي ذلك قائلاً: "وفيها جاء سيل عكر بدمشق والشمس طالعة، ولم ير أحد سيلاً أشد عكراً منه، وكان الماء شبيه الطحينية، وكان السفرجل معبئاً تحت الشجر فغسلوه، وقيل إن الرطل من الماء يصفي ثلثه طينا شديدا"([4]).

وكان لتشكل السيول ــ أيضاً ــ أثارٌ مدمرة في اقتلاع الأشجار وطم الطرقات عن طريق نقل مياه السيول للحصى والحجارة ومثال ذلك ما جرى في مدينة بعلبك عندما تشكلت فيها السيول في سنوات (692هـ - 1293م) ([5])، و (717هـ -1317م)([6]) وعندما تشكل السيل بالكرك سنة (787هـ - 1385م) جرف مساحات شاسعة من أراضيها الزراعية، وترك أثاراً في توفر المحاصيل الزراعية وثمار الأشجار من كثرة الأشجار التي جرفها من شدة اندفاعه، وقال ابن قاضي شهبة في ذلك: "جرف بطريقه اثني عشر ألف شجرة جوز"([7]).

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/30؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**،233/1؛ الذهبي، محمد **دول الإسلام**، 190/2؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 432/1.

([2]) **تاريخ البرزالي**،233/1.

([3]) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/30.

([4]) **تاريخ الأزمنة**، 301.

([5]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 159/31؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 473/1؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 158/14.

([6]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 472/1؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 157/14؛ الصفدي الحسن، **نزهة المالك والمملوك في سيرة من ولي مصر من الملوك**،242؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 254/2.

([7]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 157/3.

ثانياً: الصناعة:

1 ـــ المنتوجات المصنعة من المحاصيل الزراعية:

شكلت العديد من المحاصيل الزراعية مواد أولية لعدد من الصناعات الغذائية، سواء المطحون منها، أو السائل، أو المجفف كالدقيق، والتبن، والدبس، والحـــلاوة، والزيـــت، والســـيرج، والزبيـــب بالإضافة إلى الحطب والفحم. وعندما كانت تحدث الكوارث الطبيعية تؤثر على تراجع هذه المنتوجات، مما يعكس أثاراً بالغة على حدوث الأزمات الاقتصادية والاجتمـــاعية في البـــلاد الشامية جراء ارتفاع الأسعـــار وتفشي البطالة، وكان من أهم هذه المنتوجات الصناعية :

ــ الدقيق والخبز:

إن تدمير محصول القمح ــ فترة الدراسة ــ كان يؤثر في توفر الدقيق والخبز الذي يعدّ مـــادة أساسية لغذاء السكان في العصر المملوكي، وهذا بدوره ترك أثاراً في نقــص المحصـــول، وارتفـــاع أسعاره، مما أدى إلى خلق أزمات اقتصادية حادة، كان من أهم مظاهرها: انتشـــار الفقـــر، وحـــدوث المجاعات الشديدة، وقد لاحظنا أن موجات القحط والجفاف التي كانت تجتاح بلاد الشام تعد من اشـــد الكوارث الطبيعية أثاراً على تراجع كمية محصول القمح الذي أثر بدوره على الخبز والدقيق فـــارتفع سعرهما بشكل واضح، ومثال ذلك سنة (659هـ - 1259م) إذ ارتفع سعر رطـــل الخبـــز، وأصـــبح بدرهمين بعد إن كان يباع الرطلان والثلاثة بدرهم([1]).

وتكرر ذلك في سنوات (695هـ - 1296م)، و (696هـ - 1297م) ، إذ عز وجود الخبز فـــي الأسواق، وارتفعت أسعاره بشكل كبير جدا، فبيعت العشرة أواق في بداية الموجة بدرهم، ومع اشتداد حدتها ارتفعت أسعاره بنسبة تقارب 50% إذ بيعت الخمسة أواق بدرهم([2])، وأدت موجة سنة (748هـ

([1]) أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 414.

([2])مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 38؛ الذهبي، محمد، **العبر في خبر من غبر**، 385/3؛ اليافعي، **مرآة الجنان وعبـــرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 171/4؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 446/2.

- 1347م) إلى ارتفاع أسعار الخبز بنسبة تقارب 60% فبيعت العشر أواق بخمسة أوستة دراهم بعد إن كانت تباع من قبل بدرهم واحد([1]).

وعلى أثر حدوث التأزم المناخي في بلاد الشام بسبب انحباس الأمطار في السنوات (797هـ - 1394م)([2])، و(798هـ - 1395م) ([3])، و(799هـ - 1396م) عز وجود منتوج القمح ببلاد الشام، مما ترك أثاراً كبيرة في توفر الخبز وارتفاع أسعاره بشكل فاحش، فبيعت العشرة أواق في بداية الموجة بدرهم، ثم ارتفع سعرها لتباع بتسعة، ومع اشتداد تأزمها في سنة (799هـ - 1396م) ارتفعت أسعاره بنسبة تقارب 50% فبيعت الخمسة أواق والستة بدرهم([4]). وبلغ سعر الرطل من الخبز في سنة (918هـ - 1512م) ثلاثة دراهم، وعلى أثر ذلك أصيب الأطفال بسوء تغذية أدت إلى حدوث العديد من الوفيات في صفوفهم([5])، وبسبب موجات القحط والجفاف التي شهدتها بلاد الشام في السنوات الأخيرة من العهد المملوكي (920هـ - 1514م) ([6])، و(921هـ - 1515م) ([7])، تعطلت الطواحين عن الدوران لعدم جريان الأنهار بسبب قلة المياه، مما كان له أثر بالغ في ارتفاع أسعار الدقيق فبيع الرطل منه بستة دراهم([8]).

وكان لتفشي الأوبئة والطواعين آثار كبيرة في توفر الدقيق في الأسواق، فعزوف الناس عن زراعة أراضيهم بسبب حدة الوباء أثر في توفر القمح، وبذلك ترك أثاراً على ارتفاع أسعار الخبز كما

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 150/1.

([2]) ابن صصرى،محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 164؛ابن قاضي شهبة، أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 544/3.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 165/1.

([4]) ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 166؛ ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 165/1، 198 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 398/5؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 611/3.

([5]) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى ممن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، 159؛ تروا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 264.

([6]) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى ممن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**،220.

([7]) ابن طولون، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**،308/1.

([8]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 276/3؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 297/1- 308.

حدث في بلاد الشام سنة (783هـ-1381م) إذ تركت الأرض دون زراعة لقلة توفر الأيـدي العاملـة لكثرة من مات في الطاعون من الفلاحين، وهذا بدوره ترك أثاراً في توفر الـدقيق فـي الطـواحين والأسواق، مما أدى إلى ارتفاع أسعاره، فبيع القنطار منه بألف ومائتي درهم، وبلغ سعر رطل الخبـز بثمانية دراهم([1])، وعندما تكرر تفشي الطاعون في سنة(800هـ-1398م) عزف السكان ببلاد الشام عن زراعة أراضيهم لانشغالهم بأمواتهم ومرضاهم فنتج عن ذلك أثارٌ بالغة في تدني كمية محصول القمح واتضحت آثار ندرته في ارتفاع أسعار الخبز إذ بيعت الستة أواق بدرهم، بعد إن كانت تباع التسـعة والعشرة بهذا السعر من قبل([2]).

ـ التبن:

يعد التبن ـ وهو من بقايا القمح بعد درسه ـ من الأعلاف الأساسية التي كان يعتمـد عليهـا الفلاحون في تغذية الحيوانات، وكانت كمية إنتاجه وتذبذب أسعاره مرتبطة على الـدوام بمحصـول القمح، فعندما كان يُدمَّر محصول القمح ترتفع أسعاره تلقائياً، وبنقص علف التبن في الأسواق وارتفاع أسعاره، أثر بشكل واضح في ارتفاع سعر الأغنام والأبقار، وكذلك على ارتفاع أسعار لحومها، وهـذا بدوره ترك آثاراً سلبية على الأوضاع الاقتصادية داخل المجتمع المملوكي ببلاد الشام، وأثر في نـوع الغذاء الذي يتناولونه، ومثال ذلك عندما اجتاحت موجة القحط والجفاف بـلاد الشـام سـنة (754هـ-1352م)، أثرت في توفر منتوجي القمح والتبن، مما أدى إلى ارتفاع أسعار التبن50%، إذ بيع الحمل منه بأربعين درهماً، بعد إن كان يباع بخمسة وعشرين من قبل([3])، وكما حدث فـي سـنة (807هـ-1404م) إذ ارتفعت أسعاره بنسبة70%، فبيع الحمل منه بمائة درهم بعد أن كان يباع بثلاثين([4]) ويبدو

([1]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 188/1.
([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 158/3.
([3])ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 33/2.
([4]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور وفي وقائع الدهور**،ج1/ق688/2.

ويبدو أن نقصه وارتفاع أسعاره أثر في هزل الحيوانات، وارتفاع أسعارها، مما أدى إلى انخفاض مردودها الإنتاجي من اللبن، والجبن والسمن.

ـ السكر:

أثر تفشي الأوبئة والطواعين في بلاد الشام في تناقص السكر، وارتفاع أسعاره بشكل حاد من كثرة إقبال المرضى على تناوله([1])، فعندما تفشى الطاعون في معظم البلاد الشامية سنة (658هـ - 1259م) أقبل المرضى على تناول كميات كبيرة منه، مما ترك آثاراً في السنة التي تلتها على توفره في الأسواق وارتفعت أسعاره بنسبة 40% فبيع الرطل منه بخمسين درهماً، بعد إن كان يباع بثلاثين وأقل([2]) وعلى أثر ازدياد حدة الطاعون ببلاد الشام سنة (833هـ - 1429م) كثرت الإصابات في صفوف السكان، وتوالت نصائح الأطباء، وإرشاداتهم للمرضى بضرورة تناول السكر المطحون والمخلوط بمسحوق الرمان الحامض للتخفيف من حدة الآمه، وبذلك غشي السكان بصيص أمل في إمكانية الشفاء، فأقبلوا على تناوله بكميات كبيرة، مما أثر في توفره في الأسواق والحوانيت وارتفعت أسعاره بشكل طائل فبيع الرطل منه بمائة درهم، بعد إن كان يباع بعشرين وثلاثين([3]).

ـ الدبس:

يعد منتوج الدبس من المواد الغذائية الصحية الأساسية التي اعتمد عليها سكان بلاد الشام إذ كانوا يتهافتون على تناوله بشكل كبير عندما كان يفقد السكر من الأسواق، ونلاحظ أن حدوث الكوارث الطبيعية أدى إلى حدوث خلل واضح في منتوجه، كما حدث سنة (766هـ - 1364م) عندما هاجم

([1]) اقبل المصابون بالأمراض وخاصة مصابي الطاعون على تناول السكر إما مطحوناً أو مخلوطاً مع السمن وعصير الرمان الحامض، ومن فعاليته العلاجية أنه كان يخفف من حرارة الجوف، والحمى، ويعمل على ترخي المعدة ويقتل =العفونة من البطن. ابن الأزرق، إبراهيم، (ت 902هـ - 1496م) **تسهيل المنافع في الطب والحكمة**، مخطوط موجود بجامعة طوكيو تحت رقم 1226، ورقة 69؛ البيلوني، محمد ت(1085هـ - 1674م)، **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون**، مخطوط موجود بمكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم 5605، ورقة 22.

([2]) ابن دقماق، إبراهيم، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، 273.

([3]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**،3/ 188.

الجراد بلاد الشام، وارتعى ثمار العنب فيها، مما ترك آثاراً في توفر الدبس في الأسواق وارتفعت أسعاره فبيع القنطار منه بمائتي درهم([1])، وتسبب الصقيع في بعلبك وصفد سنة (799هـ - 1397م) في إتلاف أشجار العنب، ففقدت ثماره، وهذا بدوره أثر بشكل واضح في توفر منتوج الدبس، وارتفعت أسعاره بنسبة 25% فبيع القنطار بمائتي وخمسين، بعد أن كان يباع بمائتين من قبل([2])، وأدى تدمير المحاصيل الزراعية وخاصة أشجار العنب من جراء موجة القحط والجفاف سنة (800هـ - 1398م) إلى ترك آثاراً على ارتفاع أسعار الدبس، فبيع الرطل منه بثلاثة دراهم([3]) وقفز سعر الرطل للسبب نفسه إلى سبعة دراهم سنة (873هـ - 1468م) ([4]).

ـ الحلاوة:

تسبب خراب محصول السمسم نتيجة القحط والجفاف إلى ترك آثار في ارتفاع أسعار الحلاوة بشكل كبير جداً، وهذا ما حدث في سنة (919هـ - 1513م) فبيع الرطل منها بعشرة دراهم، بعد إن كان يباع بخمسة([5]).

ـ زيت الزيتون والسيرج:

اهتم سكان بلاد الشام بزراعة أشجار الزيتون ومحصول السمسم، لتصنيع ثمارهما وتحويلها إلى زيوت وسيرج بهدف سد حاجاتهم، وكان أكثر استخدامهم لزيت الزيتون بشكل أساسي في طهي طعامهم إلى جانب السمن، أما السيرج فعلى الأغلب كانوا يستخدمونه في توفير الإنارة والعلاج، ([6]) وبسبب تدمير أشجار الزيتون، وخراب محصول السمسم جراء حدوث الكوارث الطبيعية، أثر ذلك في توفر الزيت والسيرج في الأسواق، وارتفاع أسعارهما، ففي سنة (748هـ - 1347م) عندما يبست

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 400/14؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1/ق191/2.

([2])ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدول الظاهرية**، 224

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 652/3.

([4]) ابن الحمصي، محمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**،188/1.

([5]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 264/1.

([6]) توا ، فادي ، **المناخ والأسعار في بلاد الشام في عهد المماليك**،32.

أشجار الزيتون، وجف محصول السمسم ببلاد الشام جراء موجة القحط والجفاف، ترك ذلك آثاراً بالغة في توفر زيت الزيتـــون والسيرج، وارتفعت أسعارهما، فبيع الرطل لكل منهما بستة دراهم بعـــد أن كان يباع بثلاثة مـــن قبل، ونتج عن قلة زيت الزيتون في هذه الفترة آثارٌ على تغير نمط الطبخ ونوع الغذاء في المجتمع الشامي؛ لاستخدام السكان دهون الحيوانات في طهي طعامهم كمـــادة بديلـــة عـــن الزيت([1])، وعندما تكررت موجة القحط والجفاف في بلاد الشام سنة (800هـ - 1398م) دمرت غالبية أشجار الزيتون ومحصول السمسم، مما نتج عنها ارتفاع أسعار الزيت والسيرج، فبيـــع الرطـــل مـــن السيرج بثمانية دراهم، ورطل زيت الزيتون بستة([2]).

وعلى أثر حدوث موجة القحط والجفاف سنة (873هـ - 1468م) سجلت أســـعار الزيـــت أعلـــى مستويات الغلاء في العهد المملوكي، فبيع الرطل منه بعشرة دراهم، ورطل السيرج بخمســـة عشـــر درهماً ([3])، ومع اجتياح موجة جفاف أخرى شهدتها الدولة المملوكية سنة (920هـ - 1515م) ارتفعت أسعار السيرج لقلة محصول السمسم، إذ بيع الرطل منه باثني عشر درهماً([4])، وعندما هاجم الجـــراد ثمار زيتون مدينة دمشق في سنوات (699هـ - 1299م) ([5])، و(701هـ - 1301م) ([6]) ترك آثاراً في في ارتفاع أسعار الزيت، فبيع الرطل بستة دراهم ([7]).

([1]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 306/14؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 508/1.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،652/3؛ تو‌ا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 288.

([3]) ابن الحمصي،أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 188/1.

([4]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 308/1.

([5]) ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدول الظاهرية**، 3؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 318.

([6]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 1/ 656؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 3/ 185؛ الذهبي، محمد، **ذيـــول العبر في خبر من غبر**، 3/4؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 76/1.

([7]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 185/3؛ ابن صصرى، محمد، **الـــدرة المضـــيئة فـــي الـــدول الظاهريـــة**، 3 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 318.

وقد لاحظنا من خلال الآثار التي تركتها الكوارث الطبيعية من تدمير أشجار الزيتون وقلة زيته، أنه أدى إلى تراجع صناعة الصابون، وعدم توفره بكميات مجدية اقتصادياً إذ كان يصدر من نـــابلس والقدس، وحلب، إلى دمشق، والعراق، وممالك الروم، وهذا بدوره انعكس على الأوضاع الاقتصادية، وأثر في خزينة الدولة([1])، ومثال ذلك حدث في بلاد الشام سنة (750هـ - 1349م) عندما تراجعــت صناعة الصابون لقلة وجود الزيت؛ جراء تفشي الطاعون فتوقفت طواحين تصنيع الزيت عن العمــل في هذه السنة والتي سبقتها؛ بسبب موت وهروب الحرفيين الذين يعملون في هذا المجال ([2]).

ـــ السفرجل المجفف:

أولى سكان بلاد الشام عناية خاصة بتجفيف محصول السفرجل لما له من فوائد غذائية وصحية في معالجة بعض الأمراض ([3])، وكانت العادة لديهم تجفيفها في البســاتين، والكــروم علـــى شـــكل مساطيح، وبعد أن تجف تنقل إلى البيوت والمخازن، وقد لاحظنا أن تشكل السيول بمدينة دمشق تــرك آثاراً في تدمير مساطيحها، ومثال ذلك ما حصل في سنة (683هـ - 1284م) عنــدما ســاق الســيل المتشكل بمدينة دمشق مساطيحها من قبل أن تنقل إلى المخازن، ويبدو أن ذلك قد أثر في الحالة النفسية للمرضى، لقناعتهم أن هذا المنتوج هو بمثابة شفاء لهم ؛ لعدم توفره خاصة أنه يستخدم فـــي عـــلاج بعض الأمراض ([4])، ويبدو أن هذا ينطبق على بعض المحاصيل الأخرى مثل الزبيب وغيرها.

([1]) ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، 57؛غوانمة،يوسف،**تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**،77

([2]) ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 669/1.

([3]) كان يستخدم لعلاج وباء الطاعون والربو، وهو نافع لحركة الدم وتقوية القلب، ويؤكل إما طازجاً أو مجففاً وأحياناً كان يخلط مع العدس المطبوخ، أو مع عصير الرمان الحامض، والتفاح، والكافور، وماء الورد، ابن الأزرق إبراهيم (ت902هـ - 1496م)، **تسهيل المنافع في الطب والحكمة**، مخطوط موجود في جامعة طوكيو تحت رقم 1226، ورقة 68؛ البيلوني، محمد ت(1085هـ - 1674م)، **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون** مخطوط موجود بمكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم 5605، ورقة 29.

([4]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 53/2؛ الذهبي، محمد **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 11/5؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

ـ الزبيب:

اتلف الصقيع سنة (799هـ - 1397م)، أشجار العنب مما أدى إلى ارتفاع أسعار منتوج الزبيب بنسبة تقارب 33%، إذ قفز سعر القنطار من مائتين درهم إلى ثلاثـــمائة ([1]).

ـ الحطب والفحم:

كان الحطب والفحم يشكلان المصدر الوحيد للتدفئة لسكان بلاد الشام – فترة الدراســة –، إذ كان يعتمد معظم السكان على الحطب في طهي طعامهم، وقد لاحظنا أن هذا المنتــوج شــهد تذبــذباً ملحوظاً في أسعاره، وخاصة قبل تساقط الثلوج وبعدها، والسؤال الذي يطرح نفسه في هــذا المجــال كيف يمكن للحطب أن يشهد انخفاضاً في سعره عندما تسقط الثلوج مع وجود البرد القارص والشــديد وإقبال السكان على استهلاكه بكميات كبيرة؟

لقد شهد الحطب انخفاضاً في أسعاره عندما تساقطت الثلوج الكثيفة، ممــا أدى إلــى تكســر أغصان الأشجار، فأصبحت كمية العرض أكثر من الطلب، وهذا ما حدث في ســنة (896هـ-1490م) عندما اشتد البرد قبل وصول الموجة الثلجية في هذه السنة، إذ أقبل السكان بمدينة دمشق على استهلاك الحطب بكميات كبيرة، مما أثر في ارتفاع أسعاره، فبيع القنطار بثلاثين درهماً بعد أن كان يباع أقــل من ذلك، ولكن عندما تساقطت الثلوج الكثيفة بعد أيام كسرت أعداداً كبيرة من الأشــجار وخصوصــاً أشجار الزيتون، فكثرت كمية الحطب في الأسواق، مما أدى إلى تدني أسعاره فبيع القنطار منه بخمسة عشر إلى عشرة دراهم([2]).

([1]) ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدول الظاهرية**، 224.

([2]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 112/1.

وفي سنة (692هـ-1293م) عندما تساقطت الأمطار الغزيرة على بلاد الشـام، وزادت حـدة البرد عن المعتاد أدى إلى إقبال الناس على إشعال الفحم بكميات كبيرة، مما أثر في توفره في الأسواق وارتفاع أسعاره، فبيع الرطل منه بدرهم بعد أن كان يباع الرطلان بدرهم من قبل([1])

2 ـ المنتوجات المصنعة من الثروة الحيوانية:

أدى موت ونفوق الحيوانات بأعداد كبيرة نتيجة الكوارث الطبيعية المختلفة إلى ترك آثار سلبية في الاقتصاد داخل المجتمع الشامي، وهذا بدوره أدى إلى تراجع المنتوجات التي تصنع مـن الحليـب بشكل خاص ومنها:

ـ اللبن والجبن:

انعكست نتائج المناخ المتذبذب في بلاد الشام من حيث كميات تساقط الأمطار، إلى ترك آثـار في تدمير الغطاء النباتي وانحصار مساحات المراعي وقلة الأعلاف، وهذا بدوره أثر في نفوق وهزل أعداد كبيرة من الحيوانات المنتجة للألبان والجبن، كالأغنام، والأبقار، واتضحت آثاره فيما بعـد فـي توفرها في الأسواق وارتفاع أسعارها، ومثل ذلك ما حدث في بلاد الشام سنة (658هـ - 1259م) ([2]) عندما تقلصت مساحات المراعي؛ بسبب موجة القحط والجفاف، فأثرت في هزل الحيوانات وتراجعت منتوجاتها من الجبن واللبن؛ مما أثر في ارتفاع أسعارها فبيعت الأوقية من الجـبن بـدرهم ونصـف وباستمرار الموجة للسنة التالية (659هـ - 1259م) ارتفعت أسعار اللبن بنسبة 66.6%، إذ بيع الرطل منه بخمسة عشر درهماً بعد أن كان يباع بخمسة من قبل ([3])، وللسبب نفسه تكرر ذلـك فـي سـنة

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 152/1.

([2])الصفدي،خليل،**تحفة ذوي الألباب**،163/2؛ابن طولون،محمد،**أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**،32.

([3])ابن دقماق،إبراهيم، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، 273؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 72/2.

(873هـ - 1468م) فبيع رطل اللبن بسبعة دراهم، والجبن بثمانية عشر درهماً ([1])، وكذلك في سنة (921هـ - 1515م) بيع الرطل من الجبن بخمسة عشر درهماً بعد أن كان يباع بخمسة من قبل ([2]).

ـــ السمن:

أثرت الكوارث الطبيعية في الثروة الحيوانية في بلاد الشام من حيث مرضها وتناقص أعدادها، وهذا بدوره أثر في المنتوج الحيواني كالسمن الذي كان ولا زال يعد مصدراً للغذاء وطهي الطعام، فارتفعت أسعاره بالتزامن مع نفوق الحيوانات، كما حدث في موجة القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام سنة (873هـ -1468م)، فبيع الرطل منه بثمانية عشر درهماً([3])، وكذلك في سنة (921هـ - 1515م)، إذ سجل ارتفاعاً كبيراً، فبيع الرطل ما بين ثلاثين درهماً وستة وثلاثين ([4]).

3 ـــ الأقمشة والملابس:

شهدت الملابس، والأقمشة، والقطن تذبذباً في أسعارها، ما بين الارتفاع والانخفاض لتفشي الأوبئة والطواعين، ففي سنة (749هـ - 1348م) عندما تفشى الطاعون ببلاد الشام، وكثر عدد الأموات أقبل السكان على شراء القطن، والقماش بكميات كبيرة لتجهيز الموتى([5])، مما أثر في توفره في الأسواق وارتفاع أسعاره، ولندرة وجوده مع تكاثر عدد الموتى اضطر الناس في بعض الحالات إلى نزع أكفان الأموات بعد إدخالهم القبور لتجهيز غيرهم بها ([6])، وبالمقابل نلاحظ أن الملابس التي

([1]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 188/1.

([2]) **نفسه**، 276/3.

([3])ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 188/1.

([4]) **نفسه**، 276/3.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 92/4؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق528/2.

([6]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 165/10.

كان يستخدمها السكان الأحياء شهدت انحطاطاً في أسعارها، إذ بيعت بخمس ثمنهـا وأقـل لانشـغال السكان بموتاهم ([1]).

ويتضح لنا من خلال المصادر التاريخية أن حدة تفشي الطاعون في هذه السنة أثرت في مدينة دمشق بشكل كبير جداً في تراجع صناعة الملابس النسائية، وركودها في الأسواق وخاصة ذات الأكمام الطوال والعراض، والأقبية الصغار، والملابس الحريرية، والمزركشة. ويبدو أن ذلـك كـان نتيجـة لصدور المرسوم السلطاني من قبل السلطان الناصر حسن بن قلاوون([2]) الذي منع النساء من الخروج إلى الشوارع والأماكن العامة بمثل هذه الملابس؛ جتهاداً منه بأن خروجهن بهذه الملابس أثر في فساد الأخلاق وانحطاط القيم في المجتمع، وجاء هذا الطاعون عقاباً من الله على هذه التصرفات وعلى أثر ذلك انحطت أسعارها لعزوف الناس عن شرائها تخوفاً من التعرض لعقوبة المرسوم الذي صـدرعن السلطان، والملفت للنظر أن ذلك بقي مستمراً حـتى حلت سـنة(751هـ- 1350م)([3])، وأثـر تفشـي الطاعون ببلاد الشام سنة(841هـ - 1437م) في نقص كمية القطن والقماش الذي يلزم في تجهيز أكفان الأموات، لكثرة إقبال السكان على شرائه، مما أثر في ارتفاع أسعاره بشكل كبير جـداً([4])، ويـروي المقريزي أن ارتفاع عدد الأموات في طاعون هذه السنة أدى إلى ركـود الملابـس والقمـاش فـي الأسواق؛ لعدم وجود من يشتريه،مما أثر في انحطاط أسعارها ووصف ذلك قائلاً: " انحط سعر القماش ونحوه حتى بيع بخمس ثمنه وأقل ولم يوجد من يشتريه"([5]).

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 92/4؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 165/10.

([2])السلطان الناصر حسن بن قلاوون تولى السلطنة قي سنة(746هـ- 1345م)على مرحلتين وبقي على عرش السـلطنة حتى قتل سنة(762هـ - 1361م)،للمزيد ينظر، المقريزي، أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،4 / 81، 82

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 33/3؛ ضومط، أنطون، **الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري**، 345.

([4]) ابن الصيرفي ، علي ، **نزهة النفوس والأبدان في معرفة تواريخ الزمان** ، 199/3؛ا بن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول** ، 5 / 26.

([5]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 356/7.

4 ـــ الأدوية والعقاقير:

كان للكوارث الطبيعية آثارٌ مختلفة في صناعة الأدوية والعقاقير في المجتمع المملوكي؛ وذلك لانعدام وندرة وجودها، وارتفاع أسعارها، وظهور جشع العطارين والمحتكرين لهذه الصناعة، ففي سنة (656هـ - 1258م) عندما تفشى الطاعون بمدينة حلب، تكاثرت أعداد المرضى بشكل كبير حتى زاد عن الوصف، فأقبل الناس على تناول الأدوية والعقاقير بشكل غير معهود فأثر في نفادها، وارتفاع أسعارها ([1])، وعلى أثر إقبال المرضى على شرائها زاد ثراء العطارين، ويصف الذهبي ذلك بقوله: "وأما دمشق فكان فيها من المرضى ما لا يحَدّ، ولا يوصف، واستغنى العطارون، ونفدت الأدوية"([2]).

وفي سنة (726هـ - 1326م) عندما تفشى الزكام في دمشق وحلب، ولم يبق بيت دون وجود مرضى فيه، ولكثرة المرضى وإقبالهم على شراء الأدوية، لم يستطع العطارون توفيرها رغم أنهم بقوا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يعملون في تجهيزها دون إغلاق لدكاكينهم، ولندرتها أو بالأحرى لانعدام وجودها، ارتفعت أسعارها بأثمان باهظة ([3])، وفي السنة نفسها تعرضت دمشق لتفشي الوخم الشديد فكثر عدد المرضى بها، وأقبلوا على شراء الأدوية وتناولها بشكل طائل، مما أثر في نفادها، وارتفاع أسعارها، واستغل بعض العطارين ظروف المرضى بجشعهم، وباعوا الأدوية بأسعار باهظة، بحيث باع بعض عطاري دمشق في يوم واحد من الأدوية للمرضى بنحو ألف درهم، وبلغ قدر حسو([4]) الشعير زيادة على ثلاثين درهماً([5])، وفي سنة (833هـ - 1429م) عندما تكرر تفشيه أثر في ارتفاع أسعار الأدوية إلى ضعف ثمنها؛ بسبب إقبال الناس على تناولها([6]).

([1]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 305/2؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 378/1؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 238.

([2]) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2.

([3]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 123/2.

([4]) الحسو:مكيال بمقدار ملء الفم،، ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، 125/4،مادة حسو.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 90/3.

([6]) الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 190/3.

5 ـ موت الحرفيين والمهنيين:

كان لموت الحرفيين والمهنيين بسبب الكوارث الطبيعية آثارٌ مدمرة في الصناعة بشكل خاص وانعكس ذلك على الاقتصاد المملوكي بشكل عام، وتركت وفاتهم أثراً في توفر الأيدي العاملة، حتى كادت عجلة الحياة أن تتوقف، وأثر ذلك في ارتفاع أجور العاملين، وارتفاع أسعار الصناعات التي يقومون بإعدادها أو المهنة التي يمارسونها، وخصوصاً الأطباء، ومغسلي الموتى، وصانعي الأكفان والتوابيت والقائمين على سقي السكان، وغسل ثيابهم، والطحانين، ففي سنة (656هـ-1258م) عندما تفشى الطاعون ببلاد الشام مات من الناس أعداد كبيرة، إذ كان يخرج من مدينة حلب وحدها ألف ومائتا جنازة([1])، وكان الأطباء الذين يقومون بعلاج المرضى، ومغسلي الموتى من أكثر المهنيين والحرفيين موتاً بهذا الطاعون مما زاد الوضع سوءاً([2])، ففي الحالة الأولى، قال الذهبي: "نفدت الأدوية وعز الأطباء إلى الغاية"([3])، وفي الحالة الثانية، قال ابن واصل: "لم يكد يوجد مغسل للموتى"([4])، ويبدو أن هذا أثر بشكل كبير جداً في ارتفاع حالات الوفيات من المصابين، ودفن الأموات الأموات دون تغسيلهم، وقد ترك موت الحرفيين والمهنيين الذين يعملون في حفر القبور من جراء تفشي الطواعين آثاراً في توفير القبور، مما اضطر السكان إلى حفر الحفر الكبيرة، وإلقاء الموتى بأعداد كبيرة فوق بعضهم البعض من أجل التخلص من جثثهم حتى لا تجيف، ومثال ذلك ما حدث سنة (776هـ-1374م)([5]) عندما تفشى الطاعون في مدينة حلب، ويبدو أن هذا ترك آثاراً في تغيير بعض العادات المتبعة لدى المسلمين عند الدفن، كتوديع الميت، وإلحاده في القبر، وتوجيهه باتجاه القبلة.

([1]) ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،5/ 220؛ أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 305/2.

([2]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2؛ المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 35؛ رمضان أحمد، **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام**، 327؛ السيد، محمود، **تاريخ العرب في أخطر المعارك الحربية في العالم**، 180.

([3]) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2.

([4]) **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،5/ 228.

([5]) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 431/8.

وفي سنة (749هـ - 1348م) عطلت صناعة الأكفان، والتوابيت، وحفـر القبـور، اللازمـة لتجهيز الموتى لكثرة من مات من أصحاب هذه المهن ، وهذا بدوره أثر في توفر التوابيت والأكفـان مما أضطر الأهالي إلى حمل موتاهم على السلالم، والأبواب، وألواح الخشب([1]).

وضاق الناس ذرعاً حتى أنهم لم يجدوا من يقوم بتغسيل جثـث أمواتهم، ويصـف المقريزي ذلك بقوله: "اشتهر الوباء حتى لم يوجد مغسل للموتى" ([2])، ولكن المدقق في مثل هذه الروايات يتبادر لذهنه أسئلة: هل حرفة تغسيل الموتى حرفة تحتاج لمهارات محدودة، أم هي حرفة بسيطة من الممكن لأي شخص أن يقوم بها؟. وللإجابة عن ذلك نؤكد استطاعة غالبية السكان القيام بهذه الحرفة ،ولكن ما دفعهم لعدم الإقبال عليها كان يعود لعوامل نفسية ،ولتخوفهم من الإصابة بالعـدوى أثنـاء تغسـيلهم للأموات، بدليل ما أورده كل من المقريزي ([3]) وابن تغري بـردي ([4])، أن امرأة مغسلة ماتت وهي تغسل امرأة أخرى ميتة([5])، فكان مثل هذه الحالة محفزاً على عدم إقبال الناس على تغسـيل المـوتى وكان لهجرة السكان من مناطق موبوءة تخوفاً من العدوى إلى مناطق أكثر أماناً يترك فراغاً من قلـة المغسلين، و تترك الجثث في البيوت لمدة تقارب الشهر أحياناً لعدم وجود من يقـوم بـدفنهم بسـبب هجرتهم، أو خشية من الوصول إليهم خوفاً من العدوى ([6]).

وكان من آثار طاعون تلك السنة أن توفي عدد كبير من السقايين الذين يقومون بتوفير الميـاه مما ترك آثاراً في ارتفاع سعر الماء، وبيعت الراوية بثمانية دراهم، بعد أن كانت بدرهـم أو أقـل([7])

([1])ابن تغري بردي ، يوسف ، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 155/10.

([2])**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 88/4.

([3]) **نفسه**، 88/4.

([4]) **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 155/10.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 88/4؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكـر ملـوك مصر والقاهرة**، 155/10.

([6]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 670/1؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 35. .35

([7]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 165/10.

ولم يسلم من هذا الوباء الحرفيون، كالبَابَا([1])، ويوضح ابن تغري بردي([2]) ذلك بقوله:"عدمت جميع الصناع، فلم يوجد سقاً ولا باباً..... وبلغ ثمن راوية الماء ثمانية دراهم لقلة السقا والحمال" وبلغت أجرة طحن إردب القمح خمسة عشر درهماً، بسبب وفاة أصحاب حرفة الطحن، وارتفعت أجرة غلام الخيل الذي يقوم على إدارة الطواحين حتى وصلت إلى ثمانين درهماً في الشهر، بعد أن كانت بثلاثين([3]) ولم يكن الصيادون بمنجىً عن باقي الحرفيين من خطر هذا الطاعون، إذ طالهم وهم في مراكبهم، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الأسماك ،وأصبح سعر الرطل منه بين عشر وعشرين درهماً بعد أن كان بدرهم أو درهمين([4]).

ثالثاً: التجارة:

كان للكوارث الطبيعية آثار كبيرة في تعطيل الحركة التجارية ،وتهدم الأسواق في بلاد الشام مما أثر في توفر السلع التجارية ، وارتفاع أسعارها.

1- تهدم الأسواق وإغلاقها:

لاحظنا من خلال المصادر التاريخية أن تشكل السيول كان من أخطر الكوارث الطبيعية آثاراً في الأسواق التجارية، وهذا بدوره انعكس على تجارة البلاد الشامية بشكل خاص، والاقتصاد المملوكي بشكل عام، وأدى تشكلها في بعض الأحيان إلى تدمير الحوانيت وجرف السلع المتواجدة فيها ،مما ترك آثاراً في توفير السلع التجارية وارتفاع أسعارها. ومثال ذلك السيل الذي تشكل بمدينة دمشق سنة

([1]) البابا: هو الشخص الذي يقوم بغسل الثياب التي تُبعث إليه من قبل السكان مقابل أجرة من المال، السبكي، عبد الوهاب، **معيد النعم ومبيد النقم**، 196.

([2]) **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 165/10.

([3])القلقشندي، حمد،**مآثر الأنافة في معالم الخلافة**،156/2؛المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،90/4؛ ابن تغري بردي يوسف،**النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**،161/10؛السخاوي،محمد،**وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**،35/1.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 84/4.

(683هـ - 1284م)، إذ أدى إلى إغراق سوق الخيل ([1])، وجرف معه كثيراً من الحوانيت بما فيها من السلع كالأقمشة والمواد التموينية ،مما أثر في ارتفاع أسعارها ،ويبدو أن مثل هذه الحالة أدت إلى دفع تجار الشام لاستيراد السلع التجارية من الدول المجاورة بأسعار باهظة لتغطية النقص الحاصل في الأسواق، وهذا بدوره أثر في الأوضاع الاقتصادية للسكان بشكل خاص، والدولة بشكل عام ([2]) وعندما تشكل السيل بمدينة بعلبك سنة (717هـ - 1317م) أثر بشكل واضح في توفير السلع التجارية وارتفاع أسعارها لكثرة ما جرف منها، فقدرت الحوانيت التي جرفها ودمرها بشكل كامل حوالي أربعة وخمسين حانوتاً ،وبلغ عدد التي "تشعثت" سبعة وسبعين حانوتاً ([3])، وعندما تشكل السيل بمدينة عجلون سنة (728هـ - 1328م) أدى إلى تدمير وجرف العديد من الأسواق كسوق الخليع ([4]) وسوق الفامية([5])؛ إضافة إلى حوانيت الدق([6]) والطباخين، والعلافين، والخبازين، والعديد من القياسر ([7])، إذ إذ ذهب معظم ما فيها من مواد وأغراض، مما أثر في توفر السلع وارتفاع أسعارها، ويبدو ـ أيضاً ـ

([1]) سوق الخيل: يقع شمال غرب قلعة دمشق، أنشى في العهد المملوكي، وله ساحة كبيرة لعرض الخيول من أجل بيعها، ويوجد به حوانيت كثيرة لبيع الأقمشة، والسلع الغذائية، بالإضافة إلى ما يلزم للخيول من المصنوعات الجلدية والألجمة، والأحزمة، والأسرجة، البدري، عبد الله، **نزهة الأنام في محاسن الشام**، 36.

([2]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 53/2.

([3])ابن الجزري،محمد،**تاريخ ابن الجزري**،73/1؛الصفدي،الحسن، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 243؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 158/14؛اليافعي،أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 193/4؛الحنبلي،عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 93/8.

([4]) سوق الخليع: هو السوق الذي يتعاطى بيع الثياب القديمة الملبوسة، وأكثر ما يباع من الثياب المخيطة، المقريزي أحمد، **الخطط المقريزية**، 169/3.

([5]) سوق الفامية: من فوم تفويماً اختبز، يقال: فوموا لنا أياختبزوا لنا، والفوم أيضاً: الحنطة، والحمص، والخبز، وسائر الحبوب التي تخبز، وبائعه فامي، ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، 341/11، مادة فوم.

([6]) الدق: هو من بقايا بذور الزيتون والمشمش المحروقة في الأفران، والتي كانت تستخدم في علاج بعض الأمراض البديري، محمد، **حوادث دمشق اليومية**، 158.

([7])القياسر: أبنية لا تختلف في وظيفتها عن الفنادق والخانات، فيوجد بها حوانيت تؤجر للتجار،وغرف لإقامتهم ونومهم، ولخزن بضائعهم،وحفظ أموالهم،والبيع يكون بها عادةً بالجملة،المقريزي،أحمد، **الخطط المقريزية**،144/3؛طرخان ،إبراهيم، **النظم الإقطاعية**، 368؛ الريحاوي،عبد القادر،**خانات مدينة دمشق**،مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج25، ع12، 1975م، 54.

أنه انعكس سلباً على أصحاب الطبقة البرجوازية كالتجار وأصحاب الحوانيت من حيث إعلان إفلاسهم حتى أصبح الغني منهم فقيراً ([1]).

وكان لتفشي الطواعين في بلاد الشام أثر بالغ على إغلاق الأسواق وتعطيل الحركة التجارية لكثرة من مات من التجار وأصحاب الحوانيت، مما أثر في توفر السلع التجارية وخاصة ما يلزم لتجهيز الموتى من أكفان وقطن، وارتفعت أسعارها بشكل عالٍ، وإلى جانب ذلك عانت الأسواق الشامية نقصاً حاداً من السلع التي كانت تستورد من الخارج وخاصة الأقمشة؛ وذلك لتعطيل حركة القوافل التجارية بسبب تخوف التجار من الإصابة بالعدوى، وهذا بدوره أدى إلى حدوث أزمة خانقة في اقتصاد الدولة المملوكية ونقص حاد في توفر الأموال، ومثال ذلك طاعون سنة (749هـ - 1348م)، إذ شلت الحركة التجارية، وعطلت الأسواق الشامية من كثرة من مات من التجار، وأثر ذلك على توفر السلع وارتفاع أسعارها([2]).

ولاحظنا أن الطاعون الذي تفشى في بلاد الشام سنة (825هـ - 1421م) أفنى غالبية التجار والغلمان والخدم، مما ترك آثاراً في انقطاع الجلب من الخارج، وتعطيل حركة نقل البضائع الداخلية ما بين الأسواق الشامية، وعلى أثر ذلك شلت الحركة التجارية، مما أدى إلى تعطيل الأسواق وإغلاقها وارتفاع أسعار السلع التجارية ([3])، وأدى تردي الأحوال والأوضاع التجارية بسبب طاعون سنة

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 275/2؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 406/2؛ ابن حبيب، الحسن **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 189/2؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 479/4.

([2]) ابن دقماق، إبراهيم، **النفحة المسكية في الدولة التركية**، 164؛ ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 116/3؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**،160/10؛ ابن النجم المصري، إبراهيم، (ت: 970هـ - 1562م)، **رسالة في ضبط أهل النقل في خبر الفصل في حق الطاعون والوباء**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم 5935، ورقة4.

([3])المقريزيأحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 80/7؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 132/4؛ السخاوي، محمد **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 475/2؛ ابن العماد الحنبلي،عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 251/9.

(919هـ -1513م)، إلى دعوة كبار العلماء وشيوخ الدين الناس للخروج إلى المناطق الخالية للتضرع لله بالدعاء لرفع بلاء الطاعون عنهم([1]).

2 ــ تعطيل الطرق التجارية:

أثرت الكوارث الطبيعية في الطرق التجارية، وشل الحركة التجارية بين نيابات وأعمال الدولة من ناحية، واتصالها مع محيطها من الدول المجاورة من ناحية أخرى ،مما أدى إلـى نـدرة السـلع التجارية وارتفاع أسعارها، ففي سنة (745هـ - 1345م) عندما تشكل السيل في مدينة حمـاة أعـاق حركة المسافرين والتجار وقتل عدداً كبيراً منهم، وسحب ما معهم من سلع وأمتعة أمام اندفاعه، ممـا أثر في الركود التجاري بالمنطقة، وارتفاع أسعار السلع التجارية لقلة وجودها ([2]).

ويعد تساقط الأمطار الغزيرة من أخطر الكوارث الطبيعية تأثيراً على تدمير الطرق التجاريـة وجرفها، ففي سنة (671هـ - 1272م) عندما سقطت الأمطار الغزيرة علـى مدينـة حلـب ــ ودام تساقطها بشكل مستمر لمدة تقارب شهراً ــ انقطعت السبل والطرق بين مدينة حلب ومحيطها، مما أثر في شل الحركة التجارية وارتفاع أسعار السلع ([3])، وفي سنة (800هـ - 1398م) وعلى أثر تساقطها الغزير في فلسطين لمدة تزيد عن اربعين يوماً، دمرت الطرق التجارية فـي معظـم مـدن السـاحل الفلسطيني وخصوصاً اللد، والرملة، وغزة، مما أثر في تعطل حركة القوافل التجارية، وخروجها من بلاد فلسطين وتصدير منتوجاتها الزراعية والصناعية إلى مصر، مما ترك أثراً فـي كسـاد السـلع

([1])ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 253/3، ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخـلان فـي حوادث الزمان**، 317/1.

([2])ابن قاضي شهبة ، أبو بكر ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، 417/1 ؛ابن عبد الباسط، خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 213/1.

([3]) مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 96.

وانخفاض أسعارها ([1])، وفي سنة (806هـ - 1403م) عندما تساقطت الأمطار الغزيرة علـــى مدينـــة دمشق انقطعت الطرق وتعطل المسافرون والتجار ([2]).

عانت طرق التجارة في بلاد الشام من خطر تساقط الثلوج فإذا كان تراكمها سميكاً ولمدة زمنية طويلة أثر في تعطيل الطرق التجارية، وشل حركتها بين مدن بلاد الشام من جهة، ومع محيطها مـــن الدول المجاورة من جهة أخرى، وهذا بدوره زاد من حدة الطلب على السلع لقلة العـــرض وانقطـــاع الجلب من الخارج، ومثال ذلك عندما تساقطت الثلوج على مدينة دمشق ســـنة (680هـ - 1281م) إذ تجاوز سمكها أكثر من ذراعين وبقي على الأرض لفترة زمنية تقارب الشهر([3])، وعلـــى أثـــر ذلـــك أغلقت الطرق التجارية بين مدينة دمشق وسائر بلاد الشام والبلاد المحيطة بها، ولم يســـتطع التجـــار إدخال السلع إلى المدينة، مما أثر في ارتفاع أسعارها ([4])، وفـــي ســـنة (716هـ - 1316م) عنـــدما تساقطت الثلوج الكثيفة على مدينة اللاذقية، وحلب، وحماة ([5])، وصل سمكه في بعض المناطق إلـــى ذراع ونصف، وبقي عالقاً في الطرقات لمدة تزيد على أسبوعين، مما أثر في إغلاق الطرق التجارية وتعطيل حركة القوافل لنقل البضائع، وانعكس ذلك على ارتفاع أسعار السلع التجارية ([6]).

وعندما تكرر تساقطه سنة(899هـ-1493م) في بلاد الشام ترك آثاراً في الحركـــة التجاريـــة بسبب انقطاع الطرق بين الساحل و مدن بلاد الشام كافة، مما أثر في سير القوافل التجارية وأصبح من

([1]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 474/1.

([2]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 616/1.

([3]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 61/4.

([4]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 535/1؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 61/4.

([5]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 455/2؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 177/1.

([6]) الذهبي، محمد، **ذيول على العبر في خبر من غبر**، 314/4؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 297/4.

الصعب على التجار نقل البضائع بين المدن الشامية، وهذا بدوره أدى إلى ارتفاع أسعار السلع فيها([1]).

ونجمل فما سبق بما هو آتٍ :

1.أثرت الكوارث الطبيعية ولا سيما موجات القحط والجفاف في تـوفر المحاصـيل الزراعيـة فـي الأسواق الشامية،وارتفاع أسعارها وخاصة محصول القمح، مما أدى إلى خلق أزمة اقتصادية خانقـة داخل بلاد الشام خاصة، والدولة المملوكية عامة، وهذا بدوره دفع الدولة إلى تغطية النقص الحاصـل باستيراده من الدول المجاورة، مما ترك آثاراً في حدوث خلل في ميزانيتها المالية.

2. أثر حدوث الكوارث الطبيعية في تقليص مساحات المراعي، وتوفير الأعلاف ،مما أثر في نفـوق أنواع كثيرة من الحيوانات وهزلها، وانعكس ذلك على ارتفاع أسعارها، وأسعار منتوجاتها من اللحوم والألبان، والأجبان، وانعدام الأضاحي وارتفاع كلفة وسائل النقل.

3. تركت الكوارث الطبيعية كالثلوج آثاراً سلبية في معظم فئات المجتمع الشامي، إلا أن لهـا آثـاراً إيجابية على بعض فئاته كالفقراء الذين استفادوا من انخفاض سعر الحطب لكثرة عرضه ، وتراجـع الطلب عليه لتكسر أغصان الأشجار.

4.استغل الفرنج تردي الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام، بسبب حدوث الكوارث الطبيعية وانزلوا ما لديهم من السلع إلى السواحل الشامية، وهذا بدوره أثر في اقتصاد بلاد الشام.

5. أدى تلف الأشجار جراء حدوث الكوارث الطبيعية إلى ترك آثار في الصناعات المحفوظة ومنهـا الزيتون، والسيرج، وارتفاع أسعارهما، مما اضطر السكان بالاستعاضة عنه بدهون الحيوانات لطهـي طعامهم، وهذا بدوره أدى إلى حدوث تغيير على نمط الطبخ في المجتمع المملوكي.

([1]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 495، 496، ابن الحمصي، أحمد، **حـوادث الزمـان ووفيات الشيوخ والأقران**، 34/1.

6.ارتبطت الصناعات القائمة على المحاصيل الزراعية، والإنتاج الحيواني، ارتباطاً وثيقاً بالمحاصيل الزراعية من حيث كمية الإنتاج، وقد لاحظنا أنه عندما كانت تتناقص المحاصيل الزراعيـــة، وتُنفــق الحيوانات جراء حدوث الكوارث الطبيعية تتراجع كمية المصنوعات، وترتفع أسعارها.

7 – أدى موت الأطباء والعطارين بسبب الطواعين إلى عدم توفر العقاقير وفقــدانها فـــي الأســـواق وارتفاع أسعارها، وهذا بدوره زاد من ارتفاع عدد الوفيات بين صفوف المرضى بشكل ملحوظ .

الفصل الثالث

آثار الكوارث الطبيعية في الناحية السياسية، ودور الدولة في معالجتها

الفصل الثالث

آثار الكوارث الطبيعية على الناحية السياسية، ودور الدولة في معالجتها:

أدى حدوث الكوارث الطبيعية في بلاد الشام إلى ترك آثار سلبية في الأوضاع السياسية للدولة المملوكية بشكل عام والمجتمع الشامي بشكل خاص، وأثرت بشكل واضح في المناحي التالية:

أولاً: انعدام الأمن وحدوث الثورات والفتن:

اتضح في العصر المملوكي من خلال أن بعض العربان ([1]) وقطاع الطرق استغلوا حدوث الكوارث الطبيعية، فقاموا بالتمرد على الدولة من ناحية السلب، والنهب، والتعدي على السكان من ناحية أخرى، وكان انعدام الأمن جراء الكوارث من أنسب الأوقات لهذه الفئات في إحداث الفتن والاضطرابات، وقطع طرق التجارة، ففي سنة (658هـ - 1259م) استغل قطاع الطرق تفشي الطاعون في مدينة حلب، وقاموا بقطع الطرق التجارية، ونهب القوافل والتطاول على المسافرين بالقتل، فأثاروا الرعب والخوف بين الناس، ومن كثرة ما عاثوه من فساد لم يتجرأ المسافرون السفر خارج المدن، أو القدوم إليها إلا برفقة العسكر ([2])، وفي سنة (680هـ - 1282م)، استغل العربان موجة القحط والجفاف في بلاد الشام ، فأغاروا على مدينة طرابلس ونهبوا وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها([3])، وفي أثناء سلطنة السلطان حاجي بن قلاوون ([4]) سنة (748هـ - 1347م)، قام عربان آل

([1]) العربان، هم أهل الأمصار - الحضر - سكان المدن والقرى،وظهر هذا المصطلح في العصر العباسي، شوكت حجة ، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن (جنوب بلاد الشام) في عصر دولة المماليك الثانية**، 211 ، 212 .

([2]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان**، 283/1.

([3]) **المقريزي**، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 151/2.

(4)حاجي بن محمد بن قلاوون:هو السلطان المظفر حاجي بن السلطان سيف الدين قلاوون،ولي السلطة في سنة (747هـ - 1346م) ،قتل في السنة التي تليها بعد أن مكث في السلطة سنة، للمزيد ينظر،الصفدي،خليل،**أعيان العصر وأعوان النصر** 176/2-179؛ المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 53/4-54

([4]) آل مهنأ: هم آل مهنأ، بن عيسى، بن فضل، نسبت إليهم إمرة العرب في المناطق الشمالية لبلاد الشام في عهد الدولة المملوكية للمزيد ينظر،ابن فضل الله العمري،**قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**،116؛القلقشندي، أحمد **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، 76-77.

مهنأ(1) بأعمال سلب مستغلين الظروف السياسية المضطربة للبلاد ،بسبب شدة الجفاف الذي تعرضت له البلاد، فغاروا على مدينة حماة، وأتلفوا الزروع والكروم لأجل مواشيهم، واعتدوا علـــى الطـــرق التجارية، ونهبوا القوافل، وما تحمله من سلع تجارية، وأصبح سكان المدينة بين خطرين: خطر القحط والجفاف من جهة، واعتداءات العربان من جـــهة أخـــرى (2)، مما زاد في تـــردي أحـــوال الـــبلاد الاقتصادية من ناحية تجارية وتوفر السلع الاستهلاكية ومعيشة السكان، والسياسية من ناحية انتشـــار الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار.

وعندما تفشى الطاعون بعامة بلاد الشـــام بـــين ســـنتي (749 - 751هـ/ 1348 - 1350م) استغل عشير بلاد الشام (3) أوضاع الدولة الصعبة، سنة (750هـ - 1349م) فتمردوا عليها برفضهم دفع المستحقات المالية المفروضة عليهم، واعتدى بعضهم على بعض ،ونشبت الحروب بينهم،ولم يسلم سكان الشام وطرق التجارة من اعتداءاتهم، مما أدى إلى انعدام الأمن وانتشار الفوضى فـــي معظـــم البلاد، وبذلك أصبحوا يشكلون عبئاً على السلطنة، فجهزت حملة عسكرية بقيادة نائب الشام "أرغـــون شاه " لإخضاعهم، ولكن هذه الحملة هزمت من قبلهم، مما زاد في بغيهم وفسادهم (4)، وفي أحـــداث السنة نفسها نجد أن بني نمير (5)، وبني ربيعة (6) في الكرك استغلوا انشغال الدولـــة فقـــاموا بقطـــع

---

(1) آل مهنأ:هم آل مهنأ، بن عيسى، بن فضل، نسبت إليهم إمرة العرب في المناطق الشمالية لبلاد الشام في عهد الدولة المملوكية للمزيد ينظر، ابن فضل الله العمري، **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، 116؛ القلقشندي، أحمد، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، 76-77.

(2)المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،50/4؛ توا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام عهد المماليك**، 45.

(3) عشير الشام: العشير جمعها عشران: لفظ يطلق على بدو الشام ، كما يُطلق على سائر الدروز، أما "عشير الشام" فهمـــا قبيلتـــا قيس ويمن، ولا يتفقان على مسار معين فيما بينهما قبل فترة التاريخ الإسلامي، وكانت الدولة تعتمد علـــيهم أحيانـــاً وتســـتأجرهم كجنود مرتزقة ، من أشهر سلاحهم الإقواس والسهام،للمزيد ينظر، حجة، شوكت،**التاريخ السياسي لمنطقة شـــرق الأردن (مـــن جنوب الشام) في عصر دولة المماليك الثانية** ، 211؛بولياك،أ،ن،**الإقطاعية في سوريا ولبنان وفلسطين**،445

(4) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 102/4.

(5) بنو نمير: هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، وهي قبيلة هوازنية من قيس عيلان العدنانيـــة؛ الألوســـي محمود، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 283، 284.

(6) بنو ربيعة: هم من عرب الشام من قبيلة طي، ارتحل بعضهم إلى الكرك وبقوا فيها، كحالة، عمر، **قبائل العرب فـــي القـــرنين السابع والثامن الهجريين القديمة والحديثة**،205؛ بيك،فريدريك،**تاريخ شرقي الأردن وقبائلها**،238.

الطرق التجارية، مما أثر في انعدام الأمن بالمنطقة ([1])، وانتهز العرب والتركمان الفرصة في بلدة سنجار([2])، فقاموا بقطع الطرق التجارية، واعتدوا على التجار، ونهبوا ما لديهم من الأموال والسلع فارتفعت أسعار السلع التجارية في الأسواق لانقطاع الجلب، وسيرت الدولة لهم نائب حلب "أرغون الناصري" بحملة عسكرية، حاصرهم فيها حتى نفد ما لديهم من الأقوات، فطلبوا الأمان على ألا يعودوا إلى ذلك، فأمنهم النائب، وانقطع فسادهم واعتداءاتهم ([3])، ويبدو أن إخماد مثل هذه الفتن والاضطرابات أثرت في الأوضاع السياسية والعسكرية للدولة المملوكية، لتكبدها خسائر فادحة على مقدرات الدولة العسكرية والبشرية([4]).

وفي سنة (764هـ - 1363م) عندما تفشى الطاعون في بلاد الشام انشغل الناس بموتاهم فاستغل عربان آل مهنأ ذلك وأغاروا على تدمر([5])، ونهبوا ثمار البساتين، وأحرقوا الزروع وعاثوا فساداً بالمنطقة، وبالتالي انعدم الأمن من جهة، وخربت المحاصيل الزراعية وارتفعت أسعارها من جهة أخرى ([6])، وعندما تكرر تفشيه بدمشق ومحيطها سنة (771هـ - 1369م)، استغل عربان بني كلاب الظروف الصعبة للسكان والدولة ([7])، وأغاروا على القوافل التجارية بين حماة وحلب وصادروا

([1])المقريزي،أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 102/4؛البخيت، عدنان، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، 24.

([2]) سنجار: مدينة مشهورة بنواحي الجزيرة، وهي من مدن الثغور الشامية، بينها وبين الموصل ثلاثة فراسخ، تقع في سفح جبل الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 262؛ ابن شداد، محمد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، 154/3 لسترنج،كي،**بلدان الخلافة الشرقية**،128.

([3]) الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 187/3-188.

([4])الاسدي،محمد،**التيسير والاعتبار**،89

([5])تدمر:مدينة قديمة في برية الشام،بينهما وبين حلب خمسة أيام،الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 17/2.

([6]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 393/14.

([7]) بنو كلاب: عرب على أطراف حلب والروم، يركبون الأكاديش وبعضهم يتكلم اللغة العربية،للمزيد ينظر، ابن فضل فضل الله العمري، **قبائل العرب**، 143.

وصادروا الغلال القادمة منها، مما أدى إلى انتشار الفوضى والفساد وانعــدام الأمــن، والاســتقرار، وعدمت السلع التجارية في الأسواق، وارتفعت أسعارها ([1]).

وكان لتفشي الطاعون ببلاد الشام سنة (813هـ - 1410م) دورٌ فــي إحــداث الاضــطرابات والفوضى، إذ استغل العشير ظروف السكان المأساوية، فعاثوا الفساد في المــدن والقــرى وقطعــوا الطرقات([2])، وتكررت هجماتهم سنة (841هـ - 1437م)، عندما تفشى الطاعون ببلاد الشام منتهــزين انشغال السكان بتجهيز أمواتهم، فهاجموا المدن ونهبوا خيراتها،ووقعت بين المهاجمين أنفسهم حــروب لاختلافهم حول الغنائم، وقتل منهم أكثر من ألف شخص، وهذا بدوره أثر في أمن واستقرار المنطقــة وانتشار الرعب والخوف بين السكان ([3])، وعلى أثر تفشي الطاعون بمدينة دمشــق ســنة (882هـ - 1477م)، توفي عدد كبير من سكانها، مما أدى إلى ضعف أحــوالهم، فاســتغل العربــان القــاطنون بجوارهم ظروفهم الصعبة وهاجموهم في سنتي(883هـ - 1478م)، و(884 هـ -1479م) ([4])، ونهبوا ونهبوا حوانيت المدينة، فتعطلت حركة البيع والشراء فيها لإغلاق الأسواق، ولتفاقم فسادهم اضطربت الأحوال الأمنية في المدينة، حتى أصبح سكانها لا يأمنون على أنفسهم، مما دفعهم إلى إغلاق أبــواب منازلهم على أنفسهم، وبالتالي خفت حركة الناس في الطرقات، ولم تكن طرق المدينة المؤديــة إليهــا أفضل حالاً من المدينة نفسها، إذ قطعوها وتمادوا في فسادهم وطغيانهم، ووصل بهم الأمر إلى فرض ضرائب خاصة على سكانها ، مما أثــر في حــدوث أزمــة اقتصــادية خانقة ([5]).

([1]) توا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 45؛شطناوي،عدنان،**دولة المماليك الاولى في مصر والشام في عهد السلطان الاشرف شعبان بن حسين**،34،رسالة ماجستير ،جامعة اليرموك،إربد،2001.

([2]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 931/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 197/3.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 556/7؛ الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبــدان فــي تــواريخ الزمان**، 199/3- 200؛ ابن عبد الباسط، خليل،**نيل الأمل في ذيــل الــدول**، 29/5؛ اشــتور، **التــاريخ الاقتصــادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**، 396.

([4]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 83.

([5])ابن الجيعان،محمد،**القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف**، 122-124؛البصروي،علي،**تاريخ البصروي**،83.

وأدى تعرض بلاد فلسطين لتفشي الطواعين في الفترة ما بين سنتي (897-909هـ \ 1492-1503م) إلى تنامي اعتداءات العربان مستغلين انعدام الأمن، فسيطروا على الطرق التجارية وطريق الحاج بين مصر وفلسطين، فعطل الحج عن السير للبلاد الحجازية لمدة عشر سنوات([1])، وهذا بدوره انعكس على انعدام الأمن وانتشار الرعب و الخوف، خاصة بعد أن قاموا بالاعتداء على قافلة للمسافرين ما بين فلسطين ودمشق سنة (900هـ- 1494م) وقتلهم النساء والأطفال الذين كانوا فيها([2]).

ونجد أن حدوث الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ترك آثاراً على اندلاع الثورات الاحتجاجية من قبل عامة الناس على الدولة، لتوفير احتياجاتهم من المياه، ففي سنة(760هـ- 1359م) عندما أجدبت البلاد حصل نقص حاد في كمية مياه الشرب في كل من دمشق وحوران، واقتتل الناس عند أعين المياه والأنهار لقلتها، مما أدى إلى اندلاع ثورة عامة، واضطرابات قوية من الأهالي للمطالبة بتوفير مياه الشرب لهم([3])، وفي سنة(807هـ- 1404م) عندما اجتاحت موجة القحط والجفاف بلاد الشام وقلت مياه الأنهار والعيون اقتتل الفلاحون فيما بينهم للحصول على الماء لري مزروعاتهم([4]).

وقد دفع انحباس الأمطار واجتياح القحط والجفاف السكان في بلاد الشام إلى اتخاذ خطوات احتياطية، كمنع الأمراء من استغلال مياه الأنهار والعيون لمصالحهم الشخصية، وهذا بدوره كان يؤدي إلى حدوث اضطرابات وثورات من الأهالي، ومثل هذا حدث سنة (887هـ - 1482م) عندما قام نائب السلطنة بدمشق "جقماس الظاهري" ([5]) بجر مياه نهر ثورا ([6]) لسقي بساتينه الخاصة بقرية

([1])الجزيري ، عبد القادر **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة** ، 477/1-481

([2]) Moshe Sharoun, **The polictical Role of the Bedouins in Palestine in the sextenth and seventh centuries. Studies Un Islamic History and civlization**, 73-108.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 149/2؛ الشيلي، فيصل، **بلاد الشام في ظل دولة المماليك الثانية**، 200.

([4]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 670/2.

([5]) جقماس الظاهري : النائب السبعون للسلطنة في دمشق عين سنة (886هـ-1481م) وبقي في منصبة حتى وفاته سنة (892هـ-1486م) للمزيد ينظر، السخاوي ، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، 213/6؛ البصروي، علي ،**تاريخ البصروي**، 120؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان** ، 1/ 68.

([6]) نهر ثورا: أحد فروع نهر بردى، ينفصل عنه في منطقة الشادوران الغربي من رابع مقسم، ويتجه شرقاً على سفح جبل قاسيون ثم يدخل الغوطة، وينتهي عند قرية عذراء، ويسقى منه قرى الصالحية كدومة، وكفر مدير، ومرايا، ويتفرع منه نهر جسر

عذراء([1])، مما أثار حفيظة الفلاحين المستفيدين من مياه النهر في قرية حرستا ودومة([2])، فقاموا بثورة اعترضوا من خلالها على النائب وطالبوه بإيقاف جر المياه، ومع تزايد حدة الشغب وعد النائب السكان بإعطائهم أياماً بديلة عنها في وقت آخر، ولكنهم رفضوا اقتراحه لئلا يحصل لهم الضرر، مما أدى إلى رضوخه لمطالبهم، وتوقف عن جر المياه من النهر ([3])، وتكرر ذلك سنة (889هـ - 1484م)،عنـــدما ثار أهالي قريتي عرابين ([4]) وجوبر في غوطة دمشق على نائب دمشق "جقماس الظاهري" ورجالـــه الذين باعوا جزءاً من مياه نهر ثورا لطائفة من اليهود السامرة، ولاشتداد حدة الثورة عدل النائب عـــن قراره ورضخ إلى مطالبهم ([5]).

وقد استغل التجار والمحتسبون موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام في احتكـــار السلع، والغلال، وبيعها للأهالي بأسعار مرتفعة، وبالتالي كان لاعتراض السكان وإحدث اضـــطرابات تأثرت في استقرار الأحوال السياسية للبلاد، كما حدث في موجة القحط والجفاف التي شـــهدتها بـــلاد الشام سنوات (797هـ-1394م)([6])، و(798هـ-1395م)، حيث قام كبار التجار باحتكار الغلال، مما أثر في توفرها في الأسواق، وارتفعت أسعارها، فأثار ذلك حفيظة العامة، وقاموا بثورة طالبوا من خلالها

=البط ونهر طاحون الوز، واسمه مرياني يعني (شباك صيد السمك)، وكان يسمى قديماً (نهر سقط)،للمزيد ينظر، ابـــن طولـــون محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 364/1؛ الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 327/2.

([1]) عذراء: قرية بغوطة دمشق من إقليم حولان تقع شرقي قرية دومة، وهي من إقطاع النيابة وشربها من نهر ثورا للمزيد ينظر،الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 91/4؛ابن طولون،محمد،**ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي دمشق، مج21،ع12، 1946، 159.

([2]) دومة: قرية كبيرة جامعة شرقي حرستا من أمهات القرى بغوطة دمشق، وشربها من نهر ثورا، للمزيد ينظر،ابـــن طولون، محمد، **ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي في دمشق،مج 21،ع 12، 1946، 159.

([3]) يوسف، عبد الودود، **جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر**، مجلة الحوليات الأثرية العربيـــة السورية، مج2، ع23، 1973م، 191؛ الشيلي، فيصل، **بلاد الشام في ظل دولة المماليك الثانية**، 200.

([4])عرابين:ويقال لها عرابيل،وهي قرية جامعة، وشربها من نهر ثورا، وإليها ينسب العنب البلدي، للمزيد ينظـــر،ابـــن طولون،محمد،**ضرب الحوطة على جميع الغوطة**،مجلة المجمع العلمي في دمشق،مج21،ع12، 1946م، 159.

([5]) ابن خلدون، عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، 441.

([6])ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 164؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تـــاريخ ابـــن قاضـــي شهبة**، 544/3.

بإطلاق الغلال، وعرضها في الأسواق([1])، وعلى أثر موجة سنة (891هـ-1486م) قام محتسب مدينة دمشق " عبد القادر المحتسب" باحتكار الأقوات والسلع، فارتفعت الأسعار، واحتج العامـــة ورجمـــوه بالحجارة ([2])، ويظهر لنا مما سبق، أن ظاهرة الاحتكار أدت إلى حدوث الفوضى، وانعدام الأمن، مما أجبر رجال السلطنة إلى محاولة إيجاد الحلول المناسبة ومثال ذلك: ما قام به نائب السلطنة "جقمـــاس الظاهري" الذي أصدر مرسوماً طالب فيه المحتكرين إطلاق الغلال في الأسواق وبيعها، وإن لم يفعلوا ذلك نهبت مخازنهم، وبذلك حلت المشكلة وانخفضت الأسعار([3]).

ثانياً: أثرها في العساكر المملوكية وحركة الجهاد:

أثرت الكوارث الطبيعية على الجيش المملوكي وحركة الجهاد التي كان يقوم بها فـــي بـــلاد الشام، فعند حدوثها كانت تقع الوفيات في صفوف العساكر بأعداد كبيرة، وتؤدي إلى وإتلاف أمتعـــتهم وعتادهم كالسلاح، والخيام، والجمال، والبغال، وكان لتشكل السيول تأثير بالغ في العساكر، ففي ســـنة (682هـ - 1283م)عندما قدم السلطان المنصور قلاوون([4]) من الديار المصرية نحو دمشق لمواجهـــة هجوم المغول، وعسكر بها، فوجئ الجيش بالسيل الذي تشكل بدمشق، ومن شدة اندفاعه جرف أمامـــه كثير من خيام وخيول للعسكر المصري، وغرق بعض عساكر، وعلى أثر قرر الســـلطان الانســـحاب

([1]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 165/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 398/5؛ ابن قاضـــي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 611/3.

([2]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 71/1.

([4]) البصروي ، علي ، **تاريخ البصروي**، 125 ؛ ابن طولون ، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 2/ 71 .

([5]) المنصور قلاوون: هو الملك المنصور قلاوون، سيف الدين أبو المعالي التركي الصالحي الألفي، اشـــتري بـــألف دينار، ولهذا لقب بالألفي، تولى السلطنة سنة(678هـ - 1279م)، وتوفي سنة(689هـ- 1290م)، للمزيد ينظر، ابن أيبك الدواداري، أبو بكر (ت 713هـ- 1313م)، **درر التيجان وغرر تواريخ الزمان**،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 4409، ورقة رقم 582؛العسقلاني، شافع، **الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور**، 51؛ الجعفري، محمـــد (من وفيات القرن الثامن الهجري) **أنهج الطرائق والمنهاج والسلوك إلى تواريخ الأنبياء والملوك**، مخطوط بالمكتبـــة الوطنية، باريس، رقم 1815،ويوجد نسخة مصورة عنه بمركز المخطوطات والوثائق بالجامعة الأردنيـــة تحـــت رقـــم 341،ورقة رقم 201، 202؛ المقريزي،أحمد، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملـــوك**، 124؛ الكتبـــي محمد، **فوات الوفيات والذيل عليها**،203/3؛ ابن دقماق، إبراهيم، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**،76/1.

والعودة إلى مصر([1])، وساعد ذلك المغول على استغلال الظروف وتوغلوا في بلاد الشام، وفي سنة (683هـ - 1284م) عندما تشكل السيل بمدينة دمشق جرف بالقرب من نهر بردى معسكراً للجيش المملوكي بمعداته وأثقاله ([2])، وفي سنة (699هـ - 1299) عندما وصل السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى قرتيا لرصد تحركات المغول، أرسل القصاد ([3]) والرسل لاستطلاع العدو، وفي أثناء انتظار عودتهم بالأخبار، تشكل سيل جارف هناك فأتلف كثيراً من أثقالهم، وعتادهم وجمالهم، وبالتالي عطلت مهمتهم، وما أن تلاشى خطر السيل حتى ظهر في المنطقة جراد كثيف حجب الأبصار عن السماء، مما أدى إلى تفرق العسكر وتشتت، وأصبح بين مصيبتين: مصيبة السيل ومصيبة الجراد وعلى أثر ذلك انسحب السلطان راجعاً إلى الديار المصرية ([4]).

ولم يكن الجيش المملوكي بعيداً عن خطر تساقط الأمطار الغزيرة، ففي الوقت الذي كان يقيم فيه الظاهر بيبرس بدمشق سنة (670هـ - 1271م)، وصلته أخبار تحالف المغول مع الفرنج لمهاجمة بلدة قاقون، فتوّجه إليهم في حينه ومعه عساكر مصر والشام، وعند وصوله منطقة مرج برغوث([5]) تساقطت الأمطار الغزيرة، فتذمرت العساكر، لعدم وجود ما يستظلون به، فأمر السلطان بعودة العساكر الشامية إلى دمشق، وعاد بالعساكر المصرية إلى مصر، وهذا بدوره أعطى المغول والفرنج مزيداً من الأمان، فعمدوا إلى مهاجمة بعض المناطق التي كانت بيد المسلمين([6])، وفي سنة (671هـ - 1272م)

([1]) المنصوري، بيبرس، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، 245؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**،116/1 ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 483/1؛ قساطلي،نعمان،**الروضة الغناء في دمشق الفيحاء**، 69.

([2]) النويري،أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 51/2؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 89/8؛ المقريزي،أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 185/2؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 666/7؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

([3]) القصاد: هو مصطلح معناه الرئيس "مبعوث " أو "رسول" ، في العصر المملوكي استخدم بمعني "عميل سري" ،حجة،شوكت،**العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة ايلخانية فارس**،66

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول المماليك**، 316/2.

([5]) مرج برغوث: جهة تقع على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب، أبو شامة، عبد الرحمن،**الروضتين في أخبار الدولتين**، 384.

([6])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،77/2؛عاشور،فايد،**العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**،96

smith, J.S. C, Riley, **Ayyubids, Mamlukes and Grusaers, Selection from the Turikh al-Duwal wa'l- muluk of ibn al-Furat**,p 198

عبر المغول نهر الفرات لمهاجمة مدينة حلب، ولما علم السلطان الظاهر بيبرس بذلك خرج بعساكره من البلاد المصرية لردهم، ولمّا وصل إلى مدينة حلب خيّم بجانبها استعداداً لمجابهة المغول، وفي تلك الأثناء تساقطت عليهم الأمطار، وتسببت بحدوث الوحل وتشكل السيول مما أعاق وصول الأجلاب والتبن والشعير إليهم فارتفعت الأسعار ، وتراجعت معنويات العساكر، ولمّا شعر السلطان أن جيشه قد أوشك على الهلاك من شدة البرد وقلة التموين اضطر إلى الانسحاب والعودة إلى الديار المصرية([1]).

وفي سنة (700هـ - 1300م) وصلت الأخبار للسلطان الناصر محمد بن قلاوون أن غازان([2]) قد عبر نهر الفرات يريد البلاد الشامية، فجهز العساكر من الديار المصرية قاصداً مدينة دمشق للدفاع عنها، ولما وصل مدينة غزة تساقطت الأمطار الغزيرة مدة واحد وأربعين يوماً متواصلة، مما كان له آثارٌ بالغة على الجيش، إذ توفي أعدادٌ كثيرة من العسكر والغلمان من الصقيع والبرد الشديد، ومما زاد الوضع سوءاً تشكل سيل جارف عقب الأمطار الغزيرة جرف أثقال العساكر وعتادهم، ومن شدته انقطعت المؤن والأعلاف عنهم، فارتفعت الأسعار في داخل الجيش، وبيع حمل التبن بأربعين درهما وعليقة الشعير بثلاثة، ورطل اللحم بثلاثة، والثلاثة أرغفة من الخبز بدرهم، وعلى أثر ذلك عادت العساكر إلى الديار المصرية، ولما بلغ سكان دمشق عودة السلطان وتقدم المغول اشتد بهم الخوف والفزع، ونزحوا عن المدينة إلى البلاد المصرية حتى خلت من سكانها ([3])، ويقول المقريزي:"إن البلاد الشامية خلت من أهلها لنزوحهم إلى مصر"([4])، وعلى أثر ذلك نهب المغول مدينة حماة([5]).

([1]) مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 96.

([2]) غازان: هو غازان بن أبغا، بن هولاكو تولوي بن جنكيز خان، جلس على تخت الملك في سنة (693هـ - 1293م) وتمكن سنة (699هـ - 1299م) من فرض سيطرته على مدينة دمشق، وخطب باسمه في المسجد الأموي، وتوفي في سنة (703هـ - 1303م) في بلاد قزوين، الصفدي، خليل، **أعيان العصر وأعوان النصر**، 5/4-18.

([3]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 258/31؛ اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 457/1؛ الذهبي محمد، **دول الإسلام**، 231/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك معرفة دول الملوك**،2/ 338 ؛علي، محمد، ،**خطط الشام**،115/2حجة ،شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك ودولة ايلخانية فارس**،336/3212؛ عطا الله محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 211؛ عاشور ،فايد،**العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**،161

([4]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**،2/ 338؛زياده،نقولا،**دمشق في عصر المماليك**،37.

([5]) الذهبي، **دول الإسلام**، 337/2.

وكان لتساقط الثلوج آثار سلبية على الجيش المملوكي، ففي سنة (668هـ-1269م) ،عندما بلغ السلطان الظاهر بيبرس([1]) أن المغول أغاروا على منطقة الساجور ([2])، جرد العساكر من البلاد المصرية إلى دمشق، وفي طريقه إليها لحق عساكره مشقة من البرد القارص، بسبب تراكم الثلوج مما أبطأ حركته في المسير، ولما وصل مدينة حماة واتجه إلى منطقة المرقب لمهاجمة المغول هناك تساقطت الثلوج الكثيفة والأمطار الغزيرة، فاضطره للعودة إلى مدينة حماة ([3])، ويبدو أن رجوع العساكر وانعدام حركتها كان يؤثر بشكل واضح في فزع السكان وخوفهم من المغول، وخاصة سكان البلاد الشمالية من بلاد الشام،فكانوا يهربون إلى مصر،أو المناطق الجنوبية من بلاد الشام، وهذا بحد ذاته كان يؤثر في استقرار الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها ([4]).

وفي بعض الأحيان كان لموجات الصقيع والبَرْد في بلاد الشام آثارٌ فادحة في الجيش المملوكي من كثرة وفيات العساكر،إذ كان يستغل ذلك من قبل الخارجين على السلطة، ومثال ذلك عندما خرج الأمير منطاش ([5]) سنة (788هـ - 1386م) على السلطان برقوق ، مما دفع السلطان إلى إرسال الأمير

([1]) الظاهر بيبرس: هو ركن الدين، البند قداري، العلائي، الصالحي، اعتلى عرش السلطنة بعد قتل المظفر قطز سنة (658هـ - 1260م)، وهو رابع سلاطين المماليك البحرية، استرد مدنية أنطاكيا من يد الفرنج سنة (668هـ - 1269م) وتوفي سنة (676هـ - 1277م)،للمزيد ينظر، الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، 207/1؛ ابن تغري بردي، يوسف **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 52/3؛ الشهابي، قتيبة، **ألقاب أرباب السلطان**، 134؛ زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، 163-165؛العريني،السيد،**المماليك**،255.

([2]) الساجور: اسم نهر بالقرب من منبج، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 170/3.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 64/2، 65.

([4]) حجة ، شوكت ، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة ايلخانية فارس** ، 489.

([5]) منطاش:مملوك من ممالبك السلطان الأشرف شعبان، أولاه الظاهر برقوق نيابة السلطنة بملطية سنة (788هـ - 1386م) وعندما تأكد من قوة نفوذه هناك خرج على السلطان، وتم إخماد ثورته وقتله سنة (795هـ - 1392م)، للمزيد ينظر،ابن الفرات،محمد،**تاريخ ابن الفرات**،مج 9،ج1،194؛ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 95/4-100.

الأمير يلبغا الناصري([1]) لقمع الفتنة، ولما وصل الجيش الشامي بقيادة الناصري إلى منطقة مرج مرعش اشتد عليهم الصقيع والبرد القارص، فتوفي عدد من العساكر والغلمان ([2]).

وقد أدى هبوب الرياح العاصفة إلى اغتنام العدو الفرصة في الهجوم على الجيوش الإسلامية ففي أثناء حصار السلطان الأشرف خليل بن قلاوون([3]) لمدينة عكا سنة (690هـ - 1291م)([4]) هبت ريح عاصفة ([5])، استغل الفرنج المحاصرون داخل عكا من الاسبتارية ([6]) والداوية([7]) وقت هبوبها وهاجموا المعسكر الإسلامي، وهذا بدوره ترك أثاراً سلبية في الجيش

([1]) يلبغا الناصري: هو من مماليك يلبغا الكبير الناصري العمري، ولي نيابة حلب وقتل سنة (793هـ - 1390،للمزيد ينظر،الصفدي،خليل،**أمراء دمشق في الإسلام**،203؛ ابن حجر العسقلاني،أحمد،**ذيل الدرر الكامنة**،69 ؛السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 290/10-291.

([2]) للمزيد ينظر،ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 95/4-100.

([3]) الأشرف خليل بن قلاوون: هو الأشرف صلاح الدين بن المنصور قلاوون، ولد سنة (666هـ - 1267م)، وتولى السلطنة سنة (689هـ- 1290م)، استرجع آخر معاقل الصليبيين (مدينة عكا) سنة (690هـ - 1291م)، وبعدها استرجع مدن الساحل الشامي من يد الفرنج، صيدا، وحوران، وبيروت، وطرطوس، وعتليت، قتل سنة (693هـ - 1292م) على يد نائبه بدر الدين بيدرة، وبعض الأمراء بسبب تهديده مصالحهم، ومحاولة استفراده بالسلطة، للمزيد ينظر،ابن عبد الظاهر، محمد، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**،246؛ الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، 392/13؛ ابن حبيب، الحسن (ت779هـ - 1377م)، **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، مخطوط ضمن مجموعة مارشن بولد ليان إكسفورد، يوجد نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم 539، ج1، ورقة رقم 181؛ الفيومي(ت788هـ - 1386م) ، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم 1746، ورقة 442.

([4])المقريزي،أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 224/2؛ وهبه،مصطفى، **موجز تاريخ الحرب الصليبية**،57.؛عطيه عزيز،**الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب**،78؛علي،وفاء،**جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين**،38؛الخطيب،إبراهيم،**تاريخ المغول والمماليك**،67؛رمضان،عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا**،528؛عامر،سامية،**الصليبيون في فلسطين**،145.

([5]) النويري، محمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 198/31؛ ابن منكلي، محمد، **الأدلة الرسمية في التعابير الحربية**، 216 217؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون**، 870/10؛ رانسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، 702/3؛ ، طقوش، محمد **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 206.

([6]) الاسبتارية: لفظ أطلق على جمعية فرسان الهسبتالين (Hospital evs) ويرجع تأسيسها إلى سنة (493هـ - 1099م) على يد جير أرد بعد استيلاء الفرنج على القدس، واتسمت وظائفهم بالطابع الديني والإنساني، فكانوا يهتمون بالحجاج والمرضى، للمزيد ينظر، الصوري، وليم، **الحروب الصليبية** 103/3؛ سميث، جوناثان، **الاسبتارية**، 321-323؛ زابوروف، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق**، 158؛مقامي نبيلة،**فرق الفرسان الرهبان في بلاد الشام**،11.

([7]) الداوية: هي جمعية فرسان المعبد (Templiers) أسست سنة (513هـ - 1119م) على يد هيبج دي بيز ومن مهامها حماية طرق الحجاج والمسيحيين ما بين يافا والقدس، وبعدها تنصلت من عملها الذي أسست لأجله وتحولت إلى هيئة حربية وقدمت الدعم للحروب الصليبية في بلاد الشام،، الصوري، وليم، **الحروب الصليبية** ، 68/3؛ زابوروف،ميخائيل،**الصليبيون في الشرق** 158؛ مقامي، نبيلة،**فرق الفرسان الرهبان في بلاد الشام**،11.

المملوكي تمثلت في موت عددٍ من عساكره ([1]).

وكان لوقوع الزوابع أحيانا آثار واضحة في تدمير المعسكرات الإسلامية، ففي سـنة (685هـ - 1286م)، عندما وقعت الزوبعة المهولة بمنطقة الغسولة، تضرر أحد معسكرات الجيش المملوكي في جيشه وعتاده،إذ حملت من شدتها كثيراً من الأمتعة والعتاد كالسروج، والجواشن ([2])، والتراكيش([3]) وآلات الحرب، والثياب، والكلوتات ([4])، وطحن معظمه حتى أصبح لا ينتفع به، ورفعت عدداً من الجمال بأحمالها قدر رمح وأكثر عن الأرض، وأصبح ما يقرب من مائتي جندي دون عتاد وقماش وطال شرها حتى أصابت الغلمان ([5]) والجنود؛ إذ قتلت عدداً منهم ([6])، ولم تحدد المصادر عدد وفيات وفيات الغلمان والجنود.

وعندما كانت تجتاح موجات القحط والجفاف الدولة المملوكية، كانت تنفق الأموال التي خصصت لإرسال الحملات العسكرية للثغور الإسلامية على عامة الناس لحل مشكلة المجاعات فيؤدي ذلك إلى تعطيل مسيرة الجهاد وإتاحة الفرصة للأعداء بالإغارة على البلاد الإسلامية، ففي سنة (694هـ - 1295م)، عندما اجتاحت موجة القحط والجفاف الشديد البلاد المصرية في عهد السلطان

([1]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 59/3، 60.

([2]) الجواشن: مفردها جوشن، وهو الدرع الذي يلبس على الظهر، والفرق ما بينه وبين الزرد أن الزرد يكون حلقة واحدة فقط، وأما الجوشن يكون حلقة يتداخل فيها صفائح رفيعة من الزنك، البقلي، محمد، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 93، 94.

([3]) التراكيش: ومفردها تركاش، لفظ فارسي ومعناه الكنانة أو الجعبة التي يوضع فيها النشاب، البقلي، محمد، **التعريف بمصطلحات بمصطلحات صبح الأعشى**، 76.

([4]) الكلوتات: مفردها كلوته، وهي غطاء الرأس يلبس وحدها أو بعمامة وتسمى كلفة وكلفتاه، وكلفته، ويقال إنها من أصل لاتيني ويقول آخرون إنها معربة عن الفارسية، البقلي محمد،**التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 288.

([5]) الغلمان: مفردها غلام وهو من يقوم بخدمة الخيل، وهذا اللفظ في الأصل يطلق على الصبي الصغير والمملوك، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم، القلقشندي، محمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 471.

([6]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 87/31-89؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** 18/5؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 23/14، 24؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 102/1 103؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 193؛البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 83/2، 84.

كتبغا([1])، وحدثت المجاعة لقلة الأقوات، أرسل من الكرك، والشوبك، وبلاد الساحل عشــرون ألــف غرارة من الحبوب لحل الضائقة الاقتصادية التي عصفت بمصر، وكانت هذه الأقــوات قــد جمعــت لصالح العساكر المرابطة على الثغور الإسلامية([2])، ويبــدو أن هذا كان يؤثر في معنويات العــساكر مما يدفعهم إلى الاضطراب والتذمر.

وأدى تفشي الوخم إلى ترك أثار سلبية في الجيوش المملوكية في بلاد الشام ، ففي سنة (685هـ - 1286م)، قدم السلطان المنصور قلاوون من البلاد المصرية وبصحبته عدد كبير من العساكر، لتفقد أحوال البلاد الشامية فلما وصل مدينة غزة أصاب عساكره وخمٌ شديد، توفي بسببه عدد كبيــر مــنهم فاضطر السلطان إلى تركها والتوجه إلى غابة أرسوف، وبعدها عاد إلى الديار المصرية على عجلــة من أمره لإنقاذ عساكره من شر الوباء([3]).

ونستشف مما سبق أن الكوارث الطبيعية في بعض الأحيان وقفت عائقاً أمام تحركــات الجــيش المملوكي، وعطلت حركة الجهاد، ودحــر الغزاة عن البلاد، ولكن الســؤال الذي يطرح نفسه هل كان لها دور في ردع الغزاة عن الدخول لبلاد الشام؟

كان لحدوث الكوارث الطبيعية أثر كبير في رد ودحر الغزاة عن بلاد الشام ولا سيما تســاقط الأمطار، والثلوج، وهبوب الريح الشديدة، ففي سنة (668هـ - 1269م)، عندما استنجد ملــك أرمنيــا بالمغول والإفرنج المقيمين بأنطاكية، أمده المغول بسبعمائة فارس، وأرسلت إنطاكية مائــة وخمســين

([1]) كتبغا: هو كتبغا بن عبد الله المنصوري، زين الدين، الملقب بالملك العادل، من ملوك المماليك البحرية فــي مصــر والشام، وفي أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون أصبح نائباً للسلطنة، وعندما خُلع الناصر محمد تسلطن مكانه ســنة (694هـ - 1294م) وعندما سافر إلى الشام استولى الأمير لاجين على كرسي السلطنة فأرسل إليه ليخلع نفســه فخلــع نفسه وارتحل إلى صرخد وبقي فيها حتى سنة (699هـ- 1299م)، ولما عاد الناصر محمد إلى السلطنة من جديد، أرسل إليه وأنعم عليه بمملكة حماة وأعمالها، للمزيد ينظر،مؤلف مجهول،**تاريخ الملك الاشرف قيتباي**،62 المقريزي، أحمــد **المقفى الكبير**، 240/4؛نوار،صلاح الدين،**الطوائف المغولية في مصر**،106.

([2]) المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 34؛ السيد، محمود، **تاريخ العرب في أخطر المعارك**، 186؛ عاشــور سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 338.

([3])العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 351/2.

فارساً لابسين السراقوجات([1]) تشبهاً بالمغول ،وعندما وصلوا إلى بلدة حارم وشددوا عليها الحصـــار تساقطت عليهم الأمطار الغزيرة والثلوج بشكل كثيف ، فهلك مائة وعشرون أرمينياً، وثلاثون فارســـاً من المغول، وستة من خيالة أنطاكية، فضعفت عزيمـــتهم، مما اضـــطروا إلى فك الحصـــار عنهـــا والرجوع من حيث أتوا وبذلك شتت تحالفهم ([2])، وفي سنة (668هـ - 1269م) خرجت جماعة مـــن الفرنج من الغرب، وبعثوا إلى المغول أنهم على استعداد للتحالف معهم لغزو بلاد الشام، فلما وصـــلوا إلى آسيا الصغرى عند منطقة سيس ([3])، هبت عليهم ريح عاصفة أغرقت العديد من سفنهم بما فيهـــا من الجنود والعتاد، ومن نجا منها رجع من حيث أتى ([4]).

وفي سنة (675هـ - 1276م) قدم المغول إلى قلعة البيرة([5]) للســـيطرة عليهـــا، وفـــي أثنـــاء محاصرتهم لها، تساقطت عليهم الثلوج الكثيفة، فنفقت معظم خيولهم من شدة البرد، وأصبح الكثير من عساكرهم دون خيل، مما اضطروا إلى فك الحصار عنها والرجوع راجلين من حيث أتوا دون تحقيق مأربهم([6])، وأدى تساقط الأمطار الغزيرة وكثرة الوحل سنة (679 هـ - 1280) إلى انسحاب المغول من مدينة حلب، ويصف بيبرس المنصوري قائلاً: " إن الشـــتاء قد هجـــم علـــيهم "([7])، وفـــي ســـنة (683هـ- 1284م) عندما هاجم ملك قبرص الساحل الشامي هبت عليه ريح عاصفة صرفته عن حاجته

([1]) السرقوجات : مفردها سراقوج وهو عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة إلى أعلـــى ،للمزيـــد ينظر، ماير ، ل . أ ، **الملابس المملوكية** ، 56 .

([2]) النويري ، أحمد ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ،30/ 261 ؛ حمزة، عادل، **نهايـــة حلـــب فـــي عصـــر ســـلاطين المماليك**، 146/1؛ موير، وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 54؛ حجة، شوكت ، **العلاقات بـــين دولـــة المماليـــك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 197 ؛ حسن،أسامة، **رجال لهم تاريخ**،85

([3]) سيس: بلد من بلاد الثغور الشامية، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 297/3.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 64/2؛العبادي،احمد مختار،**في تاريخ الأيـــوبيين والمماليـــك**،196 قاسم،عبده وزميله،**الأيوبيون والمماليك**،162.

([5]) قلعة البيرة: من أعمال حلب ،تقع بينها وبين الثغور الرومية الحموي، ياقوت، **معجم البلـــدان**، 526/1؛ ابن فضل الله العمري أحمد، **دولة المماليك الأولى**،201.

([6])ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ الزمان**،333 ؛عاشور،فايد،**العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**،103.

([7]) **التحفة الملوكية في الدولة التركية** ، 95.

مما اضطر على أثرها للنزول في بيروت ومنها رجع إلى قبرص([1])، وفي سنة (698هـ - 1298م) وصل إلى ساحل مدينة بيروت حوالي ثلاثين سفينة للفرنج قادمة من جزيرة قبرص تحمل على متنها نحو سبعمائة مقاتل، ولما رست على الساحل وأراد أن يخرج الفرنج منها هبت عليهم ريحٌ قوية أغرقت معظم مراكبهم، وتكسر بعضها، وعام الجنود على سطح المياه ما بين قتيل وأسير بيد المسلمين([2])، وفي السنة نفسها تعرض المغول وهم قادمون إلى بلاد الشام إلى تساقط الثلوج والأمطار الغزيرة، ووقوع الصواعق التي أهلكت منهم خلقاً كثيراً وشتتت شملهم، وأجبرتهم على الرجوع إلى بلادهم، وخيبت أملهم في الوصول إلى البلاد الشامية([3]).

وعندما هاجم المغول بلاد الشام سنة(700هـ- 1300م) أدى تساقط الثلوج والأمطار الغزيرة إلى إعاقة تقدمهم، ونفق من خيولهم اثنا عشر ألف، ولم يبق منها إلا نحو ألفي فرس، وبذلك رجعوا منهزمين وأخفقت حملتهم، وسر الناس بعودتهم سروراً عظيماً([4])، ويؤكد ابن تيمية أن عودتهم كانت بسبب تساقط الأمطار الغزيرة والثلوج، قائلاً:"وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام، حتى طلبوا الاستصحاء غير مرة، وكنا نقول لهم : هذا فيه خيرة عظيمة وفيه لله حكمة وسر فلا تكرهوه، فكانت حكمته: إنه فيما قيل: أصاب غازان وجنوده حتى أهلكهم، وهو كان فيما قيل: سبب رحيلهم"([5]) وفي سنة(748هـ - 1347م) أغارت مراكب للإفرنج على سواحل بلاد بلاد الشام، فلما دنت منها هبت عليه ريحٌ عاصفة أغرقت معظمها ويقول ابن الوردي في ذلك:

قل للفرنجِ تأدبوا وتجنبوا　　　فالريحُ جندُ نبيّنا إجماعا

([1])نصر الله، سعدون،**رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى**؛127العبادي،أحمد،**قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**،229.

([2]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 237/31؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 441/1؛ سالم، عبد العزيز، **طرابلس في التاريخ الإسلامي**، 337.

([3]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 351/31؛ مجهول ، **تاريخ سلاطين المماليك** ، 47.

([4])المقريزي،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،342/2؛حجة،شوكت،**العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**، 324.

([5])**مجموعة فتاوي ابن تيمية** ، 28 / 463.

إن قلعت في البر أشجاراً فكمْ   في البحر يوماً شجرَّتْ أقلاعا ([1])

(البحر الكامل)

وفي سنة (768هـ - 1366م) توجه الفرنج لمهاجمة الساحل الشامي، فلّما وصلوا إلى مدينة طرابلس، هبت عليهم ريح عاصفة فرقت جمعهم ، وعلى أثرها ردّوا إلى بلادهم ([2])، وفي سنة (792هـ - 1389م) خرج الفرنج بسبعين مركباً من جزيرة قبرص قاصدين مدينة طرابلس فلما وصلوا إلى سواحلها هبت عليهم ريحٌ عاتية أغرقت لهم مركباً بما فيه من العتاد والعساكر، وتفرقت البقية ورجعت إلى جزيرة قبرص دون أن تحقق أهدافها([3])،وفي سنة (893هـ - 1487م) قدمت القوات العثمانية لمهاجمة بلاد الشام عبر البحر المتوسط في نحو ستين مركباً محملة بالمقاتلين والأسلحة، ولما وصلت السواحل الشامية هبت عليها ريحٌ عاصفة أغرقت معظمها، وبذلك فشلت مهمتها العسكرية ([4]).

ثالثاً: دور الدولة في مكافحة الكوارث الطبيعية:

اهتمت السلطنة المملوكية في بلاد الشام في إعمار وترميم ما دمرته الكوارث الطبيعية، وقدمت المساعدة للسكان عن طريق توفير ما يلزمهم من الاحتياجات الإنسانية الضرورية، لحل ما ينجم عنها من أزمات اقتصادية، واتخذت بعض الخطوات الوقائية لتخفيف الأضرار في حالة تكرارها وقد تمثل دورها في معالجة أزمات الكوارث الطبيعية في المجالات التالية:

1 ـ الزلازل والصواعق :

اهتم السلاطين المماليك ونواب السلطنة في تشييد وإعمار المنشآت العمرانية التي كانت تتعرض للتدمير والتخريب جراء الزلازل في بلاد الشام، ومثال ذلك ما قام به الملك المغيث عمر([5]) من إعمار

([1]) **تاريخ ابن الوردي**، 517/2.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 293/2؛إديوري،بيترو،**قبرص والحروب الصليبية**،149.

([3]) سالم ، عبد العزيز ، **طرابلس في التاريخ الإسلامي** ، 339.

([4]) ابن آجا، أحمد، **العراك بين المماليك والعثمانيين**، 190.

([5]) المغيث عمر: الملك المعظم، عيسى بن عمر، بن محمد، بن أيوب، بن العادل، بن الكامل، وفي سنة (661هـ - 1262م) ألقى السلطان الظاهر بيبرس القبض عليه بسبب مراسلته للمغول ،وسجنه في القاهرة، وقتل في السنة التالية

إعمار الأبنية والأبراج التي دمرت في مدينة الكرك جراء الزلزلة التي ضربتها سنة (660هـ - 1261م) ([1]) ويعد السلطان الظاهر بيبرس من أكثر سلاطين الدولة المملوكية الأولى الذين أبدوا اهتماماً كبيراً في ترميم وتعمير الأبراج والأسوار التي كانت آيلة للسقوط ، ففي سنة (673هـ- 1274م) توجه من مصر إلى الكرك وقام بهدم برجين من أبراج قلعتها، وبنى مكانهما برجين جديدين كخطوة احترازية على أثر سقوط أحد أبراجها في تلك السنة ([2])، وفي سنة (686هـ - 1287م) قام احد نواب السلطان المنصور بإزالة ما تبقى من برج اللاذقية الذي تهدم بفعل الزلزلة في تلك السنة وأقام مكانه برج أخر، وعُد من أصعب المنشآت العمرانية تشيداً، لوقوعه في وسط البحر([3]) وفي سنة (692هـ - 1293م) انتدب السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الأمراء ببلاد الشام لاستدعاء الصناع من غزة، للعمل على ترميم الدور والأبراج التي هدمت بالكرك جراء الزلزلة التي ضربتها في السنة السالفة([4])، وفي سنة (702هـ - 1303م) أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بترميم ما تهدم من قلعة صفد وأسوارها([5]) والأجزاء المتشعثة من قلعة الكرك، والمسجد الأموي بدمشق، جراء الزلزلة التي ضربت البلاد ووزعت الدولة عشرة آلاف أردب من القمح على أهالي المناطق المنكوبة من بلاد

=بعد إصدار فتوى إسلامية من قبل علماء القاهرة تجيز قتله بسبب الخيانة، للمزيد انظر ، الذهبي، محمد، **دول الإسلام** 128/2؛ الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، 153/23.

([1]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**، 114/2؛ غوانمة، يوسف، **التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي**، 267.

([2]) ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**،459/3؛ البخيت، عدنان، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**،110؛غوانمة، يوسف،**التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي**، 267.

([3]) ابن عبد الظاهر،يحيى، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**،151-153؛ ابن المغيزل،علي،**ذيل مفرج الكروب في إخبار بني أيوب**،118؛ أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 357/2 .

([4]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 155/31؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 55/1؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 154/8.

([5]) المنصوري، بيبرس، **التحفة المملوكية في الدولة التركية**، 173؛ النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 39/32 البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 230/3؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 732/2؛ ابن دقماق، إبراهيم، **النفحة المسكية في الدولة التركية**، 167؛ صلاح،محمد،**الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر**،272،رسالة ماجستير،الجامعة الاسلامية،غزة،2009م.

الشام ([1])، وفي سنة (744هـ - 1343م) انتدبت الدولة مجموعة من الأمراء من بلاد الشام للعمل على إعمار ما تهدم من القلاع بفعل الزلزلة، وخصصت مبالغ من الأملاك الديوانية ([2]) للإنفاق عليها ([3]).

وفي سنة (851هـ-1447م) بعث السلطان جقمق([4]) الصناع لإعمار ما احترق من قبة الصخرة جراء الصاعقة التي وقعت عليها([5])، وفي سنة (863هـ-1458م) بادر السلطان([6]) الأشرف سيف إينال العلائي ([7]) ببناء ما تهدم من أسوار الكرك وأبراجها بسبب الزلزلة([8]).

2 ـ السيول:

أبدى سلاطين الدولة المملوكية وأمرائها ببلاد الشام اهتماماً في ترميم وتعمير ما دمر جراء تشكل السيول، ففي سنة (664هـ-1265م) توجه السلطان الظاهر بيبرس ومعه حشد من الرجال من مدينة دمشق إلى الكرك لإعمار جسر على نهر الشريعة ([9]) سقط بسبب تشكل السيل([10])، وفي

([1]) مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 128؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 181/2 العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 263/4؛ غوانمة، يوسف، **التاريخ الحضاري لشرقي الأردن**، 271؛ أسامة حسن، **الناصر محمد بن قلاوون**، 33.

([2]) الأملاك الديوانية: هي الأملاك التي تخضع للدولة وتسجل في دواوينها، دهمان، محمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، 23.

([3]) ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الاسلاك**، 204؛ ابن الشحنة، محمد، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**، 281-282؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

([4]) جقمق: هو الظاهر أبو سعيد الجركي،أوصاه السلطان الأشرف برسباي قبل موته على ابنه العزيز، ولكنه خلع العزيز من السلطة سنة (842هـ - 1438م)، وأصبح سلطان الدولة، وبقي في السلطنة خمس عشرة سنة إلا شهراً وكانت وفاته في سنة (857هـ - 1453م)، للمزيد ينظر، السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 70/3-73؛الديار بكري، حسين، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**،433/2.

([5]) السخاوي، **الذيل التام على دول الإسلام**، 20/2؛ فاخوري، عبد الباسط، **تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام**، 182.

([6]) الأشرف سيف الدين إينال العلائي: تولى السلطنة المملوكية في سنة (856هـ - 1452م) ، وتوفي سنة (865هـ - 1460م) فكانت مدة سلطنته ثمان سنين،وشهرين،وستة أيام،للمزيد ينظر السخاوي،محمد،**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،228/2-229.

([7])العجلوني،إسماعيل،**تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**،112؛شوفاني،الياس،**الموجز في تاريخ فلسطين السياسي**، 234.

([8]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 100/2؛ غوانمة، يوسف، **التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي**، 270؛ حجازي، فايزة، **أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**، 105، رسالة ماجستير إربد اليرموك، 1992م.

([9]) نهر الشريعة:هو نهر الأردن، ويقال له نهر الغور،ينبع من جبل الثلج وبانياس، ويصب في بحيرة طبريا، ويخرج منها ويسير جنوباً إلى أريحا،ويصب في البحيرة المنتنة؛ أبو الفداء، إسماعيل، **تقويم البلدان**، 28-29.

([10])ابن تغري بردي،يوسف،**النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**،127/7؛شلبي،محمود،**حياة الملك الظاهر بيبرس**، 224.

سنة (683هـ - 1284م)، بادرت الدولة بحملة تنظيف واسعة للأنهار في مدينة دمشق من مخلفات السيل الذي تشكل فيها، وأدى إلى توقف جريان الأنهار فيها، وعوضت كل من تضرر منه بأربعمائة درهم([1])، وأمر السلطان سيف الدين بن قلاوون ولاته بترميم باب الجابية ([2])، وجسر باب الفراديس([3])، والحوانيت المتواجدة عليه في مدينة دمشق جراء السيل الجارف سنة (685هـ - 1286م)([4]).

وفي سنة (728هـ - 1328م) انتدب الأمير سيف الدين تنكز([5]) بعض رجاله لترميم الأسواق والطواحين والقياسر في مدينة عجلون التي تهدمت بفعل السيل المدمر آنذاك([6])، وفي سنة (745هـ-1345م)، بادرت الدولة بمدينة طرابلس إلى إعادة إعمار الجسر المقام على نهر الدامور([7]) الذي تهدم جراء السيل في تلك السنة([8]).

3 ـ الفيضانات:

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 53/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 185/2؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 7/8.

([2]) باب الجابية:من أبواب مدينة دمشق في الجهة الغربية، بني في العهد الروماني، وينسب إلى قرية الجابية؛ لأن الخارج من دمشق إليها يخرج من هذا الباب، وعندما تم فتح مدينة دمشق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة(14هـ - 635م) دخل القائد أبو عبيدة عامر بن الجراح من هذا الباب صلحاً، وهدم في بداية الحكم العباسي لبلاد الشام سنة(132هـ - 750م) وبقي على حاله حتى تم أعاد بناءه السلطان نور الدين زنكي سنة(560هـ- 1164م)،للمزيد ينظر،ابن عساكر،علي،**تاريخ مدينة دمشق**، 187/2.

([3]) جسر الفراديس: جسر من جسور مدينة دمشق، أقيم بجانب باب الفراديس، ولذلك سمي بهذا الاسم، ابن عساكر **تاريخ مدينة دمشق**، 182/2.

([4]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 361/13.

([5]) سيف الدين تنكز: أبو سعيد تنكز نائب السلطنة بالشام من سنة (712هـ - 1312م/ 740هـ - 1339م)، وتوفي في سنة (740هـ - 1339م)، للمزيد ينظر، الصفدي، خليل، **أمراء دمشق في الإسلام**،171؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 520/1.

([6])ابن الجزري،محمد،**تاريخ ابن الجزري**، 274/2؛ النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،202/33؛ ابن الوردي، عمر **تاريخ ابن الوردي**، 406/2؛ ابن كثير،إسماعيل، **البداية والنهاية**، 187/14؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي**،حوليات الآداب الاجتماعية،مجلة الرسالة، الحولية28،الرسالة،272، 2008م، 26.

([7]) نهر الدامور: هو أحد أنهار لبنان الصغيرة يقع قضاء الشون، ويبلغ عرضه ستة أمتار، وطوله أربعين متراً البعلبكي،ميخائيل،**تاريخ بعلبك**،82.

([8])صالح،يحيى،**تاريخ بيروت**،104سالم عبد العزيز،**تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي**،161؛ الزين،أحمد،**تاريخ صيدا**،64.

اتخذت الدولة المملوكية خطوات وقائية لتلاشي حدوث الفيضانات التي كان ينجم عنهـا غـرق العديد من السكان، وإتلاف ممتلكاتهم، ومثل ذلك ما أقدم عليه السلطان الظاهر بيبرس في سنة (671هـ - 1272م)، إذ أمر الصنّاع والبنائين بإنشاء العديد من الجسور في منطقة الساحل الشـامي، وكلـف تشييد كل منها مائة ألف درهم، وعلى أثر ذلك شعر المسافرون بالأمن والطمأنينة، وكان قبل إنشـائها يغرق الكثير منهم مع أمتعتهم ([1]).

4 ــ الثلوج:

أثر تراكم الثلوج في الطرقات في تعطيل حركة المسافرين والتجـارة، لـذا اهتمـت الدولـة المملوكية في سنة (716هـ- 1316م) اهتماماً فائقا لإزالته من الطرقات، وخصصت الأموال اللازمـة للعاملين من أجل ذلك ([2])، وفي سنة (745هـ - 1345م) أجبرت الدولة أهالي مدينة دمشق بالعمل على على إزالة الثلوج من الطرقات لفتحها أمام السكان، وعن أسطح المنازل خوفاً من تساقطها ([3]).

5 ــ القحط والجفاف وقلة المياه:

تركت موجات القحط والجفاف التي اجتاحت البلاد الشامية آثاراً سلبية في أوضـاع السـكان لفترة زمنية طويلة، وقدمت السلطنة المملوكية مساعدات لهم؛ لإخراجهم مـن الضـائقة الاقتصـادية وتوفير ما يلزمهم من الاحتياجات الضرورية، ويبدو أن السلطنة عمدت إلى تـوفير الأقـوات وميـاه الشرب، وإبطال المكوس([4])، ففي سنة (660هـ- 1261م) أصدر السلطان الظاهر بيبـرس مرسـوماً

([1]) ابن شداد، محمد، **سيرة الملك الظاهر**، 63

([2])النويري،أحمد **نهاية الأرب في فنون الأدب**،178/32؛ المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 15/2.

([3])ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،43/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 421/2؛ السـخاوي محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 61/1.

([4]) المكوس: مفردها مكس، وهي كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفي الدولة خارجـاً عن الخراج الشرعي، القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، 469/3؛ المقريـزي، أحمـد، **المـواعظ والاعتبـار** 107/1؛ البقلي، محمد، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 225.

بتوزيع الفقراء ([1]) والحرافيش ([2]) على الأمراء وإلزامهم بذلك، وأخذ لنفسه خمسمائة منهم، بسبب ارتفاع الأسعار الناجم عن موجة القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام في تلك السنة([3])، وفي سنة (665هـ-1266م) عمدت الدولة إلى جلب الصناع من غزة، للعمل على فتح القنوات وتنظيفها لإيصال الماء إلى مدينة القدس، بسبب شكوى السكان من قلة المياه ([4]).

وأدى القحط والجفاف في بلاد الشام سنة (695هـ - 1296م) إلى تناقص الأقوات في معظم الأمصار نجم عنها مجاعة شديدة، وعلى أثر ذلك بادرت الدولة في البحث عن الأقوات المخزنة من العام المنصرم للتخفيف من حدة المجاعة، وأوكلت للأمير علم الدين الدواداري ([5]) جمع الأقوات من صفد، والكرك، والشوبك، والساحل، فوجد فيها ما يقارب من عشرين ألف غرارة من الحنطة، وقام بحملها وتوزيعها على المناطق المتضررة، ووصل جزء منها إلى والي مصر قُدّر بمائة وعشرين ألف غرارة([6])، ويصف المقريزي ذلك بقوله: " كان ببلاد الكرك، والشوبك، وبلاد الساحل، لما يرصد

([1]) السيوطي، عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، 96/2؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، 271/2؛ الوقاد، محاسن، **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**، 165.

([2]) الحرافيش: لفظ أطلق في العصر المملوكي على العيارين، والشطار، والزعر، وشمل هذا المصطلح الطبقة الدنيا من المجتمع المملوكي، وكانوا ينتشرون في الأسواق والحمامات، ومعظمهم كانوا متسولين وفيهم عاهات، يلبسون ألبسة بالية، وهم من مفتعلي الفتن في الدولة، للمزيد ينظر، السبكي، محمد، **معيد النعم ومبيد النقم**، 148؛ الخطيب، مصطفى، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، 141؛ الوقاد، محاسن، **الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**، 162.

([3]) المنصوري، بيبرس، **مختار الأخبار**، 34؛ النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 69/30؛ الذهبي محمد،**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 31/2؛ السيد،علي،**القدس في العصر المملوكي**،31.

([4]) المظفري، علي، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 50؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 285/1 مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 37؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 145/8.

([5]) علم الدين الدواداري: هو علم الدين سنجر بن عبد الله الدواداري الناصري، كان من أعيان أمراء الملك المنصور قلاوون وولده الأشرف خليل، مات على أثر جرح أصابه خارج مدينة حلب عام (697هـ - 1298م) ، للمزيد ينظر ابن الجزري، محمد **تاريخ ابن الجزري**، 42/1-43؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 223/1؛ ابن تغري بردي، يوسف، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، 345/1.

([6]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 285/1.

للمهمات والبواكير([1]) ما ينيف على عشرين ألف غرارة حملت إلى الأمصار"([2])، وعندما قلت المياه سنة (700هـ - 1300م) في مدينة الخليل، وعز وجودها، وارتفعت أسعارها، إذ بلغ سعر الشربة من الماء بنصف درهم والدرهم أحياناً، لذا عمل الأمير بكتمر الجوكندار المنصوري([3]) على حل ضائقة المدينة من المياه، عن طريق تسيير المياه من العيون المجاورة إليها فحفر القنوات، وأنفق من ماله الخاص ما يقرب من الأربعين ألف دينار لهذه الغاية ، ولما فرغ من إيصال الماء إلى المدينة قُدمت له أوراق مصروفاتها فلم يقرأها ومزقها وقال: "شيء خَرّجنا عنه لله ــ تعالى ــ لا نحاسب عليه" ([4]).

وفي سنة (713هـ - 1313م) أوعز إلى نائب حلب سيف الدين سودون ([5]) في حل ضائقة أهل سكان حلب من قلة المياه، والعمل على توفيرها إليهم، فقام بالعمل على جلب المياه من نهر الساجور إلى نهر حلب عن طريق حفر قناة بينهما بطول سبعين ألف ذراع، وعرض ستين، وعمق عشرين، وأنفق عليها مائة ألف درهم، نصفها من ماله الخاص، والنصف الآخر من مال السلطان([6]). ونجد أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أولى مشكلة قلة المياه التي واجهها سكان مدينة القدس عناية فائقة، ومثل ذلك ما قام به سنة (713هـ - 1313م) عندما بلغه أن سكانها يعانون من نقص حاد في المياه؛ لانحباس الأمطار، فبعث من يثق بهم بالمال لجر المياه من عيون الماء

([1]) البواكير: جمع بيكار، وهو لفظ فارسي معرب، وقد جرى في مصطلح الدولة المملوكية بمصر للدلالة على الحملات الحربية والحرب العامة، المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 34.

([2]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**،327/2.

([3]) بكتمر الجوكندار: هو الأمير سيف الدين بكتمر المنصوري، تولى نيابة السلطنة في الديار المصرية من قبل الناصر محمد بن قلاوون سنة (709هـ- 1309م)، وتوفي سنة (716هـ - 1316م)، للمزيد ينظر، المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، 459/2-461.

([4]) المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، 461/2.

([5]) سيف الدين بن سودون: هو سودى بن عبد الله، الأمير سيف الدين نائب حلب من مماليك الناصر محمد بن قلاوون رقاه السلطان الناصر من أمير مائة إلى مقدم ألف بالديار المصرية، وولاه بعد ذلك نيابة حلب عوضاً عن الأمير قراسنقر المنصوري في سنة (712هـ- 1312م)، وتوفي سنة (714هـ - 1314م) قبل أن ينعم برؤية جهوده في إيصال الماء من الساجور لحلب، الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، 82/16؛

([6]) الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، 82/16؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 297؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 175/3؛ لابدوس،ايرا، **مدن إسلامية**، 124.

الموجودة بمدينة الخليل إلى مدينة القدس، وكتب إلى ولاة الأعمال بتسيير الرجال للعمل في ذلك وتولى مباشرة الإشراف على العمل الأمير علم الدين سنجر الجاولي([1])، وتمكنوا خلال سنة من العمل على إيصال المياه للمدينة، وإلى جانب ذلك أوعز السلطان في السنة نفسها إلى إعمار قناة السبيل الواقعة عند بركة السلطان بظاهر القدس من الجهة الغربية ([2])، ولحل مشكلة نقص المياه في مدينة القدس بعث السلطان الناصر محمد بن قلاوون الحرفين والعمال في سنة(728هـ - 1327م) لشق قناة من عين العروب شمال مدينة الخليل، واستطاعوا من خلال قطع الصخور إصالها إلى مدينة القدس([3]).

وأكثر ما لجأ إليه سلاطين الدولة المملوكية للحد من الأزمات الاقتصادية التي كان يعاني منها السكان في سنوات القحط والجفاف إبطال المكوس عن الغلال، ففي سنة (723هـ - 1323م) أبطل السلطان الناصر محمد بن قلاوون المكس المفروض على الغلال في الشام بسبب موجة القحط والجفاف التي اجتاحت البلاد الشامية ([4]) ، وفي سنة (731هـ - 1330م) بادر نائب حلب أرغون الناصري ([5]) في إتمام ما عزم عليه سلفه في الولاية سيف الدين سودون بإيصال القناة ما بين نهر الساجور ونهر حلب لحل مشكلة نقص المياه في حلب([1]).

([1]) علم الدين سنجر الجاولي: هو من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، من أصل كردي، كان على المذهب الشافعي، ورتب مسند الشافعي وشرحه في مجلدات، وهو أول نائب للشوبك بغيره آمره، نقل منها في أيام سلار والجاشنكير، وعينه السلطان الناصر محمد نائباً على أثرها، وسجنه ثماني سنين ثم أفرج عنه وولاه نيابة غزة من جديد وبقي فيها حتى وفاته سنة (745هـ - 1344م)،الصفدي،خليل، **الوافي بالوفيات**،293/15؛ابن تغري بردي، يوسف، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 6/74-75.

([2]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 159/32؛ الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 213؛ المقريزي، أحمد، **المقفى الكبير**، 611/2؛ العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** 438/2؛ الشوكاني، محمد، **البدر الطالع**، 173/1؛ السيد، علي، **القدس في العصر المملوكي**، 30.

([3])اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**،227/4 الصفدي،خليل **الوافي بالوفيات**،423/1؛العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل القدس والخليل**،80/2. عثامنة، خليل، **فلسطين في العهد الأيوبي والمملوكي**،423.

([4]) الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 176/3.

([5]) أرغون الناصري: هو الأمير سيف الدين الدوادار الناصري، اشتراه الملك المنصور وهو صغير لولده الناصر محمد بيبرس معه، وفي سنة (712هـ - 1312م) ولاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون نيابة مصر، وفي سنة (727هـ - 1327م) ولي نيابة حلب وبقي فيها حتى سنة (729هـ - 1329م) فطلب منه الحضور لمصر، ثم أعيد من جديد لنيابتها، وتوفي سنة (731هـ -

وفي أوقات القحط والجفاف كان بعض التجار يستغلون ظروف النـــاس الصـــعبة، فيقومـــون باحتكار الغلال لبيعها بأسعار مرتفعة، ففي سنة (736هـ - 1335م)، استغل التجار الشاميون القحــط والجفاف فاحتكروا السلع وامتنعوا عن بيعها للناس، ومما زاد من جشعهم تجاوز المحتــــسبين عــن تصرفاتهم، رغم أن الأصل في وظيفة المحتسب إلزام التجار بيع السلع وفق أسعار السوق ([2])، وبذلك أصبح الناس بين محنتين: القحط والجفاف من جهة، وجشع التجار من جهة أخرى، فلما علم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بذلك أصدر مرسوماً ألزم فيه نواب البلاد الشامية فتح الشــون ([3])، وبيــع الغلال التي فيها على ألا يزيد سعر الغرارة من القمح على ثلاثين درهماً ([4])، وعندما اجتاحت موجة القحط والجفاف بلاد الشام سنة (784هـ - 1382م) رسم السلطان برقوق([5]) بإبطـــال المكــوس عــن الغلال في كل من حلب، وحماة، والشوبك، وحمص، وعزاز([6])؛ للتخفيف من الضائقة الاقتصادية التي تعرض لها السكان، ولما انحبست الأمطار عن القدس في ســنة (785هـ - 1383م) بعــث الســلطان برقوق بالعمال لإيصال الماء من العروب إلى القدس ([7]).

1331م)، للمزيد ينظر، الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 274/2؛ الصفدي، خليل،**أمراء دمشق في الإسلام**،16 ؛ ابن تغري بــردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، 147/1.

([1])الذهبي،محمد، **دول الإسلام**،274/2؛ابن تغري بردي،يوسف،**الدليل الشافي على المنهل الصافي**، 147/1.

([2]) الماروردي، علي، **الأحكام السلطانية**، 367؛ ابن تيمية، تقي الدين، **الحسبة في الإسلام**، 18-22.

([3]) الشون: هي المخازن التي تُخزن بها الغلال والأحطاب والأتبان لتوزيعها عند الحاجــة، وهــي بخــلاف الأمــراء السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 438/2.

([4]) اليوسفي، موسى، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، 295.

([5])برقوق:هو ابن أنس الظاهر أبو سعيد الجركسي العثماني،نسبه لجالبه الخواجا عثمان اشتراه منه يلبغــا فــي ســنة (774هـ - 1372م) وسماه حينئذ الطنبغا وبعدها اسماه برقوقاً لنتوء في عينه،ونصب سلطاناً سنة (784هـ- 1383م)،وتــوفي ســنة(801هـ- 1398م) للمزيد ينظر،مؤلف مجهول،**تاريخ الملك الاشرف قيتباي**،83؛الفاسي،محمد، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**،357/3-358؛ابن حجر العسقلاني،احمد، **ذيل الدرر الكامنة**،69؛السخاوي،محمد،**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 10/3-13.

([6])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،39/3؛ابن حجر العسقلاني،أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 15/2.

([7]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 160/5؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابــن قاضــي شــهبة** 117/3؛ سليمان، فتوح، **اليهود والقدس دراسة تاريخية للادعاءات الصهيونية وممارستها في المدينة**، 57.

وفي سنة (790هـ - 1388م) اشتد الغلاء في بلاد الشام بسبب القحط والجفاف فبيع رطلا الخبز بثلاثة دراهم، فلما بلغ السلطان ذلك أصدر مرسوماً لنواب بلاد الشام أن يباع الرطلان بدرهم فقط، وأمر بنقل الغلال من مصر وتوزيعها على بلاد الشام([1])، وفي سنة (901هـ - 1495م) أصدر السلطان الأشرف قايتباي الظاهري([2]) مرسوماً يمنع سقي المزروعات المغروسة على جانب نهر الساجور؛ للحفاظ على كمية المياه الموجودة في النهر حتى تكفي احتياجات أهل مدينة حلب ([3]).

6 ـ الآفات الزراعية:

لم تغفل الدولة المملوكية عن القيام بواجبها في مكافحة الآفات الزراعية، أو التقليل من أضرارها، ولا سيما هجمات أسراب الجراد، فقد أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (724هـ - 1323م) مرسوماً لمواجهة أسراب الجراد التي هاجمت بلاد الشام وقضت على جميع المزروعات([4]) إذ أبطل فيه المكوس عن الغلال؛ لتخفيف الضائقة الاقتصادية على السكان، وألزم الأمراء في مصر بجمع الغلال وإرسالها إلى البلاد الشامية، فجمعوا نحو عشرين ألف إردب وأرسلوها عبر البحر إلى بيروت وطرابلس ووزعت على الأهالي، وبعد وصولها انحط سعر القمح فبيعت الغرارة بثمانين درهماً، بعد أن كانت تباع بمائتي درهم قبل وصول المساعدات([5])، وعندما تكرر هجوم الجراد وتفاقم ضرره على مدينة حلب سنة (748هـ - 1347م)، وكّلت الدولة للعساكر بمهمة

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 238/3- 242.

([2]) الأشرف قايتباي الظاهري، الجركسي المحمودي الأشرفي، ويلقب بالأشرف أبي نصر السلطان الحادي والأربعون من السلاطين المماليك، ولد سنة (824هـ - 1421م)، وتوفي سنة (910هـ - 1504م)، للمزيد ينظر، السخاوي، محمد **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 201/6 – 255؛ البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 182.

([3]) الغزي، كامل، **الذهب في تاريخ حلب**، 237/3؛ الديار بكري، حسين، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**،433/2

([4]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 265/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 72/3؛ مقابلة، إيمان، **القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي**، 197؛ رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1998م؛ حمد، فيصل، **العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول والثاني**، مجلة المنارة، مج14، ع2، 2008م.

([5])ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 142/2؛اليافعي،أبو عبد الله،**مرآة الزمان وعبرة اليقظان في ما يعتبر يعتبر من حوادث الزمان**، 203/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 74/3؛البرزالي،القاسم،**تاريخ البرزالي**، 273/4.

قتله ([1])، وبتكرر هجومه عليها سنة (766هـ - 1364م) احضرت الدولة ماء جاذب طير السمرمر([2]) وعُلق على مئذنة أحد المساجد فقدم طـير السمرمـر ([3]) بأعداد كبيرة فطار الجراد إلـى أن خلـت البلاد منه ([4])، ويتضح لنا مما سبق أن دولة المماليك استخدمت عدة وسائل للتخفيف على السكان من خطر الجراد أولا، ولمكافحته ثانيا.

7 ـ الأوبئة والطواعين:

أولت الدولة المملوكية في بلاد الشام عناية بالمرضى الذين كانوا يصابون بالأوبئة والطـواعين عن طريق تقديم العلاج اللازم، واتخذت أيضاً الخطوات الوقائية لمنع انتشـار الأوبئـة والطـواعين كحملات التنظيف، وتشييد البيمارستانات، ففي سنة (727هـ - 1327م) قامت نيابة السلطنة في مدينـة دمشق بحملة تنظيف للأوساخ والقاذورات على أثر تفشي الوباء فيها، إذ أوعـزت للعمـال بتنظيـف مجاري المياه، وصرفت مقابل ذلك حوالي ثلاثمائة ألف درهم، بعد أن تبين أن السبب في تفشيه تراكم الأوساخ ([5])، وفي سنة (739هـ - 1338م) أمر نائب الشام تنكز بإزالة الأوساخ في مدينـة دمشـق

([1]) ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، 493/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،46/4؛ الغـزي، كامـل **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 84/3؛ خصاونة، حسين، **طبقات المجتمع في بلاد الشام فـي العصـر المملـوكي**، 144 رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([2]) ماء جاذب طير السمرمر: يتواجد هذا الماء في بلاد العجم، في واد طويل، وعليه يقوم خدام ، ومن خواصه جـذب طير السمرمر من الأماكن القاصية إلى البلاد، الطباخي، محمد، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**،48/2.

([3]) طائر السمرمر: طائر يعيش خارج البلاد الشامية، عندما يشم ماء السمرمر يقدم إلى المنطقة، ويكون بينـه وبـين الجراد عداء ومقتلة، وعندما تنشب المقتلة بينهما يحمل كل منهما على الآخر، فيفر الجراد من بـين يديـه، الطبـاخي محمد، **أعلام البلاد بتاريخ حلب الشهباء**، 48/2.

([4]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 400/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفـة دول الملـوك**، 280/4؛ ابـن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 19، 20.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 102/3.

وتنظيف مقاسم المياه وفتح منافذها، وعلى أثر هذه الخطوة زال ما كان يعانية السكان من الأوبئة بسببها من قبل ([1]).

وبادر بعض سلاطين الدولة المملوكية بتشييد العديد من المستشفيات لمعالجة المرضى، ففي سنة (680ه - 1281م) أنشأ السلطان المنصور قلاوون البيمارستان المنصوري في مدينة الخليل، وأوقف عليه الأوقاف من الضياع والبساتين، واشترط ألا يمنع المرضى من دخول البيمارستان، ورتب للمرضى الأشربة، والسكر، والفراريج، والخيار البلدي ([2])، ولم يكن نواب البلاد الشامية أقل اهتماماً في تشييد البيمارستانات لمعالجة المرضى؛ فالنائب سيف الدين تنكز بادر إلى تشييد بيمارستان بمدينة صفد في سنة(721ه - 1321م) ([3])، وكذلك شيد الأمير علم الدين الجاولي بيمارستاناً في مدينة غزة وآخر بالكرك في الفترة ما بين سنة (721ه - 745ه / 1321م- 1344م) ([4])، وكان السلطان الظاهر ططر([5]) في فترات تفشي الأوبئة والطواعين، ينفق الكثير من الأموال على المرضى، ويوفر لهم الأدوية والعلاج، واهتم كذلك في توفير الأكفان للأموات الذين لامال لهم([6])

مما سبق بيانه نخلص إلى ما يأتي:

([1]) الصفدي،خليل، **أعيان العصر وأعوان النصر**، 120/2؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 546/1؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 525/1؛ الشوكاني، محمد، **البدر الطالع**، 205/1.

([2]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 71/31.

([3])الصفدي، خليل، **أعيان العصر وأعوان النصر**،122/2؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 353.

([4]) الصفدي، خليل، **الوافي بالوفيات**، 293/15؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،422/3.

([5]) ططر: هو السلطان الظاهر ابو الفتح ططر، تولى السلطنة سنة(824ه - 1421م)، وتوفي في السنة نفسها ، بعد أن حكم مدة خمسةٍ وتسعين يوماً، السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،8/4؛العصامي،عبد الملك، **سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي**،84/4.

([6]) العيني، محمود،**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر**،36.

1. استغلت بعض القبائل والمتمردين حدوث الكوارث الطبيعية، وقــاموا بــالثورات وإثــارة الفــتن والقلائل، مما أدى إلى انعدام الأمن وحدوث الفوضى والأضرار في مختلف الجوانب من ناحية، وعدم الاستقرار من ناحية أخرى، مما زاد في تردي أوضاع السكان في البلاد الشامية.

2. ترك حدوث الكوارث الطبيعية في بعض الأحيان آثاراً سلبية في الجيش المملوكي سواء في معداته أو أفراده، مما أثر في حركة الجهاد، واستُغِل ذلك من قبل أعداء الدولة المملوكيــة لتنفيــذ خططهــم العدائية .

3. إن محاربة الاحتكار من قبل السلطنة المملوكية في فترات حدوث الكوارث الطبيعيــة أدى إلــى انخفاض الأسعار، وأعطى الطمأنينة للناس، وخفف من أوضـــاعهم الصعبة، وهذا بدوره ساعد على استقرار الأوضاع السياسية.

4. رغم أنه كان للكوارث الطبيعية أثارٌ على الجيش المملوكي وتحركاته الجهادية؛ إلا أنه كان لهــذه الكوارث أثار استفادت منها السلطنة من ناحية عسكرية.

5 . وضعت الدولة المملوكية كل الخطط والأساليب المتاحة والممكنة للسيطرة على الكــوارث بكــل أنواعها، سواء الطبيعية، أو المستغلة من قبل الأعداء أو المتمردين.

الفصل الرابع

آثار الكوارث الطبيعية في الناحية الاجتماعية

الفصل الرابع

آثار الكوارث الطبيعية في الناحية الاجتماعية:

اتسمت الحياة الاجتماعية لسكان بلاد الشام بكثرة الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى؛ بالإضافة إلى إقامة حفلات الأعراس، وكان الناس يعبرون فيها عن مظاهر سرورهم وبهجتهم، ومن خلالها كان يسود السكان نوع من التعاون، والائتلاف، والتكافل الاجتماعي([1])، ولكن عند حدوث الكوارث الطبيعية كانت تُستبدل تلك المظاهر بالأحزان، وكثرة البلاء، والتفكك الاجتماعي، وتركزت أهم الآثار التي تركتها في السكان في النواحي التالية:

أولاً: انتشار الجريمة الاجتماعية:

أدى حدوث الكوارث الطبيعية بشكل عام في بلاد الشام إلى ترك آثار في انعدام القيم الاجتماعية والأخلاقية لدى بعض فئات المجتمع الشامي، مما ترتب عليه انعكاسات سلبية على الأوضاع الاجتماعية، كانعدام الأمن والاستقرار، وحدوث الفوضى وغيرها، وتركزت أهم هذه المفاسد في النواحي التالية:

1 ـ حوادث القتل:

أثرت موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام في وقوع بعض حوادث القتل، وهذا بدوره أدى إلى انتشار الرعب والخوف بين صفوف السكان، وانعدام الأمن، ففي سنة (695هـ-1296م) عثر في مدينة دمشق على جثة حارس، أو جثتي حارسين من حراس الدرب مقتولين ([2]) وهذا بدوره أثر في انتشار الفزع والخوف بين أهالي لسكان المدينة، مما دفعهم لتشكيل حركة شعبية

([1]) قاسم، عبده، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 94.

([2]) حارس الدرب: ظهر منصب حارس الدرب في العصر المملوكي، وأوكل إليه حراسة الطرق، وأن ينصح لأهل الدرب، ويسهر عليهم إذا ناموا، وينبه النوام إذا تعرضوا لحريق أو سيل أو سرقة، للمزيد ينظر، ابن الجزري، محمد **تاريخ ابن الجزري**، 285/1؛ ابن طولون، محمد، **نقد الطالب لزغل المناصب**، 192.

بالاتفاق مع نائب السلطنة " قَبْجق المنصوري" ([1]) لحفظ الأمن والبحث عن القتلة، وخلال عدة أيام من المراقبة للأحياء والشوارع تم إلقاء القبض على شخص فقير الحال، تبين بعد التحقيق معه أنه مسؤول عن قتل الحراس، فحكم عليه بالإعدام ([2])،ويبدو أن شدة الجوع هي التي دفعت ذلك الفقير إلـــى قتـــل الحراس حتى يتمكن من دخول البيوت للحصول على القوت.

وعلى أثر اشتداد موجة القحط والجفاف في بلاد الشام سنة(891هـ- 1486م) ([3]) عانى السكان من الفقر والجوع لأكثر من سنتين متتاليتين، ولما وصل مرسوم السلطان "الأشرف قيتباي" إلى مدينـــة دمشق يطالب فيه السكان بدفع مكس القمح، قتلت العامة حامل المرســـوم(الرســـول) بخرابـــة جانـــب المدرسة القيمرية ([4])، وأحرقوا جثته ([5])، ويبدو أن الضائقة الاقتصادية وما نتج عنها مـــن ارتفـــاع الأسعار، والفقر، والجوع، من شدة القحط والجفاف، دفعت العامة لقتل الرسول

2 ـــ انتشار السرقة:

أدى حدوث الكوارث الطبيعية بشكل واضح إلى انتشار الفقر والجوع بين الناس؛ لعدم وجـــود الأقوات، وارتفاع أسعارها، وهذا بدوره ترك آثاراً سلبية تمثلت في انتشار ظاهرة السرقة في المـــدن والقرى الشامية من قبل الفقراء، والحرافيش، واللصوص، وكانت معظم حوادثها تقـــع فـــي الأفـــران والأسواق من أجل الحصول على رغيف الخبز في وضح النهار، ففي سنة (702هـ- 1303م)عنـــدما

([1]) قَبْجق المنصوري: ولي نيابة السلطنة في دمشق سنة (891هـ - 1486م)، وتـــوفي فـــي الســـنة نفســـها، للمزيـــد ينظرالصفدي، خليل، **أمراء دمشق في الإسلام**،86؛ دهمان،محمد، **ولاة دمشق في عهد المماليك**،84.

([2]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 285/1.

([3]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 108.

([4]) المدرسة القيمرية: من مدارس مدينة دمشق المشهورة، أنشأها الأمير ناصر الدين، بن الحسين، بـــن علـــي، ومـــن مدرسيها محمد بن علي الشهروزي الشافعي، للمزيد ينظر، النعيمي،محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، 336/1.

([5]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 130/1.

هزت الزلزلة معظم البلاد الشامية، استغل اللصوص هروب الناس من بيوتهم، وقاموا بسرقتها([1]) ويبدو أن هذا أثر في انعدام الأمن، وتفشي الفوضى في البلاد الشامية.

ولاحظنا أن موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام أدت إلى تناقص الأقوات وارتفاع أسعار المنتوجات المختلفة، مما أثر في انتشار الفقر والمجاعات، وهذا بدوره انعكس على وقوع حالات سرقة للأفران من أجل الحصول على رغيف الخبز، وهذا حدث في المدن الشامية سنة (748هـ-1347م) عندما ارتفعت الأسعار وقلت الأقوات بسبب الجفاف، قام على أثرها الحرافيش بسرقة الخبز من حوانيت الخبازين([2])، ويبدو أن هذا أثر في انعدام الأمن، وحدوث الفوضى، وانتشار وانتشار الذعر والخوف بين سكان المدينة، مما دفع نائب الشام "أرغون شاة" بمعاقبة السارقين، فقطع أيدي وأرجل ثمانية عشر منهم، وسمر على الجمال سبعة عشر آخرين في سوق الخيل، ليكونوا عبرة، وفر عدد كبير منهم إلى بلاد الشمال خوفاً من العقوبة([3]) ،وقال ابن أيبك الصفدي في ذلك:

(البحر السريع)

كان الغلا يغلو فأ ما إذا … صبح نادراً قُلتُ ذا يغلي
وأصبح الحُرْفوش ذا كَسْرةٍ … من طلب الكسرة في شغل
من يَطْلُبُ الخبزَ وَمَنْ يشتهي … وهو بقطع إلي اليد والرجْل ([4])

وأثرت موجة القحط والجفاف في سنة(798هـ- 1395م) في ارتفاع أسعار المواد الغذائية في مدينة دمشق؛ بسبب قلة العرض في الأسواق، مما ترك آثاراً بالغة في وقوع حوادث سرقة للأفران

([1]) العيني،محمود،**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 262/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 363/2.

([2])ابن صصرى،محمد،**الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**،86؛ ابن قاضي شهبة،أبو بكر **تاريخ ابن قاضي شهبة**،679/1.

([3]) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 16/2؛ الصفدي، خليل، **أعيان العصر وأعوان النصر**، 460/1؛ ابن حبيب، الحسن **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، مخطوط ضمن مجموعة مارشان يولدليان، إكسفورد، ويوجد نسخة مصورة منه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم، 539، ورقة رقم 222؛ ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**،86؛ ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 679/1.

([4]) **تحفة ذوي الألباب**، 274/2.

والحوانيت بالمدينة، من قبل الفقراء فيها من شدة الجوع ([1]).

وأدى تفشي الطواعين إلى ترك آثار في وقوع حوادث السرقة خاصة عند انشغال السكان بمرضاهم، وتجهيز موتاهم، ففي مدينة حلب استغل اللصوص من العرب والتركمان حالة الفوضى التي سادت المدينة سنة(658هـ- 1259م)؛ لانشغال السكان بتجهيز موتاهم فقاموا بسرقة الدور([2]) ويقول العيني في ذلك:"وكثر طمع العرب والتركمان، وكثر الحرامية وكانوا يكسرون أبواب الدور"([3]) وعندما تكرر تفشيه في حلب سنة(863هـ - 1459م)، أقدم اللصوص من العرب المجاورين إليها، على سرقة السلع، مما عطل حركة البيع والشراء لإغلاق أصحاب الحوانيت حوانيتهم خوفاً من النهب([4]).

ونجد أن طاعون سنة(749هـ- 1348م) كان الأشد تأثيرا في انتشار حوادث السرقة؛ لكثرة عدد الوفيات بين السكان، إذ أصبحت بعض البيوت خالية من الأحياء، ولا يوجد فيها سوى جثث الموتى([5])، وهذا بدوره أعطى بعض اللصوص الفرصة لنهبها، ففي مدينة غزة مثلاً،دخل ستة أشخاص لسرقة أحد البيوت، وعندما حملوا ما سرقوه وهموا بالخروج من البيت ماتوا جميعهم قبل الخروج([6])، وإلى جانب ذلك لاحظنا أن هذا الطاعون زاد من تفاقم انتشار حوادث السرقة ووصل الأمر إلى تبديل ملكية بعض الضياع والبيوت التي مات أهلها بغير حق، ولكن لم ينعم غالبيتهم بما

([1]) ابن صصرى،محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**،164؛ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 3/ 544 أبو زيتون،منال،**المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي**،10،رسالة ماجستير،جامعة اليرموك،إربد، 1998م.

([2])أبو شامة،عبد الرحمن **الذيل على الروضتين**،306؛العيني،محمود،**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**،283/1.

([3]) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 283/1.

([4]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 105/16؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 57/6؛ الحلبي، محمود، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 48/3.

([5]) القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، 286/2؛ القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 156/2؛ ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**،241؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 80/4؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 669/1؛ ابن تغري بردي، يوسف،**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 16/3؛ السيوطي، عبد الرحمن (ت 911هـ - 1505م)، **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، مخطوط موجود في مكتبة الأزهر بمصر تحت رقم 1913، ورقم رقم 15؛ حجي، حياة، **أحوال العامة في حكم المماليك**، 169؛ بيك، فردريك، **تاريخ شرق الأردن وقبائلها**، 159.

([6]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 82/4؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 158/1؛ عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 215.

أخذوه إذ سرعان ما فتك بهم الطاعون ولحقوا بصاحب الملكية الأصلي، ومن قُدر له البقاء على قيد الحياة منهم استغنى لكثرة ما استحوذ عليه من تركات الأموات([1])، ويبدو أن ذلك ينطبق عليه المثل السوقي القائل: " مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد"، وقال ابن تغري بردي في ذلك: "وأخذ كثير من الناس دوراً وأموالاً بغير استحقاق لموت مستحقيها، فلم يُتَمَل أكثرهم بما أخذ حتى مات بعدهم بسرعة، ومن عاش منهم استغنى"([2]).

3 ـ انتشار ظاهرة الغش:

أثر حدوث الكوارث الطبيعية في انتشار الغش ولا سيما في السلع الضرورية، كالقمح والخبز، إذ أضاف الخبازون لدقيق القمح طحين الشعير والذرة مستغلين حاجة الناس إليه، وقاموا بتصغير رغيف الخبز مع بقاء سعره كما هو، ففي سنة (708هـ - 1308م) استغل خبازو دمشق حاجة الناس للقمح والخبز؛ بسبب القحط، وقاموا بإضافة مادة الشعير والذرة إليه حتى أصبح لونه أسود ([3])، وعندما تكرر القحط والجفاف سنة (891هـ- 1486م) تناقص منتوج القمح حتى أوشك على النفاد، مما أثر في ارتفاع أسعاره، وعلى أثر ذلك أقدم الخبازون في دمشق على تصغير حجم رغيف الخبز مع ترك السعر على ما هو عليه([4]).

وعندما تفشى الطاعون في بلاد الشام سنة(749هـ- 1348م) انتاب الناس خوفاً من حدوث المجاعات؛ فبادروا إلى بيع أثمن ما لديهم بأبخس الأسعار لشراء الدقيق والخبز، وعندما رأى

([1]) ابن دقماق، إبراهيم، **النفحة المسكية في الدولة التركية**، 164؛ الأنصاري، زكريا (ت925هـ - 1519م)، **تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين**، مخطوط موجود في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم 203، ورقم رقم 15؛ ابن النجيم المصري (ت970هـ - 1562م)، **رسالة في ضبط أهل النقل في خبر الفضل في حق الطاعون والوباء**،مخطوط في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، تحت رقم 5935؛ ورقة رقم 4؛ قاسم، عبده **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك**، 149.

([2]) **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 164/10.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 670/2؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 246/12.

([4]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 108؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**، 71/1.

الخبازون كثرة إقبال الناس على شراء الدقيق والخبز، استغلوا ذلك وأقدموا على تصغير حجم رغيف الخبز وباعوه بالعدد بدل الوزن، فبيع الرغيف "المغشوش" المصغر بربع درهم، بعد أن كـــان يبـــاع بأقل([1]).

4 ــ انتشار ظاهرة الدجل والخرافات:

أدت الأوضاع الصعبة التي عانى منها سكان بلاد الشام بسبب حدوث الكوارث الطبيعية، وخاصة تفشي الطواعين إلى ترك آثارٍ على نفسية السكان والمرضى، فأصبحوا يتشـــبثون بـــدجل وخرافـــات المنجمين طلباً للشفاء من المرض أولاً، وتغيير أوضاعهم السيئة ثانياً، واستغل المنجمـــون المـــرض وظروف السكان لتحقيق أهدافهم، ففي موجة القحط والجفاف سنة(775هـ - 1373م)، ظهـــر بمدينـــة الرملة أحد الدجالين كان يجلس لعدة أيام متتالية في أسواق المدينة، ويدعي أنه رأى في منامه أن قتـــل السلطان سيؤدي إلى سقوط الأمطار، وعموم الخير على البلاد وترخص الأسعار، وكان يصيح بأعلى صوته: "اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم، ويجري ماؤكم"([2])، وفي سنة (908هـ- 1502م) استغل أحد الدجالين تفشى الطاعون بدمشق، وتردي أوضاع السكان النفسية، فادعى أن عين الماء الموجودة بقرية قطيا تشفي المرضى إذا اغتسلوا بمائها، فهرع السكان رجالاً ونساءً يغتسلون في مائها البارد والملوث عراة، مما أثر في ازدياد عدد المرضى من شدة البرودة والمياه الملوثـــة ([3])، وفـــي ســـنة(919هـ - 1513م)عندما انتشر الطاعون بدمشق وزاد عدد الوفيات في صفوف الأطفال، زعم شخص يُدعى "ابن حمزة" أنه رأى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في منامه، وطلب منه أن يدعو الناس إلى زيـــارة قبور الصالحين، ومقامات الأولياء، ولقيت دعوته صدى كبيراً من قبل نساء المدينة، وأقبلن بأطفـــالهن

([1])القرماني،أحمد،**أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، 286/2؛ النويري، محمد،**الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، 422/6؛المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 84/4.

([2]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 124، 125.

([3]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**، 214/1.

بأعداد كبيرة على زيارة القبور والمقامات طلباً للشفاء ([1])، إلا أن قاضي الشافعية لم يرضَ عن تصرفاته، ونصح من يذهب إلى تلك الأماكن أن يستبدله بالمواظبة على الصيام، وعمل الخير والإحسان، وقال في ذلك: " قد كثر الظلم فلو أبطلتموه كان حسناً"([2]).

5 ـ انتشار ظاهرة التسول:

رغم أن ظاهرة التسول ظاهرة طبيعية شهدتها المجتمعات قديماً وحديثاً، إلا أنها كانت تزداد في بلاد الشام مع حدوث الكوارث الطبيعية، وتحديداً في الطبقات الشعبية: كالفقراء والحرافيش، ويتضح لنا من خلال المصادر التاريخية أن موجات القحط والجفاف أثرت بشكل واضح في ارتفاع أعداد المتسولين في مدينة دمشق، ففي سنة(800هـ- 1398م) أدت موجة القحط والجفاف إلى انعدام الأقوات وارتفاع الأسعار، فَكُشفت أحوال الناس، وكثر السؤال، وامتلأت طرقات مدينة دمشق وأبواب المساجد بالمتسولين، وهذا بدوره أعطى الحرافيش فرصة استغلال هذه الظروف ليتخذوا من السؤال صنعة، وأصبحوا يجلسون على أبواب المساجد ويسألون من غير حاجة، وبسبب ازدياد أعدادهم واشتداد المنافسة بينهم، لم يؤدوا الصلوات منتظرين خروج المصلين، مما ترك آثاراً بالغة في انتشار الفوضى وإحداث تشويش على المصلين([3])، وأدى هذا إلى انعدام الأمن وحدوث اضطرابات، ووقوع حالات كثيرة من السرقة والقتل([4]).

([1])ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**،307/1.

([2])ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى**، 219.

([3])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،652/3؛ابن طولون،محمد، **نقد الطالب لزغل المناصب**،194.

([4]) توا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 299.

وعندما هاجم الجراد بلاد الشام سنة (743هـ- 1342م)، وقضى على الغلال، ارتفعت الأسعار مما أدى إلى تفشي الفقر وانتشار المتسولين وزيادة أعدادهم من أبناء الطبقة الشعبية في مدينة دمشـــق كالفقراء والحرافيش([1]).

وأدى تفشى الطاعون في بلاد الشام سنة (776هـ- 1374م) إلى كثرة أعداد المتسولين في المـــدن الشامية، مما أثر في انعدام الأمن وحدوث الفوضى، ودفع السلطان الأشرف شعبان([2]) إلـــى إصـــدار مرسوم للأمراء، والأغنياء، والتجار، بتوزيع الفقراء، والحرافيش، والمتسولين، فيما بينهم لإطعـــامهم وأمر النواب بصلب من وجدوه يشحذ من الحرافيش بعد ذلك([3])، ويبدو أن صدور المرسوم السلطاني بصلب المتسولين كان بدافع القضاء على ظاهرة التسول المتزايدة، وتوجيه المتســـولين نحـــو العمـــل الشريف([4])

ثانياً ـــ انتشار الفقر والمجاعات:

ترك حدوث الكوارث الطبيعية في بلاد الشام آثاراً بالغة في الحياة الاجتماعية بشكل واضح، ولا سيما انتشار الفقر بين الناس، فبسبب قلة العرض وازدياد الطلب على المواد الغذائية ارتفعت الأسعار بشكل كبير، وأصبح الناس عاجزين عن تلبية متطلباتهم الضرورية من ناحية، وتوفير الأموال اللازمة من ناحية ثانية، ففي سنة (658هـ - 1259م) عندما اجتاحت موجة الجفاف البلاد الشـــامية ارتفعـــت أسعار المواد الغذائية، وعجز سكان المدن عن توفير احتياجاتهم الأساسية، وهذا بدوره أدى إلى حدوث

([1]) ابن دقماق، إبراهيم، **الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين**، 165/2؛ الإمام، رشاد، **مدينة القدس في العصر الوسيط**، 159.

([2]) الأشرف شعبان: هو شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولي السلطنة ســـنة (764هـ - 1363م) وتوفي سنة(778هـ - 1376م) للمزيد ينظر، المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 268/4.

([3])ابن قاضي شهبة،أبوبكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،2|444.

([4]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،ج1، ق2، 140؛ الملواني، يوسف، **تحفة الأصحاب لمـــن ملـــك مصر من الملوك والنواب**، 64.

مجاعة شديدة في معظم بلاد الشام، مما أثر في انتشار الفقر بشكل واضح ([1])، ويبدو أن هـذا كـان محفزاً لاستغلال الفرنج الظروف الصعبة التي عصفت بالبلاد الشامية، فأقدموا على إغراق الأسـواق الشامية بالنقود الزيوف، التي حاول الشاميون التخلص منها بشراء أي شيء خوفاً من بطلانها، وقـال أبو شامة: " ومن أكثر أسبابه ما أحدثه الفرنج من ضرب الدراهم المعروفة باليافعية، وكانـت كثـرة الغش، وبلغني أنه كان في المائة فيها خمسة عشر درهماً فضة والباقي نحاس، وكثرت في البلاد كثرة عظيمة، وتحدث في إبطالها مرارا، وبقي كل من عنده شيء حريصاً على إخراجه خوفاً من بطلانهـا فتراه يدأب على شراء أي شيء وكان يتزايد في البيع بسبب ذلك"([2]).

وأظهرت المصادر التاريخية أن تكرار المجاعات؛ بسبب القحط والجفاف، كان يدفع الناس إلى أكل لحوم الكلاب، والقطط، والحمير، ولحم الميتة والبشر، ففي سنة (659هـ- 1260م)عندما اجتاحت بلاد الشام موجة القحط والجفاف، أقبل الناس على أكل الحيوانات الميتة بسبب المجاعة([3])، وقال ابـن دقماق: " حتى أكلوا الناس الميتة من شدة الغلاء " ([4])، ومثل هذا الأمر تكرر في أثناء سلطنة العادل " كتبغا " سنة (694هـ- 1294م)، إذ أكل الناس لحوم الحيوانات غير المشروعة، ولحوم البشر من شدة الجوع ([5])، وقال المقريزي واصفاً شدة المجاعة في هذه السنة: " أكل الناس من شدة الجوع الميتـات والكلاب، والقطط، والحمير، وأكل بعضهم لحم بعض "([6])، وقد أحدثت موجات القحط والجفاف التـي

([1]) أبو شامة، عبد الرحمن، **الذيل على الروضتين**، 323؛الصفدي، خليل، **تحفة ذوي الألباب**، 163/2؛ العيني، محمود **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 272/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 511/1.

([2]) **الذيل على الروضتين**، 323.

([3]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 72/2؛ ابن دقماق، إبراهيم، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، 273.

([4]) **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، 273.

([5]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 256/1، 257؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** 178/1؛ المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 34؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكـر ملـوك مصر والقاهرة**، 49/8 ؛قاسم،عبده،**عصر سلاطين المماليك**،167.

([6]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 262.

اجتاحت بلاد الشام في سنتي(695هـ-1295م) ([1])، و(696هـ-1296م)([2]) مجاعة شديدة، عز فيها على على الصعاليك([3]) والفقراء الحصول على القوت، وقال البرزالي في ذلك: " واشتد الأمر على الصعاليك والفقراء، وعز عليهم تحصيل القوت "([4])، وقد تركت موجة الجفاف التي اجتاحت الشام سنة(704هـ- 1304م)، أثاراً في انعدام الأقوات، حتى أن وصل الحال بسكان منطقة الأغوار إلى النزوح عنها للبحث عن الأقوات، وبذلك خلت بعض الضياع من سكانها بشكل كامل([5])، وفي سنة(725هـ- 1325م) أدت موجة القحط والجفاف إلى حدوت مجاعة شديدة في معظم البلاد الشامية([6])، ولم تكن موجة الجفاف التي شهدتها بلاد الشام سنة (775هـ- 1373م) أقل تأثيراً في الأوضاع الاجتماعية، إذ أكل الناس من شدة الجوع الكلاب والميتة، وانتشر الفقر لندرة النقود بيد السكان([7]).

وبلغت شدة المجاعة والفقر اللذين أصابا السكان في البلاد الشامية لسنة(777هـ- 1375م) بسبب الجفاف إلى تخلي بعضهم عن قيمه الأخلاقية والإنسانية، إذ وصل الأمر ببعض الأسر إلى بيع

([1]) ابن المغيزل، علي، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 161؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 280/1 البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 433/2؛ الذهبي، محمد، **العبر في خبر من غبر**، 385/3؛ مؤلف مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 380؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 178/1؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات** 211/8؛ المقريزي، أحمد، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، 34؛ حسين، حميدي، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، 191.

([2]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 391.

([3]) الصعاليك: هم المشاغبون أبناء الليل في النهب والسلب، وهم من أبناء الإيماء الذين رفضوا من قبل محيطهم القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، 571/1؛ ابن فارس،أحمد ، **مقاييس اللغة**، 286/1؛ خليفة، يوسف، **الشعراء الصعاليك العصر الجاهلي**، 23؛ مغني، عبد الحليم، **شعراء الصعاليك منهجه وخصائصه**، 85.

([4]) **تاريخ البرزالي**، 433/2؛

([5])المنصوري،بيبرس،**التحفة الملوكية في الدولة التركية**، 176؛ابن حبيب،الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 74/2.

([6])ابن الجزري،محمد، **تاريخ ابن الجزري**،64/1، 65؛ المقريزي،أحمد، **درة العقود الفريدة في ترجم الأعيان المفيدة**،402/1.

([7])ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 108؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 364/4؛ ابن ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى**، 51؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي**، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة الرسالة، الحولية 28، الرسالة 272، 2008م، 51؛ قاسم، عبده، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك**، 168.

أبنائهم لشراء الأقوات، أوللتخلص منهم ([1])، ومن شدة الجوع في هذه السنة أكل الناس القطط والكلاب، والميتات ([2])، ووصف ابن حبيب هول هذه المجاعة بقوله : "استمر غول الغلاء مقيماً بالشام نازلاً بمن معه من أعوان القحط وأنصار الشام كاشراً عن أنياب النوائب، ناشراً حبائل قصائد المصائب، خارقاً للعوائد، مبدياً أنواع الأزمات والشدائد، .... وأجحف بالناس، وخرج عن الحدود والقياس، وجعلوا الغني فقيراً، وأهلك من الضعفاء خلقاً كثيراً، وزاد إلى أن نقصت الأقوات، وترادمت أمواج الأموات، وارتفعت الأسعار، .... وذاقوا عذاب الجوع، وناؤوا عن النوم والهجوع، وانكشف الستر وانتهك الحجاب، وأقبلوا على أكل الميتة"([3])، وعلى أثر اجتياح موجة الجفاف لبلاد الشام سنة (779هـ- 1377م) فقد القمح والدقيق، مما أدى إلى حدوث مجاعة شديدة باع الأهالي على إثرها الغالي والنفيس([4])، وقال أحد الشعراء في ذلك: (البحر الوافر)

سـنينِ القَحـط قَـدْ دَارَت — وَعَمَتَّ لِلكَبِيْرِ مَعَ الصّغِيـر

وبَعْنَا الفُرش وَالبُسطَ الغَوَالِي — وَنَمِنَا بِالثِياب عِلى الحَصيْر

لَقِينَـا مـِنْ أَذاهَـا ما لقَينَـا — وَزاَحمْنَا الْحَميْرَ عَلى الشَّعِيرِ([5])

وفي سنة(800هـ- 1397م) عندما اجتاح الجفاف البلاد الشامية عُدمت الأقوات وارتفعت الأسعار، مما أدى إلى حدوث مجاعة شديدة، أكل الأهالي لحوم أولادهم، وعبيدهم، وجواريهم، من شدة الجوع ([6])، ويقول الدويهي في ذلك: "عدمت الأقوات أصلاً، وأكلت الناس أولادهم، وعبيدهم

([1])ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،106/2؛ابن العماد الحنبلي،عبد الحي،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،431/8.

([2]) ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،481/2- 484؛ ابن حجر العسقلاني،أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمر**،158/1؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 116/2.

([3]) **المنتقى من درة الأسلاك**، 447.

([4]) ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 200-203؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، 360/3؛ قاسم،عبده،**عصر سلاطين المماليك**،167.

([5]) ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 203.

([6]) ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 648/3 – 652؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

وجواريهم، ولم توجد الأقوات بمال ولا بحال من سائر الأحوال"([1])، ويبدو أن هذه المجاعة تركت آثاراً على انعدام الأمن والاستقرار، وحدوث الفوضى لتهافت الناس على الأفران، وزيادة ظاهرة التسول، وانعكس كله على اضطراب الأوضاع في المدن الشامية، وحدوث عمليات قتل كثيرة ([2]).

وعلى أثر موجة الجفاف التي اجتاحت البلاد الشامية بين سنتي(818 - 820هـ/ 1415 - 1417م)، خلت الحوانيت من الخبز، والطواحين، والأفران من الدقيق، فأدّى ذلك إلى حدوث مجاعة شديدة، أكلت الناس على أثرها خبز الشعير، والحمص، والفول([3])، ويبدو أن هذه المجاعة في هذه المرة لم تكن ناجمة عن فقر الناس، وإنما لانعدام الأقوات من البلاد، حيث وصل الناس من دمشق وحلب إلى الساحل الشامي والمال معهم، ولم يجدوا ما يبتاعوه إلا بشق الأنفس([4])، وقبيل سقوط الدولة الدولة المملوكية سنة (922هـ - 1517م)، انعدمت الأقوات، وارتفعت الأسعار بالشام نتيجة للجفاف، مما أدى إلى حدوث مجاعة شديدة، ولجأ السكان على أثرها إلى طحن الشعير وأكله من شدة الجوع([5]).

وأدى هجوم الجراد على بلاد الشام في بعض الأحيان، إلى القضاء على جميع الغلال، وفقدان الأقوات وارتفاع أسعارها بشكل حاد، مما كان يتسبب في حدوث مجاعات شديدة، ففي سـنة (743هـ-1342م) هاجمت أسراب الجراد معظم البلاد الشامية محدثة مجاعة شديدة لجأ الناس على أثرها إلـى

([1]) **تاريخ الأزمنة**، 340.

([2]) توا، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**، 299.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 6/ 395؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ**،268/7؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 494/1، قاسم،عبده،**عصر سلاطين المماليك**،167.

([4]) العيني، محمود، **السيف المهند في سيرة المؤيد**، 267.

([5]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 276/3؛ ابن طولون، محمـد، **مفاكهـة الخـلان وحوادث الزمان**، 358/1.

أكل خبز الشعير، وتوفي العديد من الأطفال من شدة الجوع ([1])، ولما هاجم الجراد بلاد الشام سنة (803هـ - 1401م) أحدث في مدينة دمشق مجاعة شديدة؛ بسبب رعي محاصيلهم أكل على أثرها بعض السكان لحوم البشر([2]).

وكان لتفشي الطواعين في بلاد الشام أثارٌ في انعدام الأقوات والغلال لندرة اليد العاملة، من كثرة عدد الوفيات في صفوف الفلاحين، فانتشر الفقر، وحدثت مجاعات اضطر السكان على أثرها أكل الميتة، ولحوم البشر من شدة الجوع ([3])، ففي سنة(656هـ- 1258م)عندما تفشى الطاعون بالبلاد الشامية، قلت الأقوات، وارتفعت الأسعار بشكل كبير، مما أدى إلى حدوث كارثتين معاً، المرض أولاً والمجاعة ثانياً ([4])، وهذا بدوره انعكس على ارتفاع أعداد الموتى بين السكان من شدة الجوع ([5]) ولاحظنا أن الطاعون الذي تفشى في بلاد الشام سنة(749هـ - 1348م)([6]) كان من أشد الطواعين تأثيراً في شيوع الفقر بين الناس([7])؛ لنفوق الحيوانات، وإغلاق الأسواق، ودور الصناعة، والطواحين

([1])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 379/3؛ عطا الله،محمود،**نيابة غزة في العهد المملوكي**، 214؛ الإمام رشاد، **مدينة القدس في العصر الوسيط**، 159؛ سليم، محمود،**عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**،316/2.

([2]) ابن عرب شاة، أحمد، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**، 147؛ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول** 63/3؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 340.

([3]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 183/1.

([4]) ابن واصل، محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 22؛ الذهبي، محمد، **العبر في خبر من غبر**، 278/3 العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 183/1؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 56/7؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 378/1.

([5]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 42/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 288/4 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 249/1.

([6]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 156/2؛ ابن دقماق، إبراهيم، **النفحة المسكية في الدولة التركية** السيوطي عبد الرحمن، (ت911هـ - 1505م)، **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، مخطوط بمكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم 19130 ورقة رقم 15؛ الأنصاري، زكريا (ت925هـ - 1519م)، **تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين**، مخطوط في جامعة برنستون ويوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم 230،ورقةرقم 110 ابن النجيم المصري، إبراهيم،(ت970هـ - 1562م) **رسالة في ضبط أهل النقل في خبر الفضل في حق الطاعون والوباء**،مخطوط موجود في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، تحت رقم 5935؛ورقةرقم 4.

([7]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 669/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 82/4؛ عاشور سعيد، **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**، 149.

ولقلة وجود النقد عجز السكان عن شراء أهم احتياجاتهم، وهذا بدوره أدى إلى حدوث مجاعة شديدة توفي بسببها عدد كبير من السكان من شدة الجوع ([1])، ويعتقد أن ذلك ترك أثراً بالغاً في تراجع النمو السكاني، والإنتاج الزراعي والصناعي في معظم البلاد الشامية.

وأدى الطاعون الذي تفشى في بلاد الشام سنة(776هـ- 1374م) إلى زيادة حدة الفقر بين الناس لتعطل العمال عن أعمالهم؛ بسبب انشغالهم بموتاهم ومرضاهم، مما أحدث مجاعة سقط بسببها العديد من الوفيات، وبذلك أصبح الناس بين فكي الطاعون والمجاعة ([2])، ويصف المقريزي ذلك بقوله: "كنت إذا مررت بالرملة، أسمع صوت رجل من الفقراء يصرخ بأعلى صوته:"لله لبابة قدر شحمة أذني أشمها وخذوها، فلا زال على ذلك حتى يموت" ([3])، وترك طاعون سنة(873هـ- 1468م) آثاراً في ارتفاع أسعار المواد الغذائية، فحدثت مجاعة شديدة توفي على أثرها عددٌ من صغار السن؛ لعدم قدرتهم على تحمل الجوع ([4]).

ثالثاً ــ حدوث الفزع والخوف (الآثار النفسية):

كان لحدوث الكوارث الطبيعية آثارٌ من ناحية فزع السكان وخوفهم، ويبدو أن ذلك كان يؤثر في أحوالهم النفسية، ففي الزلزلة التي هزت مدينة دمشق أثناء حصار المغول إليها سنة(658هـ- 1260م) أصاب الأهالي فزع وخوف شديدان، وعدّوا ذلك بلاء من الله قد أصابهم المغول من ناحية والزلزلة من ناحية أخرى، مما دفعهم إلى الخروج من المدينة تاركين خلفهم كل ما يملكون ([5])، وقال

([1])القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 156/2؛ السيوطي، عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، 391؛ القرماني أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، 286/2؛ عاشور، سعيد، **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام**، 244 عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 214.

([2]) ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 441، المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 375/4؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 452/2؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 140.

([3]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 374/4ــ375.

([4]) ابن أجا، **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدار**، 45.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 513/1.

المقريزي في ذلك:"وانتاب الناس الرعب بين خوف سمائي وأرضي من حصار التتــار لدمشــق"([1]) ولما سمع سكان بلاد الشام أصواتاً تهدم حيطان البيوت وسقوفها في سنة (702هـ - 1303م)، انتابهم خوف وفزع شديدان، وكثر الضجيج، والصراخ، والعويل، وخرجــت النســاء مكشــوفات الــرؤوس ووضعت كثير من الحوامل ما في بطونهن من شدة الخوف ([2])، وأدت الزلازل التي هزت مدينة حلب في سنوات (744هـ- 1343م) ([3])، و(807هـ- 1404م)، إلى إصابة سكانها بالهلع والخوف، وخرجوا من أبوابها متدافعين، الأمر الذي نتج عنه العديد من الإصابات والوفيات ([4]).

وأدى التدمير والتخريب الذي أحدثته السيول ببلاد الشام إلى ترك آثارٍ في نفسية السكان جراء الفزع والخوف على عيالهم وممتلكاتهم، ففي سنة (669هـ- 1269م) عندما تشكل السيل فــي مدينــة دمشق خرج الأهالي من شدة الذعر إلى رؤوس الجبال حاملين أطفالهم ومبتهلين إلى الله بالــدعاء([5]) ولما تكرر تشكله سنة (719هـ- 1319م) خرج معظم سكان دمشق منها، وهم لا يعون ما يفعلون من شدة الهلع، وتركوا ما يملكون من ممتلكاتهم ([6])، وأدى السيل الذي تشكل بمدينة بعلبك ســنة (717هـ- 1317م) إلى فزع الأهالي وخوفهم، فعلى أثره كثر صياح النساء والأطفال، وترك آثاراً نفسية في كبار الملاك في المدينة، جراء إفلاسهم وأصبحوا فقراء بعد غناهم؛ بسبب انجراف ممتلكاتهم ([7])، وعنــدما

([1]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 513/1.

([2]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 264/4؛ المقريزي، أحمد، **الســلوك لمعرفــة دول الملــوك** 263/2؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الزلزلة عن وصف الزلزلة**، 200.

([3]) ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 87/1.

([4]) العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 110؛ غوانمة، يوسف، **الزلازل في بــلاد الشــام فــي العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، 49؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 220/3.

([5])الذهبي،محمد، **العبر في خبر من غبر**، 319/3؛اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبــر مــن حوادث الزمان**، 129/4؛ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 527/7.

([6])ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 17/14؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 389/4.

([7]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 472/2؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 254/2؛ ابن سباط، حمزة **صدق الأخبار**، 628/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 299.

تشكل السيل بمدينة عجلون سنة (728هـ- 1328م) دب الرعب والخوف بين سكان المدينة، ومن شدة خوفهم على عيالهم تركوا المدينة ونزحوا إلى مناطق أخرى أكثر أماناً([1]).

وكان لهبوب الرياح الشديدة دور في فزع السكان وخوفهم، ففي سنة (719هـ- 1319م)،عنـــدما هبت الريح العاصفة على مدينة دمشق أسقطت الأشجار على الدور، فتركت آثاراً في نفسية السكان من شدة الخوف، حتى إنهم مُنعوا من النوم، وهرع معظم سكان المدينة للجامع الأموي يتضرعون إلى الله بالدعاء، وبقوا حتى الصباح([2])، وانتاب سكان مدينة دمشق ــ أيضاً ــ خوف وفزع شديدان، عنـــدما هبت ريح شديدة سنة(806هـ- 1404م)، وتصادف هبوبها مع موعد صلاة الجمعة، فَعُطلـــت الصـــلاة وهرب معظم المصلين من المسجد الأموي إلى العراء، وكاد أن يقع المنبر والخطيب على الأرض من شدتها ([3])، وقد أثارت الريح خوفاً وفزعاً في سكان مدينة طرابلس عندما هبت سنة(841هـ- 1438م) بحيث ظن ســكان المدينة مـــن شـــدتها أن القيـــامة ستقوم ([4]).

رابعاً ــ تعطيل الاحتفالات العامة والمناسبات الدينية:

أثرت الكوارث الطبيعية في بلاد الشام في تعطيل بعض المظاهر الاجتماعيـــة: كالاحتفـــال بالأعراس، والمناسبات الدينية، ففي سنة (732هـ- 1332م)، عندما تشكل السيل في مدينـــة حمـــص دخلت مياهه من شدة اندفاعه إلى أحد الحمامات، وصادف ذلك اجتماع نحو مائتي امرأة وطفـــل مـــع عروسين، فتوفوا جميعاً، واستبدلت مراسيم الاحتفال بالعروسين إلى مراسيم تشييع ضحايا الكارثة ([5]) وقد أدى الوحل الذي حدث بمدينة دمشق سنة (750هـ- 1351م)؛ بسبب تساقط الأمطار الغزيرة إلـــى

([1])ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 406/2؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 189/2 البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 478/4.

([2])النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 221/32؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**،، 350/4.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 625/2؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 357/4.

([4]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، 450/7؛ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 108/4.

([5]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 275/2؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيـــه**، 219/2؛ ابـــن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 236/14؛ اليافعي، أبو عبد الله، مرآة **الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 213/4؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 651/2.

تعطيل صلاة عيد الأضحى في الجامع الأموي، واختفاء بعض مظاهر الاحتفال عند سكان المدينة بالعيد، كذبح الأضاحي، ولبس الثياب الجديدة، وتزين النساء ([1]).

وكان موسم الحج يُعد مظهراً اجتماعياً في عصر دولة المماليك يجلب اهتمام الناس عامة فكان يحتفل أبناء المدن الشامية عند عودة الحجاج بدوران المحمل([2])، وهم يحملون الشموع، والقناديل والفوانيس، والمشاعل، حتى يدخلوا المدينة، ولكن تساقط الأمطار الغزيرة أحياناً في فترة الموسم، أثر وبشكل واضح في اختفاء هذه المراسيم، ففي سنة(758هـ- 1357م) دخل الحجاج مدينة دمشق دون علم السكان بوصولهم؛ بسبب شدة الوحل وغزارة الأمطار، وهذا بدوره أثر في تعطيل طقوس استقبال المحمل، المبهجة للناس ([3]).

وقد أدت موجة القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام سنة (748هـ- 1347م) إلى ارتفاع الأسعار، وحدوث مجاعة شديدة بمدينة دمشق، مما أشغل الأهالي عن إضاءة المشاعل، والاحتفال بليلة النصف من شهر جمادى الآخرة ([4]).

وأثر تفشي الطواعين في بعض السنوات في تعطيل حفلات الأعراس، والمناسبات الدينية، ففي سنة (749هـ- 1348م) عندما تفشى الطاعون بالبلاد الشامية تعطلت مناسبات الأفراح كالأعراس، ولم يسمع أي غناء طيلة فترة تفشيه؛ لانشغال الناس بموتاهم ([5])، وعبر المقريزي عن ذلك بقوله: " وأبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يُعرف أن أحداً عمل فرحاً في مدة الوباء، ولا سمع

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 574/1.

([2]) دوران المحمل: هي إضاءة الشموع، والقناديل، والمشاعل، والفوانيس، لاستقبال الحجاج، وأول من اتخذ هذه العادة السلطان الظاهر بيبرس، للمزيد ينظر، المقريزي، أحمد، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، 11 السيوطي، عبد الرحمن، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، 88/2.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 115/2.

([4]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 306/14.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**4|88؛حجي، حياة، **أحوال العامة في حكم المماليك**، 367؛ عاشور سعيد، **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام**، 244.

صوت عناءً " ([1])، ومن المتعارف عليه أن الأهالي في بلاد الشام كانوا يحيون ليلة الإسراء والمعراج بإقامة الاحتفالات في المساجد رجالاً ونساءً، حيث كانت تُعلق في أرجاء المدن الشامية المشاعل والفوانيس، والشموع، وتفرش البسط والسجاد داخل المساجد، وعليها الأواني والأباريق مملوءة بالمشروبات، ويستمعون إلى مشاهير القراء، وهم يرتلون آيات القرآن الكريم، وبعض المدائح النبوية([2])، ولكن تفشي الطاعون في السنة السالفة أدى إلى تعطيل الاحتفال بها، ففي مدينة دمشق، لم يحضر الأهالي، ولا رجال الدين إلى المسجد الأموي للاحتفال على عادتهم من كل عام ([3]).

واهتم المجتمع الشامي في إحياء احتفالات عيد الفطر، فكان معظم الناس يسهرون في المدن الشامية ليلة العيد في تجهيز ملابسهم الجديدة حتى الصباح، وكان الأتقياء منهم يسهرون في الاستماع للقرآن الكريم والأذكار، ومع طلوع النهار يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد في المواكب، وهم يهللون ويكبرون، وبعد الصلاة يتبادلون التهنئة بالعيد وأطباق الكعك، الذي كان يُجهز في الأيام الأخيرة من شهر رمضان ([4])، ويبدو أن تفشي الطاعون في سنة (841هـ- 1437م) قد نزع البهجة والسرور من صدور الناس في إقامة الاحتفالات بعيد الفطر في هذه السنة؛ لانشغالهم بسقماهم وموتاهم ([5])، ويقول ابن إياس في ذلك: " وكان هذا العيد من أنكد الأعياد على الناس"([6]).

خامساً ــ هجرة السكان ووفياتهم وتأثيره على السكان:

1 ــ هجرة السكان :

أدى حدوث الكوارث الطبيعية المختلفة إلى هجرة السكان ونزوحهم عن ديارهم إلى مناطق أكثر أمانا، ونلاحظ أن بعض هزات الزلازل التي شهدتها منطقة بلاد الشام أدت إلى إحداث الفزع

([1]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 88/4.

([2])قاسم،عبده، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 99.

([3]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 312/14.

([4])قاسم، عبده، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، 97.

([5])ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،12/5؛ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 183/2.

([6]) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 183/2.

والرعب بين صفوف السكان، فأجبروا على ترك أوطانهم المنكوبة، والرحيل إلى مناطق خالية من العمران كالصحاري؛ لضمان سلامتهم، وكان من بين الزلازل التي أدت إلى هروب السكان زلزلة سنة (702هـ- 1303م)، التي بقيت تراود بلاد الشام مدة أربعين يوماً([1])، مما دفع السكان إلى ترك بيوتهم، وهاجروا إلى مناطق أكثر أمناً، وأقاموا بها خيامهم ([2])، وتكرر ذلك في زلزلة سنة(744هـ-1343م)، حيث أصاب معظم سكان بلاد الشام الذعر والخوف ([3])، فاضطروا إلى ترك بيوتهم وخرجوا إلى الصحاري([4])، ويصف ابن عبد الباسط ذلك بقوله: " وخرج أهل حلب إلى الصحراء وبقوا عدة أيام، وكانت من نوادر الزلازل "([5]).

والى جانب الزلازل شكلت السيول الجارفة كارثة من ناحية هجرة السكان ونزوحهم عن أوطانهم، مما أدى إلى مشكلة في توفر المحاصيل الزراعية وخرابها، وحدوث أزمات اقتصادية خانقة لعدم زراعة الأرض نتيجة قلة توفر الأيدي العاملة، وكذلك ارتفعت أجور البيوت؛ لتهدم بعضها بفعل السيول، ففي سنة (717هـ - 1317م) جرف السيل الذي تشكل بمدينة بعلبك أمامه عدداً كبيراً من

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،39/32؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**،230/3؛ الذهبي، محمد **دول الإسلام**،237/2؛ النويري، محمد، **الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**،124/6 ابن الشحنة، محمد، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**،274؛ السيوطي، عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، 379.

([2]) السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 200؛ غوانمة، يوسف، **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، 48.

([3]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من عبر**، 130/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 3/ 404 الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 182/3؛ عفت، حمزة، **الكوارث الطبيعية**، 126.

([4]) ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 204؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 360/1 ابن عبد الباسط، خليل ،**نيل الأمل في ذيل الدول**،87/1.

([5]) **نيل الأمل في ذيل الدول**، 87/1.

البيوت، وأصبح معظم سكانها دون مأوى، فنزحوا إلى المناطق المجاورة([1])، وفي سنة(728هـ-1328م) دمر السيل في مدينة عجلون أعداداً كبيرة من البيوت، فأدى إلى نزوح السكان عنها([2]).

وتركت موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام آثاراً في هجرة السكان ونزوحهم عن أوطانهم، للبحث عن مصادر المياه ومراعي المواشي، مما ترك انعكاسات على الناحية السكانية سواء في المناطق التي هاجروا إليها، أو المناطق التي هاجروا منها، ففي سنة(704هـ- 1304م) أثرت موجة القحط والجفاف في تراجع سكان المنطقة الممتدة من الغور إلى العريش من كثرة ما نزح من سكانها إذ قدر عدد القرى التي أخليت من سكانها حوالي ألفين وثمانمائة قرية([3])، ويقول المقريزي في ذلك: " وفيها أجدب الشام من الغور إلى العريش، وجفت المياه، ونزح الناس عن أوطانهم من العطش، وخلا من الصفقة القبلية ([4]) ألفان وثمانمائة قرية"([5]).

وتكرر ذلك سنوات (705هـ- 1305م)([6])، و(706هـ- 1306م)([7])، إذ هاجر من سكان منطقة منطقة حوران ومرج بن عامر إلى الساحل الشامي أعداد كبيرة، لقلة الأقوات وارتفاع الأسعار([8])، ويبدو أن كثرة أعداد المهاجرين إلى مناطق الساحل أثرت في وجود أزمة خانقة في المساكن وارتفاع أسعار المواد الغذائية.

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**،472/1؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 454/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 157/14؛البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 263/4؛ الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في سيرة من ولي مصر من الملوك**، 242؛حمد،فيصل،**الأسواق الشامية في العصر المملوكي**، 163،رسالة ماجستير،جامعة اليرموك، إربد، 1992م.

([2])ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 406/2؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 189/2 البرزالي القاسم، **تاريخ البرزالي**، 478/4.

([3]) المنصوري، بيبرس، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، 176؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك** 402/2 الطراونة، ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 189.

([4]) الصفقة القبلية: سميت بذلك لأنها قبلي دمشق، وتشتمل على بلاد حوران والأغوار كلها ماعدا الكرك، القلقشندي ،احمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،103/4؛ ابن فضل الله العمري، أحمد ،**التعريف بالمصطلح الشريف**،227.

([5]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 384/2.

([6]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**،11 /122؛ الطراونة، ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 189.

([7]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 172/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 290-291.

([8]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 172/2؛ الطراونة، ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 189.

ولاحظنا من خلال المصادر التاريخية أن موجة الجفاف التي اجتاحت بلاد الشام سنة (748هـ-1347م) تركت آثاراً بالغة في كل من دمشق وحوران، إذ هاجرت أعداد كبيرة من سكانهما، وكانت هجرتهم باتجاهين، سكان دمشق هاجروا إلى المناطق الشمالية حيث حلب، أما سكان منطقة حوران فقد هاجروا إلى منطقة الساحل الشامي([1])، ويبدو أن الأوضاع المعيشية بحلب كانت أفضل حالاً من دمشق، مما دفع سكان دمشق للهجرة إليها، ويذكر ابن صصرى أن موجة القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام سنة (775هـ- 1373م)، أدت إلى هجرة معظم سكان بلاد الشمال إلى مدينة دمشق ومن كثرة أعدادهم حدثت أزمة اقتصادية خانقة في المدينة، ويقول في ذلك: " وجاءت الناس من بلاد الشمال إلى بلاد دمشق مثل التراب"([2]).

ونستشف من خلال هجرة السكان بسبب موجات القحط والجفاف أنها تركت آثاراً في تفكك وفتور العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الشامي؛ وذلك لتشتت السكان عن بعضهم، ففي سنة (777هـ - 1375م) هَجَر بعض سكان بلاد الشام مدنهم، وخرجوا هائمين على وجوههم من شدة الجوع، وتفرق بعضهم عن بعض، وفيهم يقول ابن حبيب: " تشتت شمل القوم بعد الاجتماع وتفرقوا شذر مذر"([3]).

وتعد موجات القحط والجفاف التي اجتاحت بلاد الشام في سنوات(797هـ-1394م)([4]) و(798هـ-1395م)([5])، و(799هـ- 1396م) ([6])، و(800هـ- 1397م) ([7])من أكثرها آثاراً في هجرة السكان من بلاد الشام في تاريخ الدول المملوكية، إذ نزح أهل بلاد الشمال إلى دمشق ظناً منهم أنها

([1])ابن الوردي،عمر،**تاريخ ابن الوردي**، 516/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 306/14؛ ابن حبيب،الحسن **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 748/3؛ ابن شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 508/1؛ الغزي،كامل،**نهر الذهب في تاريخ حلب** 1836/3؛ السيد،علي،**القدس في العصر المملوكي**، 218.

([2]) **الدرر المضيئة في الدول الظاهرية**، 118.

([3]) **المنتقى من درة الأسلاك**، 447.

([4]) ابن صصرى، محمد،**الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 164؛ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 544/3.

([5]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 165/1.

([6]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 398/5؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 611/3.

([7]) ابن قاضي، شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 652/3.

أكثر رخاءً، إلا أنهم وجدوها مثل بلادهم فتشتتوا في البلاد الأخرى، وقال ابن صصـــرى([1]) واصـــفاً أحوال البلاد والناس في تلك الفترة: "كان الماء قليلاً بدمشق، والمطر أيضاً قليل، وكذلك بلاد الشمال كان ماء العاصي قليلاً جداً، وماء الفرات كذلك، وانقطعت أكثر عيون بلاد الشمال وبلاد الشام، ونشفت أبيار دمشق وانقطعت عين الكرش([2]) بالجملة، ... وتوقفت أحوال الناس ... ورحلوا عــن بلادهــم" وامتد تأثير هذه الموجة إلى منطقة جبيل([3]) وحوران، فنزح سكانهما إلى الساحل الشــامي، وعنــدما وصلوا هناك وجدوا أن تلك البلاد ليست بأحسن حالاً من بلادهم، وأن سكان الرملة وغزة والقدس قــد نزحوا إلى البلاد المصرية فتبعوهم إليها ([4])، وفي سنة(825هـ - 1422م) عندما أجدبت منطقة دمشق والكرك وحوران وغزة والقدس والرملة، هاجر معظم سكانها إلى البلاد المصرية ([5]).

ومما ترتب على ذلك حدوث خلل في الواقع السكاني للبلاد الشامية والمصرية على حــد ســواء فبلاد الشام خلت معظم قراها وضياعها من السكان، مما أدى إلى حدوث خلل في الإنتاج الزراعــي والصناعي لقلة الغلال، أما هجرة الناس إلى البلاد المصرية، فقد أدت إلى زيادة السكان وازدحــامهم وحدوث بطالة حادة، لارتفاع أعداد العاملين فيها، وهذا بدوره زاد من أعباء الدولة المملوكية، خاصة أنها كانت مشغولة في التصدي لهجمات تيمورلنك([6]).

([1]) **الدرر المضيئة في الدولة الظاهرية**، 164.

([2])عين الكرش: عين بدمشق تقع جنوب المدرسة الحافظية تحت نهر ثورا، وزالت معالمها، ولا يوجد لها أثر اليوم، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 265/1؛ لايبيش وزميله، **معالم دمشق التاريخية**، 4/8.

([3])جبيل:بلد شرق بيروت على بعد ثمانية فراسخ منها، وهي من فتوح يزيد بن أبي سفيان،الحموي،ياقوت،**معجم البلدان**، 109/2.

([4]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 203/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 398/5؛ ابن قاضـــي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 611/3.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 56/7؛ **درة العقود الفريدة في التراجم المفيدة**، 462/1.

([6]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**،97/2؛ أبو زيتون، إيمان، **المجاعات فــي مصــر وبلاد الشام في العصر المملوكي**،84،رسالة ماجستير، اربد،اليرموك، 1998م.

2 ـ وفيات السكان :

أدى تعرض السكان في بلاد الشام للكوارث الطبيعية إلى موتهم بأعداد تختلف بـين كارثـة وأخرى، مما كان له تأثير واضح على إعاقة النمو السكاني، وإحداث خلـل فـي التركيـب النـوعي والعمري لسكان بلاد الشام، وهذا بدوره انعكس سلباً على الأوضاع الاجتماعية والاقتصـادية للـبلاد الشامية، حيث لاحظنا أن بعض الزلازل التي تعرضت لها بلاد الشام كان لها تـأثير علـى الواقـع السكاني في بلاد الشام، ففي زلزلة سنة (702هـ-1303م)، توفي عدد كبير من السكان تحت الردم مما أدى إلى تناقص أعداد السكان في بعض المدن والقرى الشامية([1])، ولاحظنا أيضاً أن بعض الـزلازل أدت إلى حدوث إبادة جماعية لبعض المناطق، مما احتاج إلى وقت طويل لاستعادة التوازن السـكاني فيها، وفي الزلزلة التي هزت بلاد الشام سنة(744هـ - 1343م) فني غالبية سكان مدينة منبج، ولـم يبق منهم إلا القليل، وانعكس ذلك سلباً على أوضاعها من الناحية الاقتصادية، لعدم توفر اليد العاملـة فبقيت الأراضي دون زراعة، وعطلت الصناعات، ومن الناحية الاجتماعية احتاجت منبج إلى وقـت طويل لاستعادة التوازن السكاني فيها ([2])، وقال ابن قاضي([3]) شهبة:" وذكروا أن مدينة منبج لم يبـق منها إلا القليل، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم".

واتضح لنا أن تشكل السيول أحياناً كان له دورٌ في وفاة السكان بأعداد كبيرة، ممـا أدى إلـى حدوث خلخلة في الواقع السكاني للبلاد الشام، فالسيل الذي تشكل في مدينـة دمشـق سـنة (683هـ -

---

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 32،39؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفـة دول الملـوك**، 364/2 ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 582/2.

([2]) ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 204؛ ابن الشحنة، محمد، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر** 282؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

([3]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

1284م) أغرق حوالي عشرة آلاف شخص([1])، ويبدو أن هذا ترك تأثيراً على الأوضاع الاقتصادية للمدينة من كثرة وفيات السكان، خاصة أصحاب الحرف والمهنيين.

ويبدو أن تفشي الأوبئة والطواعين ببلاد الشام كانت من أكثر الكوارث الطبيعية تأثيراً على الزيادة الطبيعية([2])، مما أثر في النمو والتركيز السكاني في المنطقة بشكل واضح، وبذلك احتاجت بلاد الشام إلى عشرات السنين لاستعادة التوازن السكاني على ما كانت عليه قبل تفشيه، ففي سنة (658هـ-1259م) حدد عدد ضحايا الطاعون بألفين ومائتي نسمة يومياً في مدينة دمشق ([3])، واستمر هذا الطاعون شهراً على الأقل، وهذا يعني أن عدد الوفيات قد بلغ حدود الأربعين ألفاً، وقال الدويهي: " إنه أهلك خلقاً لا يُحصى" ([4]).

وأدت جائحة([5]) الطاعون التي أصابت سكان بلاد الشام سنة (749هـ- 1348م) إلى حدوث تخلخل كبير في التوازن السكاني لكثرة الوفيات، إذ حصد أرواح ما يقارب المائة ألف نفس في دمشق وحدها، وفي حلب كذلك، وفي غزة حوالي اثنين وعشرين ألفا ً([6])، ويروي المقريزي أن بعض المدن الفلسطينية قد أبيد جميع سكانها بشكل كامل، فقال: " وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد وبلاد القدس وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع، ولم يبق في بلدة جنين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة، ولم يبق بمدينة لد أحد ولا بالرملة، وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى " ([7])، وتشير

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 53/2.

([2])الزيادة الطبيعية:هي الفرق بين عدد المواليد الأحياء وعدد الوفيات والأموات،جاد الرب،حسام الدين،**الجغرافيا البشرية**،41؛ابو عيانة، فتحي،**جغرافية السكان**،83؛مصيلحي،فتحي،**الجغرافيا البشرية المعاصرة**،23

([3]) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 307.

([4]) **تاريخ الأزمنة**، 307.

([5]) جائحة: الداهية والعقبة، ابن منظور محمد، **لسان العرب**، 249/3، مادة جيح.

([6])الذهبي،محمد، **ذيول على العبر في خبر من غبر**، 149/4؛المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 80/4 غوانمة،يوسف،**تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**،117؛عرار، شفيق،**سكان فلسطين في العهد المملوكي**،42،رسالة ماجستير،جامعة بير زيت، فلسطين،2003م.

([7]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 82/4.

بعض الدراسات الحديثة أن طاعون هذه السنة أثر في معدل الأعمار في البلاد الشامية، ففي السنة التي سبقت تفشيه (748هـ- 1347م)، تبين أن معدل الأعمار كان ثلاثة وسبعين عاماً، فهبط في السنة التالية إلى الستين عاماً، أي بنسبة 16،56%، ويُظهر هذا الهبوط الحاد مدى قوة طاعون هذه السنة([1])، ويبدو أن هذه المعلومة غير دقيقة، لأن السنة الواحدة لا تعدّ مقياساً لقياس معدل الأعمار، فمثل هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل.

وترك طاعون سنة (764هـ- 1363م) آثاراً في التركيب العمري في بلاد الشام، لأن معظم وفياته كانت في فئة الأطفال والشباب، وهذا يعني ارتفاع نسبة الشيخوخة في المجتمع على حساب الفئات العمرية الأخرى ([2])، ويبدو أن هذا أثر في تراجع الكثافة السكانية لمنطقة بلاد الشام، ونلاحظ أن هذا الطاعون أدى أيضاً إلى إحداث تخلخل في التركيب العرقي في مدينة القدس لكثرة ما أباد من سكانها، وخاصة اليهود منهم ([3])، وقال ابن قاضي شهبة: " ووقع الوباء بدمشق من أول شعبان وتزايد، وجمهوره في اليهود، يموت منهم في كل يوم نحو الخمسين... وفقد منهم أول شعبان إلى مستهل رمضان نحو ألف نسمة خبيثة "([4])،ومن المعروف أن اليهود كانوا متعودين على الإقامة في تجمعات سكنية خاصة، مما يفسر سقوط معظم الضحايا في صفوفهم.

وكان لطواعين سنتي (774هـ- 1372م)([5])، و(776هـ- 1374م)([6])، دورٌ في تراجع النمو السكاني في مدينة دمشق لكثرة عدد الوفيات، فحسب الإحصائيات التي أوردتها المصادر التاريخية

([1]) تو١، فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**،477

([2]) الذهبي، محمد، **ذيول على العبر في خبر من غبر**، 149/4؛ ابن العراقي، أحمد، **الذيل على العبر في خبر من غبر**،110/1؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 267/4؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 220/2؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة** ، 21/11؛

([3])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 220/2؛السخاوي،محمد،**وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 131/1.

([4]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 220/2.

([5])ابن حجر العسقلاني،أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**،37/1؛ السخاوي،محمد،**وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 192/1.

([6])ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،444/2؛ ابن عبد الباسط، خليل ،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 71/2.

توفي فيهما نحو مائة وعشرين ألفاً([1])، وعندما تفشى الطاعون في بلاد الشام سـنة (784هـ- 1382م) توفي ما يقرب اثني عشر ألفاً من سكان مدينة دمشق، بعد أن دام فيها الطاعون مدة شهرين من الزمن فكان يموت في اليوم الواحد من مائتين إلى أربعمائة شخص([2])، ويبدو أن ارتفاع عدد الوفيات أثر في النمو السكاني في دمشق، ولما تفشى الطاعون سنة(795هـ- 1393م)، توفي عدد كبير من سكان البلاد الشامية ([3])، قدره ابن صصرى بحوالي ثلاثمائة وستين ألفاً ([4]).

وفي طاعون سنة (800هـ- 1398م) وصل عدد الوفيات في دمشق وحدها ما يزيد عن تسعة آلاف نسمة ([5])، مستندين في ذلك على ما أورده ابن([6]) حجي، الذي ذكر أنه كان يموت فـي اليـوم الواحد من سكان المدينة ما بين المائة والمائة والخمسين نفساً، مدة ثلاثة شهور، ونستشف من خلال ما أورده المقريزي عن الطاعون الذي تفشى ببلاد الشام سنة(814هـ- 1411م)، أنه ترك آثاراً سلبية في تراجع النمو السكاني في مدينة دمشق، لكثرة عدد الوفيات، حتى أن بعض قراها قد أبيد سكانها بشكل كامل، وقال: " فأحصي من مات من أهل وسكان دمشق وغوطتها فكانوا نحو خمسين ألفا، سوى من لم يُعرف، فخلت عدة قرى من سكانها"([7])، ويبدو أن هذا أثر سلباً في أوضاع البلاد الاقتصـادية؛ لعـدم

([1]) ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 71/2؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**،193/3

([2]) ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 82/2؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر**

(3) ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،467/3؛السخاوي،محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**،306/1.

([4]) **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 137.

([5]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 298/1؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 658/3.

([6]) **تاريخ ابن حجي**، 298/1.

([7]) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 290/6.

وجود اليد العاملة، بدليل ما أورده ابن عبد الباسط، فقال: "وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها"([1]).

وعندما تفشى الطاعون ببلاد الشام سنة (819هـ- 1416م) توفي من أهل مدينة طرابلس عشرة آلاف شخص معظمهم من فئة الشباب، فأصبحت البلاد خراباً، وشبه خالية من السكان ([2]) وقال ابن([3])الصيرفي: "ووصلت الأخبار في هذه السنة من طرابلس الشام أنه كان فيها فناء عظيم حتى لم يبق منهم إلا القليل" ، ويبدو أن وقوع الوفيات في الفئة الشابة بين سن 15ـ49 في طاعون هذه السنة أدى إلى انخفاض نسبة الإخصاب في المجتمع الطرابلسي؛ وهذا بدوره أدى إلى عدم التكاثر، مما كان له انعكاسات سلبية على معظم مناحي الحياة في طرابلس ([4]).

وتوالت التأثيرات السكانية في طاعون سنة(826هـ- 1422م)، إذ أثر بشكل واضح في التركيب النوعي في مدينة دمشق، فارتفعت نسبة الذكور على حساب الإناث؛ لأن معظم الوفيات فيه كانت من النساء، خاصة الفتيات ([5])، فقال ابن([6])الصيرفي: "ثم انتقل إلى دمشق ومات فيها ستة آلاف بنت عذراء خاصة" ، وإلى جانب ذلك توفي بسبب هذا الطاعون من سكان دمشق وحدها ثمانون ألف شخصٍ، ومات في باقي المدن الشامية ما يقارب هذا العدد، مما أثر في تخلخل السكّانية في بلاد الشام([7])، ويبدو أنه ترك آثاراً في توفر الأيدي العاملة والخدم لدى بعض الأمراء في بلاد الشام لكثرة

([1]) **نيل الأمل في ذيل الدول**، 215/3.

([2]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 363/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 304/3؛ ابن العماد الدين الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 198/9.

([3]) **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 363/2؛ ناصر،عامر، **الحياة الزراعية في مصر زمن الدولة المملوكية الثانية** ،94،رسالة دكتوراه،الجامعة الأردنية،عمان،1998م.

([4]) ناصر،عامر،**الحياة الزراعية في مصر زمن الدولة المملوكية الثانية** ،94،رسالة دكتوراه،الجامعة الأردنية،عمان،1998م.

([5]) المقريزي، أحمد، **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 465/1؛ ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**،25/3؛ ا بن عبد الباسط، خليل ، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 130/4؛ ابن العماد الحنبلي عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 251/9.

([6]) **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**،25/3.

([7]) ابن الصيرفي،علي،**نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**،25/3؛ا بن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**،130/4.

لكثرة ما توفي من عبيدهم، فقال(1)المقريزي: "وبلغ عدة الأموات بدمشق الثمانين ألفاً معظمهم...عبيد وإماء" ومن طرف آخر يبدو أن هذا كان مكسباً لصالح تجار الرقيق.

وبلغ عدد الوفيات حسب المصادر التاريخية في بلاد الشام جراء تفشي طاعون سنة (841هـ-1437م) حوالي مائتين واثنين وثلاثين ألفاً، منهم ما يقارب المائة ألف بدمشق، وتسعين ألف بحماة وثلاثين ألفاً في حلب، واثني عشر ألفاً في غزة، عدا عن المدن التي لم تذكرها المصادر، وكثرت نسبة الوفيات بالأطفال، والعبيد، والإماء(2)، ويبدو أن هذا الوباء ترك آثاراً بالغة في تراجع النمو السكاني لكثرة عدد الوفيات في صفوف الأطفال، وأثر كذلك في تزايد تجارة وجلب العبيد والرقيق؛ لسد النقص الحاصل.

وأثر طاعون سنة(864هـ- 1459م) على النمو السكاني في مدينة غزة لكثرة عدد الوفيات في أهلها، حيث قدر عدد الوفيات فيها يومياً بحوالي سبعمائة شخص(3)، وقال ابن تغري(4) بردي: "عظم "عظم الطاعون بمدينة غزة وأباد الموت أهلها، حتى تجاوز عدد الموتى بها في اليوم سبعمائة وقيل أكثر وأقل"، وأثر الطاعون الذي تفشى ببلاد الشام سنتي (873هـ - 1468م)(5)، و(874هـ - 1469م)(6) بشكل واضح في النمو السكاني؛ لكثرة ما توفي به من السكان، فقدر عدد الوفيات في مدينة دمشق وحدها كل يوم ألف وخمسمائة شخص (7)، وبلغ عدد الوفيات بمدينة دمشق جراء طاعون

(1) **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 465/1.

(2) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 359/7؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 273/14؛ ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 395/3؛ ابن إياس، محمد =**بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 183/2؛ عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 217 غوانمة،يوسف،**تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**،119.

(3) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 110/16؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 446/9.

(4) **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 110/16.

(5) الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 360.

(6) ابن سباط حمزة، **صدق الأخبار**، 814/2.

(7) ابن سباط حمزة، **صدق الأخبار**، 814/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 360.

طاعون سنتي(881هـ- 1476م)([1])، و(882هـ- 1477م) ([2]) خمسين ألف شخص، وأفنى خلقاً من الشباب والنساء وأهل الذمة في مدينة القدس([3])، ويذكر ابن([4]) الجيعان أن معظم الوفيات فيه كانت من من طبقة العبيد، ويعتقد أن ارتفاع الوفيات في طبقة العبيد عائدٌ لحركتهم الزائدة؛ بسبب طبيعة عملهم، وهذا بدوره ساعد على سرعة انتقال العدوى إليهم أكثر من غيرهم.

ويتضح لنا أن الطاعون الذي تفشى ببلاد الشام سنة (897هـ-1492م) من أكثر الطواعين تأثيراً في النمو السكاني بعد طاعون سنة(749هـ-1348م)؛ لكثرة ما توفي فيه من الناس([5])، حيث أفنيت بعض الطوائف عن بكرة أبيها كالهنود في مدينة القدس([6])، وعلى حد تعبير ابن العماد([7]) الحنبلي أن ربع سكان الأرض ماتوا بسببه، وفقدت مدينة دمشق من سكانها جراء تفشيه حوالي مائة ألف شخص ([8])، فأدى إلى إحداث خلخلة في التركيب النوعي في المجتمع الشامي؛ بسبب ارتفاع عدد الوفيات في صفوف النساء، وقال ابن([9])الحمصي: "إن عدة ما خرج من دمشق من البنات الأبكار في مدة شهرين ونصف إحدى وعشرون ألف بكر وأربع مائة وثلاث عشرة بكراً "، ويبدو أن هذا ترك آثاراً سلبية في الناحية الاجتماعية، خاصة عدم زواج الشباب لقلة وجود الإناث، وهذا بدوره أثر في

---

(1) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 81؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 871/3؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 125/3؛ السيد، علي، **القدس في العهد المملوكي**، 71؛ الإمام، رشاد **مدينة القدس في العصر الوسيط**، 159.

(2) ابن الجيعان، محمد، **القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف**، 122.

(3) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 81؛ الإمام، رشاد، **مدينة القدس في العصر الوسيط**، 159.

(4) **القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف**، 122.

(5) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 904/2؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** 541/9؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**،366.

(6) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 486/2؛ عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 217.

(7) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 541/9.

(8) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 336/1؛ العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 486/2.

(9) **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 336/1.

النمو السكاني لقلة التكاثر، ولاحظنا أن آخر جائحة للطاعون شهدتها بلاد الشام في العصر المملوكي سنة(919هـ- 1513م)، توفي بسببها سبعون ألف شخص في مدينة دمشق ، وعدد كبير من الأطفال في مدينة القدس ([1]).

ومن خلال ما أوردناه سالفاً تبين أن مدينة دمشق كانت من أكثر المدن الشامية تضرراً من ناحية أعداد الوفيات بالطاعون، ويبدو أن مدينة حلب جاءت في المرتبة الثانية، ففي طاعون سنة(787هـ- 1385م) كان كل يوم يموت حوالي ألف شخص من سكانها ، ولم تسعفنا المصادر التاريخية بالإحصائية الكاملة لعدد الوفيات فيها ([2])، وعندما تكرر تفشيه في سنة(825هـ - 1422م) توفي ما يقارب من سبعين ألفاً، حتى أن قلعتها أخليت من الناس ([3])، وكانت فئة الشباب أكثرها وفاةً حتى أطلقوا عليه "طاعون الشباب"([4])، وفي طاعون سنة (863هـ- 1459م) توفي بها وبضواحيها أكثر أكثر من مائتي ألف إنسان ([5])، ويبدو أن ذلك قد أثر النمو السكاني للمدينة، احتاجت على أثره زمناً طويلاً لاستعادة توازنها السكاني.

سادساً ــ دور العامة في مكافحة الكوارث الطبيعية:

أبدى السكان في المدن والقرى الشامية اهتماماً كبيراً إلى جانب الدولة في إعمار ما خلفته الكوارث الطبيعة، ففي سنة (863هـ- 1458م) عندما هزت الزلزلة مدينة القدس وهدمت منارة أحد مساجدها، سارع أهل المدينة لاحضار ما لديهم من الأموال، ومواد البناء للعمل على إعادة بناء

([1]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 250/3؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**،307/2.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 158/3؛ ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، 188/2؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 273/1.

([3]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 471/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 122/4؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 245/9.

([4]) الحلبي، محمد، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 22/3.

([5]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 105/16؛ ابن عبد الباسط خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 63/6؛ الحلبي، محمد، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، 57/3.

المنارة، وبقوا يعملون ليلاً ونهاراً بكل ما لديهم من طاقات حتى أعادوا بناءها في خلال أيام بأفضل ما كانت عليه في السابق ([1])، وعندما تشكل السيل بمدينة دمشق سنة(683هـ - 1284م) وطُمت الأنهـار والطرقات، سارع أبناء المدينة إلى تنظيف شوارعها، وإزالة العوارض من الأنهار حتى جرت الميـاه فيها([2])، وعندما تساقطت الأمطار الغزيرة على مدينة دمشق سنة(731هـ- 1331م) انقطعت الطـرق فيها، فرسم العامة لنائب السلطنة الأمير" تنكز" إمكانية المساعدة في تسوية الطرقات المتضـررة مـن الأمطار، وحضر نفر من الفلاحين من القرى والضياع القريبة إلى المدينة بدوابهم وعبيدهم، بعـد أن جمعوا الحطب اللازم لتسوية الطرقات وبناء الجسور، وظلوا يعملون مدة أربعة أيام حتى انتهوا مـن ذلك، وقدر عددهم بحوالي خمسة آلاف نفر ([3]).

وعلى أثر تساقط الثلوج في المناطق الشمالية لبلاد الشام سنة(716هـ- 1316م)، تراكمـت الثلوج، وأُغلقت الطرقات التي تربط بين البلدان هناك، فاندفعت حشود كبيرة من أبناء حمص، وحلب وحارم، وبعلبك بكل ما لديهم من عتاد للعمل على فتحها، وتسهيل حركة السفر والنقل، وقد أخذ ذلـك منهم عدة أيام ([4])، وفي وقت تراكمت فيه الثلوج على أسـطح المنـازل واغلقـت الطرقـات فـي سنة(745هـ- 1345م)، عمد العامة في مدينة دمشق إلى تقديم يد العون والمساعدة في ازالتها ووصلت كلفة ذلك ثمانين ألف درهم ([5])، ويبدو أن مثل هذه الكوارث تركت آثارا إيجابية في فقـراء المدينـة بحصولهم على النقود من خلال عملهم في إزالته.

([1]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 721/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل فـي ذيـل الدول**، 48/6؛ العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 102/2.

([2]) النويري،أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ المنصوري، بيبرس، **التحفة المملوكية فـي الدولـة التركيـة**، 110 الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 12/5؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

([3]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 467/2.

([4]) النويري، محمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 178/32؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 515/2.

([5]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 297/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 421/3.

وعندما شب الحريق في قبة الصخرة سنة (851هـ-1447م)؛ بسبب الصاعقة التي ضربت المدينة في تلك السنة، سارع أهالي المدينة لإحضار المياه، واستطاعوا خلال فترة وجيزة من إطفاء الحريق، وإنقاذ كثير من محتوياتها ([1])، وكان للعامة دور في صد أسراب الجراد، ففي سنة(748هـ-1347م) عندما هاجمت أسراب الجراد مدينة حلب، اشتركت العامة مع الجند في التخلص منه، وقدر عدد الذين اشتركوا في قتله ودفنه أربعة آلاف ([2])، ويقول ابن الوردي في ذلك: " فخرج عسكر من حلب، وخلق من فلاحي النواحي الحلبية نحو أربعة آلاف نفس لقتله، ودفنه، وأضاف في ذلك شعراً قال فيه: **(مجزوء الرمل)**

قصد الشام جرادٌ   سن للغلات سنّا

فتصالحنا عليه   وحفرنا ودفنا ([3])

على أننا في هذا المقام نخلص إلى النتائج الآتية:

1- إن انعدام الأقوات، والغلال، وارتفاع الأسعار؛ بسبب الكوارث الطبيعية، أدى إلى نزوح السكان عن أوطانهم، وهذا بدوره انعكس على تفكك المجتمعات، وغياب التكافل الاجتماعي.

2- أدى كل من الفقر والجوع الناتجين عن الكوارث الطبيعية، إلى انعدام القيم الأخلاقية لبعض فئات المجتمع الشامي، كشيوع القتل، والسرقة، والتسول، وأكل اللحوم المحرمة كالكلاب، والقطط، والميتة وأكل لحوم أبنائهم.

([1]) العليمي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 170/2؛ العارف، عارف، **قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس**، 191.

([2]) ابن الوردي، عمر،**تاريخ ابن الوردي**، **493/2**؛ العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 308/4 الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، **184/3**؛ حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي**، مجلة المنارة، مج14، ع2، 1997م، 292.

([3])ابن الوردي، عمر،**تاريخ ابن الوردي**،493/2.

3- كان للكوارث الطبيعية أثر في غياب وانعدام مظاهر البهجة والسرور فـــي الاحتفـــالات العامـــة والمناسبات الدينية أحياناً، إذ استبدلت بمظاهر الحزن والأسى، ويبدو أن ذلك أثر في حالة السكان من ناحية نفسية.

4- أدى ارتفاع نسبة البطالة بين السكان بسبب الكوارث الطبيعية، إلى ازدياد أعداد المتســولين فـــي داخل المجتمع الشامي.

5 ــ إن هجرة الشاميين إلى الشمال أو العكس ؛ بسبب الكوارث الطبيعية، كان يؤثر في الأوضـــاع الاقتصادية والسكانية للمنطقتين، سواء التي تم النزوح منها أو إليها .

6ــ تميزت بعض الطواعين بسقوط الوفيات في صفوف الأطفال بأعداد كبيـــرة؛ ممـــا تســـبب فـــي شيخوخة المجتمع الشامي.

الفصل الخامس

آثار الكوارث الطبيعية في الناحية الدينية، والعمرانية

الفصل الخامس

آثار الكوارث الطبيعية في الناحية الدينية، والعمرانية:

أولاً: آثار الكوارث الطبيعية في الناحية الدينية:

كان لحدوث الكوارث الطبيعية آثارٌ بالغة في بلاد الشام في الناحية الدينية في نواحٍ متعددة،أهمها:

1ـ تعطيل الصلوات والعبادات في المساجد:

أدى تساقط الأمطار الغزيرة أحياناً إلى تعطيل العبادات والصلوات في المساجد، فعندما تساقطت الأمطار الغزيرة على دمشق في آخر شهر رمضان سنة (708هـ- 1308م)، ظهر الوحل في كل مكان، مما عطل صلاة العيد في المساجد، لعدم خروج الناس إليها، وصلى نائب السلطنة "أقوش الأفرم"([1]) بدار السعادة ([2])؛ لعدم تمكنه من الوصول إلى المسجد الأموي، ورغم ذلك فإن تساقطه ترك آثاراً إيجابية على انخفاض الأسعار؛ التي ارتفعت من قبل بسبب القحط والجفاف من ناحية، وبسبب شهر رمضان والعيد من ناحية أخرى([3])، وفي سنة (713هـ- 1313م) منع تساقط الأمطار الناس من أداء صلاة عيد الفطر في دمشق، وأشار الأمراء على نائب السلطنة الأمير" تنكز" إلى حمل المنبر من الجامع الأموي، وإقامة خطبة وصلاة العيد بدار السعادة([4])، وفي سنة (743هـ-1342م)، لم يُصلِ غالبية الناس في مدينة دمشق صلاة عيد الفطر في المساجد، وصلى نائب السلطنة "طُقُز الحموي"([5])

([1]) أقوش الأفرم: هو جمال الدين أقوش الأفرم ، تولى نيابة السلطنة في دمشق سنة (698هـ- 1298م)، وعزل عنها في سنة (709هـ- 1309م)، للمزيد ينظر، الصفدي، خليل، **أمراء دمشق في الإسلام**،30.

([2]) دار السعادة: دار تقع في مدينة دمشق غربي سوق الحميدية، وهي في الأصل دار كانت للملك الأمجد الأيوبي صاحب بعلبك، ثم أصبحت مقراً لنواب السلطنة في العهد المملوكي، وانتقل هذا الاسم من دمشق إلى القاهرة، وحمص وحماة، وحلب،للمزيد ينظر، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 106/1؛ دهمان، أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، 72.

([3]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 121/14.

([4]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 116/4؛ **الوفيات**، 225.

([5]) طُقُز الحموي:هو طُقُز دَمِرالحموي، ولي السلطنة في دمشق في سنة (743هـ- 1343م)،وبقي فيها حتى وفاته سنة(746هـ- 1345م)،للمزيد ينظر، انظر،الصفدي،خليل،**أمراء دمشق في الإسلام**،؛67 دهمان ،محمد، **ولاة دمشق في عهد المماليك**،168.

والأمراء والقضاة بدار السعادة؛ لعدم تمكنهم من ــ شدة الوحل ــ الوصول إلى الجامع الأمــوي ([1]) وفي ذلك قال ابن قاضي([2]) شهبة: " لم يتمكن الناس من الخروج إلى المصلى، بل ولم يذهب كثير من الناس إلى الجامع؛ لكثرة الطين "، وتعطلت صلاة الجمعة فــي المســاجد بدمشــق ســنة (896هـ - 1491م)؛ بسبب الأمطار أيضاً ([3])، ويقول ابن([4])طولون: " كان يوماً ذا وحل شديد بسبب الأمطــار الغزيرة، وبذلك فإن غالب العوام لم يُصلّوا الجمعة".

وفي سنة (746هـ- 1345م)، أدى تراكم الثلوج في شوارع مدينة دمشق إلى تعطيل صــلاة عيد الفطر في المساجد، ولم يتمكن الخطيب من الوصول إلى الجامع الأموي، فخطب وصلى بالأمراء والقضاة وبعض الناس بدار السعادة، وصلى الغالبية في بيوتهم ([5]).

وعلى أثر تفشي الطاعون سنة (749هـ - 1348م)، توفي عددٌ كبيرٌ من الخطباء والمؤذنين، مما أدى إلى إغلاق كثير من المساجد، وبعد أن كان الآذان يرفع في عشرات المساجد أصبح مقتصراً على مسجد واحد ([6]).

2ــ تعطيل فريضة الحج:

أدى حدوث بعض الكوارث الطبيعية إلى ترك آثار سلبية في قافلة الحاج الشامي، ففــي ســنة (777هـ - 1375م) جرف السيل الذي تشكل في منطقة خليص ([7])، معظم متاع الحجــاج الشــاميين وتوفي عددٌ كبيرٌ منهم غرقاً ([8]).

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 313/1.
([2]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 313/1.
([3]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**، 113/1.
([4]) **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**، 113/1.
([5]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 297/14.
([6]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 88/4.
([7])خليص: حصن بين مكة والمدينة الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 387/2.
([8]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 478/2؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمــر**، 157/1 السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 214/1؛ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 107/2.

وكان لتساقط الأمطار الغزيرة في سنوات (746هـ - 1345م) ([1])، و(753هـ - 1353م) دورٌ في تعطل قافلة الحاج الشامي، ومنعها من الوصول إلى الديار الحجازية ([2])، ويذكر ابن الفرات، أن البرد الشديد والأمطار الغزيرة التي سقطت سنة(791هـ ــ 1389م) على منطقة العقبة تسببا بمرض ووفاة عدد كبير من الحجاج، وقال: " حصل لنا ونحن بمنزلة عقبة إيلياء بطريق الحجاز الشريف مطر عظيم، بحيث أنه منع الحجاج من الرحيل والتصرف في سائر الأعمال، ولم يستطع أحدهم أن يخرج من خيمته، ....وأقمنا ثلاثة أيام بلياليها لا نرى شمساً ولا قمراً من شدة الغيم،......،وحصل للناس برد شديد، وحصل للركاب، والمشاة، والجمال، بسبب ذلك ألم عظيم، وضعف بعضهم عن الحركة لشدة المرض" ([3]).

وقد أدى تساقط الثلوج إلى الإضرار بالحجاج من نواحٍ مختلفة، ففي سنة (881هـ - 1476م) أدى تساقطها إلى وفاة العديد من الحجاج، ونفوق معظم دوابهم، وأُجبر معظمهم على الإقامة بخان ذي النون حتى عشرين شوال/التاسع من نيسان، وهذا يعني أن الوقت أدركهم، فرجعوا إلى البلاد دون أن يؤدوا فريضة الحج في تلك السنة ([4])، وفي سنة (918هـ - 1512م) أدى الجليد الناتج عن تساقط الثلوج، إلى تعطيل مسير قافلة الحاج الشامي ([5])، وفي سنة (692هـ - 1293م)، تسبب تساقط البرد الكثيف في وفاة مائة حاج شامي في منطقة زيزياء ([6]).

وكان لهبوب الرياح الشديدة دور في تعطيل فريضة الحج، ففي سنة (692هـ - 1293م) عندما هبت الريح العاصفة على الحجاج الشاميين في منطقة معان، توفي منهم جماعة، وحملت من

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 451/1.

([2]) **نفسه**، 33/2.

([3]) **تاريخ ابن الفرات**،م9،ج،49.

([4]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 79.

([5]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**، 303/1؛ حجة، شوكت، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن (من جنوب الشام) في عصر دول المماليك الثانية**،263.

([6]) ابن كثير،اسماعيل،**البداية والنهاية**،51/14.

جمالهم أعداداً كثيرة، وأدت إلى تطاير العمائم عن رؤوسهم، مما ترك آثاراً نفسية في أوضاعهم بحيث لم يعِ بعضهم لبعض ([1])، وقال ابن([2]) كثير: " لقد نال الحج الشامي في هذه السنة في معـــان ريحـــاً شديداً جداً مات بسببها جماعة ... واشتغل كل أحد بنفسه"، وفي أثناء عودة الحجاج الشاميين من بلاد الحجاز إلى البلاد الشامية سنة (777هـ - 1375م)، هبت عليهم في الطريق ريح عاصفة، أدت إلـــى تطاير الغلال، وأعلاف الجمال التي معهم، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الغلال، فبيعت الغـــرارة مـــن الشعير بمائة درهم، بعد أن كانت تباع بأقل من ذلك من قبل([3]).

وغالباً كانت قلة المياه وموجات الحر الشديد الناجمة عن الجفاف، تؤدي إلى تعطيل قافلة الحاج الشامي، ففي سنة (698هـ - 1298م) اشتد الحر على الحجاج الشاميين وهم في طريقهم إلـــى الـــبلاد الحجازية، فتوفي عدد منهم، ونفقت بعض دوابهم من شدة العطش، والتعب([4])، وتسببت موجة الحـــر الشديدة التي تعرضت لها قافلة الحاج الشامي سنة (745هـ - 1345م) وهي في طريق عودتهـــا إلـــى وفاة ألفي حاج توفي غالبيتهم من شدة العطش، ونفق عدد كبير من دوابهم، مما أخر وصول القافلة عن موعدها ما يقارب الشهر، وتناقصت كمية الغلال والأعلاف التي معهم، فارتفعت أسعارها، فبيع كـــل كيل ([5]) شعير بأكثر من خمسين درهماً، بعد أن كان يباع أقل من ذلك، ومن شدة الجوع أكلوا لحـــوم الجمال الميتة ([6])، ويبدو أن هذا أدى إلى تناقص أعداد الحجاج الشاميين في السنوات اللاحقة؛ لعـــدم

([1]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 200/2.

([2])ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 412/14؛ ابن قاضـــي شـــهبة، أبـــو بكـــر، **تـــاريخ ابـــن قاضـــي شـــهبة** 200/2؛البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 314/2.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 478/2؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمـــر**، 157/1 السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 214/1؛ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 107/2.

([4]) اليونيني، موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 213/1.

([5]) الكيل: يبلغ الكيل ستة أرطال،ووزنه ستمائة درهم، ،ابن فضل الله العمري،احمد،**دولة المماليك الأولى**،81؛المقريزي **الأولى**،81؛المقريزي أحمد، **الأوزان والأكيال الشرعية**، 80.

([6]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،406/1.

خروجهم تخوفاً من مثل هذه الحادثة، وتكرر ذلك في سنة (764هـ - 1362م) إذ تعرض الحجاج الشاميون أثناء عودتهم لموجة حر شديدة، توفي على أثرها عدد منهم من شدة العطش([1]).

وتسببت موجة القحط والجفاف سنة (777هـ-1375م) إلى تناقص المياه، مما أدى إلى وفاة عدد من الحجاج الشاميين، ونفوق كثير من جمالهم من شدة العطش، وهذا بدوره أبطأ من حركتهم في المسير، فلم يبقَ معهم من التموين، وأعلاف الحيوانات إلا القليل فارتفعت أسعارها، وحدثت مجاعة شديدة في صفوفهم، لم يسلم منها إلا من رحم الله([2])، وعلى أثر موجة القحط التي اجتاحت بلاد الشام في سنة (800هـ-1398م) توفي ألفا حاج شامي من شدة العطش([3])، وفي سنة (833هـ-1429م) أدت موجة الحر الشديد إلى نفاد الماء من الحجاج الشاميين وهم ذاهبون، فتوفي عدد كبير منهم، ونفقت جمالهم من شدة العطش([4])، وفي سنة (834هـ-1430م) أثناء عودة الحجاج الشاميين اشتد اشتد الحر عليهم فتوفي منهم نحو ثلاثة آلاف حاج، ونفقت معظم جمالهم ودوابهم([5])، ويذكر ابن حجر حجر العسقلاني([6]) أن قافلة الحاج الشامي سنة (802هـ-1399م) أصابها وباء شديد في الطريق، فتوفي على أثره عدد كبير من الحجاج.

3 ــ توجه الناس نحو العبادات والتوبة وعمل الخير:

ترك حدوث الكوارث الطبيعية آثاراً في نفسية سكان بلاد الشام مما دفعهم إلى التقرب لله ــ سبحانه وتعالى ــ بالدعاء، والصلاة، والصوم، وإعلان التوبة، وفعل الخيرات([7])، ففي زلزلة سنة (702هـ -

---

([1])ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 218/2.

([2]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 161.

([3]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 259/1، 260؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 407/5، ابن قاضي شهبة أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 6487/3؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 492.

([4]) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 135/2.

([5]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 514/2.

([6]) **أنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ**، 98/4.

([7]) العمادي، حامد (ت1171هـ - 1757م) **رسالة الحوقلة في الزلزلة**، مخطوط ضمن مجموعة بيرتسون، ويوجد نسخة مصورة عنه في الجامعة الأردنية تحت رقم 2085، ورقة رقم 77.

1702م)، خرج غالبية الشاميين إلى الصحاري معتبرين ذلك عقاباً من الله ــ سبحانه وتعالى ــ على فسادهم متضرعين إليه رفع البلاء عنهم ([1])، ويقول العيني([2]): "وقنتوا في صبح الجمعة وفي ليلتها وفي سائر الجوامع والمساجد، وأقاموا ليلتهم ويومهم إلى حين صلاة الجمعة، واقفين يبتهلون إلى الله تعالى متذرعون" ، وفي زلزلة سنة (744هـ - 1343م)، خرج معظم سكان دمشق إلى الصحاري متوجهين إلى الله تائبين داعين ([3])، وخرج أهل حلب إلى ظاهرها، كاشفين عن رؤوسهم، رافعين المصاحف، مبتهلين إلى الله بالدعاء، وأقاموا على ذلك أياماً([4]).

وكان لانحباس الأمطار آثارٌ واضحة في أوضاع السكان ومعيشتهم، مما دفعهم إلى اللجوء إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ متقربين إليه بالصلاة، والصيام، والدعاء، وإعلان التوبة، ففي سنة (659هـ - 1260م) اجتمع شيوخ الدين والعلماء تحت قبة النسر بالجامع الأموي بدمشق، وقرأوا صحيح البخاري وتذرعوا لله بالدعاء، وصلوا صلاة الاستسقاء ([5])، فأمطرت السماء بعد عدة أيام مطراً غزيراً، وأعقبه وأعقبه تساقط ثلج كثيف، وهذا بدوره أسّر الناس؛ بسبب آثاره الإيجابية عليهم، من ناحية انخفاض أسعار الغلال والأعلاف ([6]).

وعندما انحبست الأمطار سنة (680هـ - 1282م)، خرج معظم سكان مدينة دمشق ،ومعهم نائب السلطنة حسام الدين لاجين([7]) إلى الصحراء؛ لأداء صلاة الاستسقاء، والدعاء لله تعالى أن

([1]) العيني، محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 263/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 365/2.

([2]) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 264/4.

([3])السيوطي،عبد الرحمن، **كشف الزلزلة عن وصف الزلزلة**،205؛العجلوني،إسماعيل،**تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 109. .109

([4]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/2.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 268/2.

([6]) **نفسه**، 268/2.

([7])حسام الدين لاجين:ولي نيابة السلطنة بدمشق من سنة(679هـ - 1280م) وحتى سنة (690هـ - 1290م) ، للمزيد ينظر،الصفدي خليل ،**أمراء دمشق في الإسلام**،92؛دهمان ،محمد،**ولاة دمشق في عهد المماليك**،70

يغيثهم([1])، وفي سنة (691هـ-1691م) وللسبب نفسه، استغل سكان مدينة دمشق يوم الجمعة في الجامع الأموي، وقاموا بأداء صلاة الاستسقاء، والإكثار من الدعاء عقب صلاة الجمعة، وخرج غالبية السكان إلى الصحراء يوم الاثنين، وأقاموا عند مسجد القِدم ([2]) ليالي وهم يبكون ويتذرعون لله بالدعاء وأكثروا من صلاة الاستسقاء، وأقامت جماعة منهم في مغارة الدم ([3]) يبكون ويتذرعون، فما رجعوا من هناك حتى سقاهم الله ونزل الغيث، مما كان له أثر كبير على انشراح صدور الناس وبهجتهم، مكثرين مـــن الحمد والشكر، وأداء العبادات ([4])، ولما تأخر سقوط الأمطار عن موعدها ســـنة (694هـ - 1294م) خرج سكان دمشق مشاة، حتى وصلوا مسجد القدم، وقاموا هناك مبتهلين لله بالبكاء والدعاء وأقـــاموا صلاة الاستسقاء ([5]).

وفي سنة (695هـ - 1295م) عندما جفت المياه من العيون والأنهار؛ بسبب انحباس الأمطار اجتمع سكان مدينة دمشق في المسجد الأموي، وأقاموا صلاة الاستسقاء، وقرؤوا صحيح البخاري لعدة مرات ([6])، فأمطرت عليهم خمسة أيام متتالية، وتساقطت الثلوج الكثيفة، وهذا بدوره أدى إلى انخفاض انخفاض الأسعار ([7])، وقال ابن([8]) الجزري: "وحصل بدمشق مطر كثير... وحصل بسببه رخص في في أمر الغلة وانحط السعر من مائتي درهم إلى مائة درهم، وغرارة الشعير إلى أربعين درهماً" ، وفي

([1]) الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 61/4.

([2]) مسجد القدم: مسجد يقع على طرف مدينة دمشق الجنوبي، ويعرف أيضاً بجامع العدم، وقريب من مغارة الأربعـــين القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق**، 277؛ الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 287/2.

([3])مغارة الدم:مغارة تقع في الجهة القبلية من دمشق،وسميت بهذا الاسم لصخرة فيها عليها خط أحمر بلون الـــدم،وتعود قدســـيتها لأسطورة أن قابيل قتل هابيل هناك فبكى الجبل الذي فيه، وتسمى مغارة الأربعين؛ لأن فوقها مسجداً فيه أربعون محراباً، للمزيـــد ينظر،ابن طولون،محمد،**القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**،47/1، 48؛لابيش،أحمد وزميله،**معالم دمشق التاريخية**، 496.

([4]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 273/2، 274.

([5]) **نفسه**، 390/2.

([6]) النويري، محمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 186/31؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 288/1؛ ابـــن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 210/8 211.

([7]) ابن الفرات، أحمد، **تاريخ ابن الفرات**، 211/8.

([8]) **تاريخ ابن الجزري**، 282/1.

سنة (719هـ - 1319م) لم تسقط الأمطار حتى شهر نيسان، فنودي بالناس في مدينة دمشق لأداء صلاة الاستسقاء وقرؤوا صحيح البخاري بالجامع الأموي لمدة سبعة أيام متواصلة، وأكثروا من الدعاء عقب الصلوات ورغم ذلك لم يسقط المطر، فدفعهم ذلك للخروج نحو الصحراء، ومعهم نائب السلطنة الأمير" تنكز" والأمراء، والأكابر، مُشاةً على الأقدام، فصلوا صلاة الاستسقاء بمسجد القدم وخطب الخطباء، وأكثروا من الدعاء والتضرع لله تعالى([1])، فسقطت الأمطار بعد يومين بشكل غزير جداً، وأعقبتها تساقط ثلوج كثيفة، وهذا بدوره انعكس على نفسية سكان دمشق، ففرحوا فرحاً شديداً، وأكثروا من الحمد والشكر لله على هذه النعمة([2])، وعلى أثر ارتفاع الأسعار في مدينة دمشق؛ بسبب الجفاف الناتج عن انحباس الأمطار سنة(754هـ- 1353م)، أقدم سكان المدينة على الإكثار من صلاة الاستسقاء([3]).

وفي سنة (782هـ - 1380م) عندما انحبست الأمطار، أثرت في ارتفاع الأسعار، فنودي بالناس في دمشق والقدس للصيام، والإكثار من صلاة الاستسقاء والدعاء، وبقوا على ذلك أياماً حتى سقوا ([4])، وفي سنة (799هـ - 1396م) عندما انحبست الأمطار لجأ الناس في دمشق، وحلب وحماة، وحمص، وبعلبك إلى المساجد باكين لله عز وجل، ليرفع عنهم هذا البلاء، وأقدموا على الصيام ثلاثة أيام متتالية، ومُنع الطباخون من طبخ الأطعمة، وصاروا ينكرون على من أفطر إنكاراً شديداً ولم يتجرأ أحد على الإجهار بالإفطار، وأصبحت وكأنها أيام من رمضان ([5])، ويبدو أن هذا ترك آثاراً آثاراً بالغة في شعور الناس بالذنب، وترك المعاصي وإعلان التوبة لله، والإكثار من العبادات والشكر

([1]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 228/32؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 169/14؛ الكتبي محمد، **فوات الوفيات والذيل عليها**، 82/2؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 3/ 15؛ البرزالي، القاسم **تاريخ البرزالي**، 354/4.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 15/3.

([3]) **نفسه**، 186/4.

([4]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 39/3؛ ؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأنباء العمر** ، 2/ 15.

([5])ابن صصرى،محمد،**الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 206؛ابن قاضي شهبة،أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،611/3.

لله تعالى، وفي سنة (920هـ - 1514م) عندما انحبست الأمطار عن بلاد الشام وتأخر تساقطها حتى شهر نيسان استسقى الناس بدمشق، فأغاثهم الله بالمطر بعد انقطاعه نحو شهرين ([1]).

وكان من آثار تفشي الطواعين عزوف الناس عن المعاصي والذنوب، وزهدهم وإقبالهم على فعل أعمال الخير، والإكثار من العبادات والدعاء، ففي سنة (749هـ - 1348م)، عندما تفشى الطاعون بعامة الشام أكثر الناس من الابتهال، والتضرع، والتوبة، والاستغفار، وتلاوة القرآن والحديث النبوي مجتمعين وفرادى، وهم في خشوع وخضوع ([2])، وفي أثناء ذلك قدم رجل إلى مدينة دمشق من جبال الروم، وأخبر الناس أنه لما وقع الوباء ببلاد الروم، رأى في نومه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لهم : " إقرؤوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله رفع ما أنتم فيه " ([3]).

وقد ترتب على ذلك، أن أقبل الناس على المساجد بشكل كبير، يتلون سورة نوح أياماً وليالي ويبتهلون ويتضرعون لله بالدعاء([4])؛ وإضافة إلى ذلك وصل كتاب من نائب حلب يبلغ فيه أهل دمشق أن أحد الصالحين رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نومه، فشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتوبة، وان يَدعوا: "اللهم سكن هيبة صدمة قَهرمان الحروب بألطافك النازلة، الواردة من فيضان الملكوت، حتى تتشبث بأذيال لطفك، ونعتصم بك عن إنزال قَهركَ يا ذا القوة والعظَمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام" ([5])، فأكثر الناس من ترديد هذا الدعاء، وتضرعوا طلباً للتوبة، وأقبلوا على المساجد، واجتمعوا في المسجد الأموي ثلاثة أيام متواصلة

([1]) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى**، 220.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 85/4؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة** 545/1؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 34\/1.

([3]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 161/10.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 87/4؛ ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 161/10.

([5]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 162/10.

وهم صائمون يتلون القرآن، وقرؤوا صحيح البخاري ثلاث مرات، وكشفوا عن رؤوسهم وضجوا بالدعاء وما زالوا على ذلك حتى ذهب الوباء عنهم ([1])، فحمدوا الله، وذبحوا الأبقار والأغنام ووزعوها على الفقراء مدة سبعة أيام ([2]).

وعندما زاد تفشي الطاعون عن حده ببلاد الشام سنة (820هـ - 1417م)، نودي بالناس للصيام ثلاثة أيام، وخرجوا إلى الصحراء يرافقهم الفقهاء، والعلماء، مبتهلين لله بالدعاء ([3])، وعلى أثر ارتفاع عدد الوفيات بالطاعون في مدينة دمشق سنة (897هـ - 1492م)، اجتمع كثير من الأمراء والعلماء، والشيوخ، وطلبة العلم، والفقراء بالجامع الأموي، داعين الله رفع البلاء عنهم، وقرؤوا صحيح البخاري مرتين، وقرؤوا القرآن كاملاً لعدة مرات([4]).

وعندما تفشى السعال والزكام في مدينة دمشق سنة (916هـ - 1510م)، توفي عدد كبير من الأطفال واجتمع غالبية سكان المدينة في المساجد، مبتهلين لله بالدعاء طمعاً في شفاء أبنائهم ([5])، وكان من بينهم المؤرخ ابن الحمصي، الذي خطب بالجامع الأموي خطبة، قال:"وخَطبتُ في الجامع الأموي خطبة ذكرتُ فيها السعال والزكام، وما ورد من الأحاديث في ذلك"([6]).

ونود إيراد ما سبق على النحو الأتي:

1.كان لوفاة بعض الحجاج، ونفوق بعض دوابهم، ورجوعهم في بعض السنوات دون أداء الفريضة بسبب الكوارث الطبيعية دور في تخوف الأهالي من أداء فريضة الحج على المدى القريب والبعيد.

2. يُعد انحباس الأمطار من أكثر الكوارث الطبيعية تأثيراً في إقلاع بعض الناس عن ارتكاب المحرمات، وإقبالهم على الله بالتوبة، والدعاء والإكثار من العبادات، وحمد الله وشكره.

([1]) ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،545/1؛ابن حجر العسقلاني،أحمد،**بذل الطاعون في فضل الطاعون**، 381.

([2])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، /86؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **بذل الماعون في فضل الطاعون**، 381.

([3]) الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان**، 455/2.

([4]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 335/1.

([5]) **نفسه**، 206/3.

([6]) **نفسه**، 206/3.

4 ـ هدم المنشآت الدينية:

تركت الكوارث الطبيعية آثاراً مدمرة في تهدم المنشآت الدينية والعلمية، ومن خلال استعراض المصادر التاريخية المعروفة، يمكننا استعراض أهم المنشآت التي تعرضت للتدمير:

أ ـ هدم المساجد والمآذن والقباب:

كان للزلازل دور كبير في هدم وتدمير المنشآت الدينية والعلمية، من مساجد وكنائس ومدارس، ففي زلزلة سنة (692هـ - 1293م) هُدمت منارة الجامع الأموي ([1])، وفي زلزلة سنة (702هـ - 1303م) تشقق أحد جدران الجامع الأموي ([2])، وتسببت زلزلة سنة (863هـ - 1458م) في هدم منارة أحد المساجد في مدينة القدس ([3]).

وكان لتشكل السيول أثر واضح في تهدم المنشآت الدينية، خاصة المساجد، ففي سنة (669هـ - 1269م) هدم السيل الذي تشكل في دمشق مسجد الكنيسة ([4])، ولم يبق من بنائه إلا القليل ([5])، ولما تشكل السيل بمدينة بعلبك سنة (717هـ - 1317م) هدم ثلاثة عشر مسجداً ، ومن شدة اندفاعه دخلت المياه إلى المسجد الجامع فتهدم الجدار الغربي منه، وأتلف ما فيه من المصاحف وكتب العلوم والحديث([6])، ويبدو أن هذا ترك آثاراً في تعطيل الصلوات في المساجد التي تهدمت، وكذلك عطلت

([1]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 31/8؛ عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 214.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 364/2.

([3]) السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 721/2؛ ابن عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 48/6؛ الحنبلي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 102/2.

([4]) مسجد الكنيسة: مسجد يقع خارج باب توما على نهر المجدول، النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس** 344/2؛ طلس، أسعد، **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، 42.

([5]) النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، 264/2.

([6]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 473/1؛ الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من من ولي مصر من الملوك**، 244؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 628/2.

الأوقاف التابعة لها؛ لإتلاف ما حولها من زروع، وأشجار، وعمران ([1])، وفي سنة (728هـ - 1328م)، هدم السيل في عجلون بعض قباب المساجد ([2]) والرواق القبلي من مسجد الجامع وبابه الشرقي،ورُدم داخله بالطين والأخشاب ،وارتفع الماء بداخله حتى وصل القناديل المعلقة، وأتلف ما فيه من المصاحف والكتب ([3]).

وكان لفيضان الأنهار دور في تهدم بعض المنشآت الدينية، ففي سنة(774هـ-1372م) أدى فيضان نهر بردى إلى هدم بعض أجزاء جامع يلبغا، وأتلف ما فيه من المصاحف والكتب([4]).

وكان لهبوب الريح العاصفة أثر في تهدم المنشآت الدينية، ففي سنة (759هـ - 1357م) تسببت الريح العاصفة إلى سقوط بعض مآذن المساجد([5])، وفي سنة (783هـ - 1381م) اقتلعت الريح بعض ألواح الرصاص الملصوقة على قبة النسر بالجامع الأموي ([6])، وأدى هبوبها في سنة (841هـ - 1438م) إلى هدم أعالي المنارة الشرقية بجامع بني أمية([7])، وفي سنة (917هـ - 1511م) أدت الريح العاصفة إلى سقوط المصحف النحاسي الكبير المتواجد فوق المشبك برأس العمود الغربي للجامع الأموي، وقد بني هذا في سنة (441هـ - 1049م)؛ بقصد التنوير لليالي الجمع في شهر رمضان([8]) وفي أثناء هبوب الريح العاصفة على مدينة طرابلس سنة (740هـ - 1339م)، سقط نجم على الأرض

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 473/1؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 628/2.

([2]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 275/1.

([3]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 274/1؛ ابن حبيب، الحسن **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** 190/2 ؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 479.

([4]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 413/2.

([5]) **نفسه**، 129/2.

([6]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 56/3؛ ابن العراقي، أحمد، **الذيل على العبر في خبر من غبر**506/2؛ السخاوي، محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 254/1.

([7])ابن الصيرفي،علي،**نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 402/3؛ ابن عبد الباسط،خليل،**نيل الأمل في ذيل الدول**، 22/5. 22/5.

([8]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 285/1.

فأحرق قبة لأحد المساجد في قرية الفيحة ([1]) بشكل كامل([2])، ويقول الذهبي في ذلك:"ونزت من السماء نار بقرية الفيحة من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها"([3]) وفي سنة (844هـ- 1441م) هدمت الريح في طرابلس عدداً من مآذن المساجد ([4]).

وكان لوقوع الصواعق أيضاً آثارٌ مدمرة في بعض المنشآت الدينيــة، ففــي ســنة (676هـ-1277م) أحدثت الصاعقة التي وقعت على صفد شقاً في منارتها من أعلاها إلى أسفلها ([5])، وفي سنة (851هـ - 1447م) تسببت الصاعقة في احتراق الجدار الغربي لقبة الصــخرة، وتضــررت بعــض الملامح الفنية والجمالية فيها ([6]).

ب - هدم الكنائس:

لم تسلم الكنائس من خطر الكوارث الطبيعية، ففي زلزلة سنة (865هـ - 1460م) تهدمت قبة كنيسة مجاورة لكنيسة القيامة في مدينة القدس، كان يجتمع النصارى فيها لقراءة كتاباتهم([7])، وفي سنة (717هـ - 1317م) هدمت الريح العاصفة في حلب كنيسة الربيعة، وحملت معظم حجارتها وألقتها في الأودية المجاورة ([8]).

([1]) الفيحة: قرية بين دمشق والزبداني على مخرج نهر بردى، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ابن طولــون، محمــد **وصف ربوة دمشق**، مجلة المجمع العلمي، بدمشق،مج 2، ع5، 1922م، 152.

([2]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من عبر**، 116/4؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبــرة اليقظــان فــي معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 228/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملــوك**، 282/3؛ ابــن العمــاد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 219/8.

([3])**ذيول العبر في خبر من عبر**، 116/4.

([4])ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 131/5.

([5])ابن كثير،إسماعيل،**البداية والنهاية**، 367/13؛العيني،محمود،**عقد الجمان في حوادث أهل الزمان**، 191/2.

([6])ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 242/5.

([7]) الحنبلي، عبد الرحمن، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 387/2.

([8])ابن حبيب الحسن،**تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**،81/2؛المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 526/2.

ج- هدم المدارس:

تعرضت بعض المدارس في بلاد الشام إلى الهدم والغرق، مما كان له أثر في تعطيل الدرس وإتلاف بعض الكنوز العلمية من الكتب والمخطوطات، ففي سيل سنة(669هـ- 1269م) دخلت المياه في المدرسة المقدمية([1])، والمدرسة الفلكية([2])، وارتفعت فيها حتى خرجت من نوافذها، وأُتلف ما فيها من الكتب، وهذا بدوره أدى إلى تعطيل إلقاء الدروس فيها([3])، وفي سنة(683هـ- 1284م) أتلف السيل السيل الذي تشكل في دمشق جميع ممتلكات المدرسة المقدمية([4]) وتعرضت بعض مدارس مدينة بعلبك إلى الهدم في سيل سنة(717هـ- 1317م)([5])، وأغرق سيل سنة (728هـ- 1328م) مدرستين في عجلون، مما أدى إلى إتلاف الكتب العلمية والدينية([6])، وفي سنة (680هـ- 1281م)هدمت الثلوج

مئذنة مدرسة "الشيخ أبوعمر"([7])، ووقعت على المسجد العتيق في دمشق([8])، وتوفي أحد الأشخاص المتواجدين هناك([1]).

([1]) المدرسة المقدمية: تقع داخل باب الفراديس، أنشئت في العهد الأيوبي سنة (575هـ - 1175م) أيام صلاح الدين على يد واليه على دمشق شمس الدين محمد بن المقدم، للمزيد، ينظر، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 140/1 النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، 456/1.

([2]) المدرسة الفلكية: تقع عند دخلة باب الفراديس أنشئت في العهد الأيوبي سنة(599هـ - 1202م) على يد الأمير فلك الدين سليمان بن شروية بن الملك العادل، للمزايد ينظر، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 49؛ النعيمي، عبد القادر، **الدارس في تاريخ المدارس**، 327/1؛ ابن كنان، محمد، **حدائق الياسمين**، 150/2.

([3]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/30؛ أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 538.

([4]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 718؛ المقريزي أحمد، **السلوك السلوك لمعرفة دول الملوك**،185/2؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 666/7.

([5]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 47/1؛ الصفدي، الحسن، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 244.

([6]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 275/2؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 479/4؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 190/2.

([7])مدرسة "الشيخ أبو عمر": تقع في صالحية دمشق بحارة العمرية إلى الجنوب من جامع الحنابلة، أنشأها الشيخ أبو عمر بن أحمد، بن قدامة، سنة (555هـ- 1160م) ،ابن طولون،محمد،**القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 167/1.

([8]) المسجد العتيق: أحد مساجد ربوة دمشق، ويقع بالقرب من غارة الجوع، للاستزادة، ينظر، ابن طولون، محمد، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، 41/1؛ وصف ربوة دمشق ، مجلة المجمع العلمي بدمشق،مج 2، ع5، 1922م، 148.

ونلاحظ مما سبق:

أن الكوارث الطبيعية لم تميز بين المنشآت الدينية من ناحية التدمير، والهدم، والتخريب فتعرض المنشآت الدينية من مدارس، وكنائس، ومساجد، إلى التدمير،انعكس ذلك على الناحية التعليمية؛ بسبب توقف التدريس في هذه المنشآت.

ثانياً: أثار الكوارث الطبيعية في الناحية العمرانية:

أثرت الكوارث الطبيعية في بلاد الشام على العمران في نواحٍ متعددة ومختلفة، ويمكن إجمال أهمها على النحو التالي:

1- هدم الحصون، والقلاع، والأسوار، والجسور، والبوابات:

كان للزلازل دورٌ كبيرٌ في تدمير المنشات العمرانية، من حصون، وقلاع، وأسوار، وجسور وبوابات، وغيرها، ففي زلزلة سنة(660هـ- 1261م) هدمت معظم أبنية قلعة الكرك([2])، وفي زلزلة سنة (692هـ- 1293م)، إنهار حصن قاقون، وهدمت أجزاء من سور مدينة الرملة وسقطت أماكن كثيرة من قلعة الكرك([3])، وفي زلزلة سنة (702هـ - 1303م)، هُدم جانب كبير من قلعتي صفد، والكرك ([4])، وخُربت أجزاء كبيرة من أسوار حمص وحماة ([5])، وبقيت هذه الزلزلة تراود الناس لمدة أربعين يوماً ([6])، مما دفعهم للخروج إلى المناطق الخالية والصحاري طلباً للامان ([1])

([1])ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 1/14؛ 2البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 535/1.

([2]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 144/2.

([3]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 51/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 240/2؛ ابن تغري بردي يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 31/8؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الزلزلة عن وصف الزلزلة**، 200 العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 104؛ البخيت، محمد، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، 110غوانمة يوسف، **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، 47.

([4]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 39/32؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 364/2 السيوطي، عبد الرحمن، **تاريخ الخلفاء**، 379؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 582/2.

([5]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 389/2؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 360/2 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 364/2.

([6]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 582/2؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الزلزلة عن وصف الزلزلة**، 200.

وفي زلزلة سنة (744هـ - 1343م)، دُمرت بعض الحصون والقلاع في حلب، وعينتاب (2) والرواندان، وبهسنا، وبلاطنس، والمرقب (3)، وقال ابن الوردي في ذلك شعراً:

(البحر الوافر)

طارت لقلع القلاع زلزلة ما خشيت رامياً ولا صائدْ

إذا درى الحصن من رماه بها خرَّ له في أساسه ساجد (4)

وعلى أثرها نزحت أعدادٌ كبيرة من سكان هذه المناطق إلى مناطق أخرى آمنة(5) وقال ابن حبيب: " قنت الناس لأجله في الصلوات، وسكنوا من خوفه الصحاري والفلوات "(6)، وفي زلزلة سنة (768هـ - 1367م) هُدمت أجزاء كبيرة من قلعة صفد، وهلك تحت الردم خلق كثير قدروا بحوالي ألف شخص(7)، ويبدو أن تأثير هذه الزلزلة اقتصر على مدينة صفد دون باقي مناطق الشام،ويقول السخاوي:"وكانت في الشام خفيفة جداً بحيث لم يدركها أكثر الناس هناك "(8).

وفي زلزلة سنة(806هـ- 1404م) هُدمت أجزاء كثيرة من قلعتي المرقب وبلاطنس(9)، وتسببت زلزلة سنة(811هـ- 1409م) في هدم قلاع كثيرة ببلاد الشام،مثل:قلعة حلب التي دُمر أجزاء كثيرة

(1) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 39/32؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الزلزلة عن وصف الزلزلة**، 200.

(2) عينتاب: قلعة تقع بين حلب وأنطاكيا، وهي من أعمال حلب، الحموي ، ياقوت، **معجم البلدان**،174/4.

(3) ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 484/2؛ الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 130/4؛ ابن حبيب الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 58/3؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

(4) **تاريخ ابن الوردي**، 484/2.

(5) ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 204؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

(6) **المنتقى من درة الأسلاك**، 203.

(7)ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**،295/2؛السخاوي،محمد،**وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**،156/1.

(8) **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 156/1.

(9) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،104/6؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**355/4 الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان**، 186/2؛ ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، ق2، 687؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 102/3؛ غوانمة، يوسف، **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، 49.

منها، وقلعة بلاطنس إذ سقطت بكاملها([1])، ودُمرت بلد ثغر بكاس وقلعتيها بشكل كامل، ومات جميع أهلها ولم يَسلم منهم سوى خمسين شخصاً([2])، وفي زلزلة سنة (863هـ - 1458م) هُدمت أجزاء كثيرة كثيرة من قلعة الكرك وسورها، ومات من سكانها تحت الردم نحو مائة شخص ([3])، ويبدو أن هذا ترك آثاراً في نفسية الناس من ناحية الهلع، والخوف، والهروب إلى المناطق النائية، إلى جانب الخسارة المادية لإعادة البناء والتعمير.

وكان للسيول دورٌ كبيرٌ في هدم المنشآت العمرانية، ففي سيل سنة (669هـ - 1269م) هدمت إحدى عشرة ذراعاً من سور مدينة دمشق، وهدم جسر باب السلامة، والفراديس، وتوما([4])، وكسر باب الفراديس([5])، وفي سنة (683هـ- 1284م)هَدم السيل باب الفراديس([6])، وفي بعلبك سنة (717هـ- (717هـ- 1317م)هدم السيل أربعين ذراعاً من سور المدينة ([7])، وقال ابن الوردي:

(البحر الكامل)

سيلٌ طغى في بعلبَك وراعد　　　ولهيبُ نار ثار للتعذيبِ

فلئن تركب ثم مازج سورها　　　فلبعلبك المزج في التركيب ([8])

([1])المقريزي،أحمد،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،214/6؛السيوطي،عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 208.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 214/6؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 208؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 111؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 134/9؛ غوانمة، يوسف، **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، 50.

([3]) السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 209؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 112؛ حجة، شوكت، **التاريخ السياسي لشرق الأردن (من جنوب الأردن) في عصر دولة المماليك الثانية**263.

([4])جسر باب السلامة: أحد جسور مدينة دمشق يقع عند باب السلام، للمزيد ينظر،ابن عساكر،علي،**تاريخ مدينة دمشق**، 84/2.

([5])المنصوري، بيبرس،**مختار الأخبار**، 45؛ النويري،أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 114/3؛البرزالي، القاسم **تاريخ البرزالي**، 233/1؛ أبو الفضائل، المفضل، **النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 573 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 72/2؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 432/1؛ شلبي، محمود، **حياة الملك الظاهر بيبرس**، 309.

([6]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ ابن الفرات، أحمد، **تاريخ ابن الفرات**، 7/8؛ الدويهي أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

([7]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 472/1؛ الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 254/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 157/14؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 80/2؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 193/4؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 628/2.

([8]) ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 80/2.

وفي سنة (728هـ - 1328م) دمر السيل في مدينة عجلون معظم الجسور ([1])، وفي سنة (775هـ - 1373م) هدم السيل أجزاءً كثيرة من ([2]) قلعة البيرة([3]).

وكان لفيضان الأنهار دورٌ كبيرُ في هدم بعض الجسور المقامة عليها ، ففي سنة (764هـ - 1362م) عندما فاض نهر بردى، هدم جسر الزلابية ([4]) وجسر الخشب المتواجد عند ([5]) جامع يلبغا([6])، وعندما وقعت الزيادة في أنهار بلاد الشام سنة (909هـ - 1503م) هدمت معظم الجسور المبنية عليها، فَهُدم الجسر المبني على نهر البقاع، ومعظم الجسور المقامة على نهر صيدا، والجسر المبني على نهر الصفا([7])، والجسر المبني على نهر الكلب، والذي يعرف باسمه وهو بناء قديم([8]) ويُعتقد أن تهدم هذه الجسور أدى إلى تعطيل الحركة التجارية، وتبادل السلع بين نيابات بلاد الشام وإرهاق المسافرين وإعاقة تنقلهم.

2- تخريب الأبراج، والأسواق والحوانيت:

تركت الزلازل والسيول أثاراً واضحة في المنشآت العمرانية، كهدم الأبراج، والأسواق والحوانيت، ففي سنة(660هـ - 1261م) خربت الزلزلة عدداً من أبراج الكرك ([9])، وتسببت

([1]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 274/2؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 478/4.

([2]) ابن العراقي، أحمد، **الذيل على العبر في خبر من غبر**، 369/2.

([3]) قلعة البيرة: قلعة حصينة بين حلب والثغور الرومية، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 526/1.

([4]) جسر الزلابية: أحد جسور مدينة دمشق، يقع فوق نهر بردى، بين سوق التبن ودخلة الفحل، قرب ساحة المرجة من من جهة الشرق، ابن صصرى، محمد، **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**، 29.

([5]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 219/2.

([6]) جامع يلبغا: يقع على شط نهر بردى تحت قلعة دمشق، تم بناؤه في سنة (748هـ - 1347م) للمزيد ينظر، ابن طولون، محمد، **تاريخ الصالحية**، 275/1؛ النعيمي، محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، 326/2، 327؛ ابن كنان عيسى، "**نيابتا دمشق وحلب" من كتاب المواكب الإسلامية**، 15.

([7]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 927/2؛ ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان وحوادث الزمان**، 220/1.

([8]) ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 928/2.

([9]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**، 114/2؛ غوانمة، يوسف، **التاريخ الحضاري لشرق الأردن**، 267.

زلزلة سنة (686هـ - 1287م) في انهيار برجين في اللاذقية، كان احدهما تضاء عليه القناديل؛ ليستدل من خلاله البحارة ليلاً على اليابسة ([1])، وفي زلزلة سنة (692هـ - 1293م) انهارت ثلاثة أبراج من قلعة الكرك ([2])، وأدت زلزلة سنة (702هـ - 1303م) إلى انهيار برجين شاهقين من أبراج صفد ([3]) وفي سنة (744هـ - 1343م)، هدمت الزلزلة في حلب نحو اثنين وثلاثين برجاً، وخرج أهل المدينة إلى ظاهرها، وأقاموا الخيام خوفاً من سقوط ما تبقى من الأبراج والبنايات([4])، وتسببت زلزلة سنة (768هـ - 1367م) في انهيار بضعة عشر بُرجاً في مدينة صفد ([5])، وفي زلزلة سنة (863هـ - 1458م) انهار عدد من أبراج الكرك ([6]).

وأدى تشكل السيول إلى هدم وإغراق الكثير من الأسواق والحوانيت، ففي سنة (653هـ-1255م) أغرق السيل في مدينة دمشق معظم الحوانيت في سوق الخيل ([7])، وعندما تكرر تشكله سنة (683هـ- 1284م)، دخلت المياه إلى سوق الخيل من باب السلامة ([8])، فأغرقت الأقمشة، والخيول والجمال، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار ([9])، وفي سيل سنة (786هـ - 1384م) غرق سوق البريد ([10])

([1]) ابن شداد،محمد، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 152.

([2]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 51/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 240/2؛ السيوطي عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 200؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة** 104؛ البخيت، محمد، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، 110.

([3])النويري،أحمد،**نهاية الأرب في فنون الأدب**،39/3؛أبو الفداء إسماعيل،**المختصر في أخبار البشر**،389/2؛ابن الشحنة،محمد **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**،274؛البرزالي،القاسم،**تاريخ البرزالي**،230/3؛ابن سباط،حمزة،**صدق الأخبار**،442/2.

([4]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 130/4؛ ابن حبيب، الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 203؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

([5])ابن قاضي شهبة، أبوبكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 295/2؛السخاوي،محمد،**وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 156/1.

([6]) السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 209؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 112؛ حجة، شوكت، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن (من جنوب الشام) في عصر دول المماليك الثانية**، 263.

([7]) الكتبي، محمد، **عيون التواريخ**، 85/20؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 449/7.

([8]) باب السلامة:من أبواب دمشق المشهورة، بني أيام السلطان نور الدين زنكي، الشهابي،قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**،234/1.

([9]) النويري، أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 80/31؛ ابن الفرات، محمد، **تاريخ ابن الفرات**، 7/8؛ الدويهي أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 262.

([1]) وأتلفت معظم السلع الموجودة فيه ([2])، وفي سنة (717هـ - 1317م) خرب السيل في بعلبك مائة وواحداً وثلاثين حانوتاً، أربعة وخمسين منها دمرت بشكل كامل، وسبعة وسبعين بشكل جزئي، فجعل أصحاب الحوانيت فقراء من بعد أن كانوا أغنياء([3]).

ولاحظنا أن السيل الذي تشكل بمدينة عجلون سنة (728هـ - 1328م) كان من أكثر السيول تأثيراً في الحركة العمرانية؛ لكثرة ما هدم من المنشآت، فخرب عدداً من الأسواق منها: سوق القطانين ([4])، وسوق الإقباعية ([5])، وسوق الفامية، وسوق القطيين([6])، وسوق الحصر والدباغة ومسلخ الضأن الضأن والماعز، وحوانيت الخبازين، وذهب معظم ما فيهن من سلع وبضاعة، وكذلك خرب قيسارية التجار التي أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر، وقيساريه ملك الأمراء عز الدين أيبك الصالحي([7]) الموقوفة على بيمارستان صفد، فقدر عدد الحوانيت التي دمرت فيها بشكل كامل نحو عشرين حانوتاً، وردم باقيها على ما فيه من الأخشاب، والحجارة، والطين ([8])، ويبدو أن مثل هذه الكارثة تركت آثاراً سلبية في الأوضاع الاقتصادية لسكان المدينة، كإفلاس التجار وأصحاب الحوانيت والقياسر التي دمرت

([1]) سوق البريد: يقع في مدينة دمشق بين العصرونية، وزقاق البوس، شرق سوق الحميدية، ويباع فيه المنسوجات الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 59/2.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 130/3.

([3]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 1/ 473؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 158/14؛ اليافعي، أبو عبد الله مرآة **الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 193/4؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 628/2.

([4]) سوق القطانين: سوق يباع فيه القطن والغزل، الزيات، حبيب، **نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق**،32.

([5]) سوق الإقباعية: سوق تباع فيه القبعات، الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 62/2.

([6]) سوق القطيين: سوق لبيع الأثاث المستعمل، الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 57/2.

([7]) عز الدين أيبك الصالحي: هو السلطان الملك المعز أيبك التركماني الصالحي، اعتلى عرش السلطنة سنة (648هـ - 1250م) وقتل سنة (655هـ - 1257م)، للمزيد ينظر، الذهبي، محمد، **سير أعلام النبلاء**، 198/23.

([8]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 275/2؛ 478/4؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 406/2؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 190/2.

وهذا بدوره انعكس على تراجع مكانتهم الاجتماعية داخل المجتمع العجلوني لانكشاف أحوالهم واضطرارهم لمد أيديهم للسؤال([1]).

وفي سنة (764هـ - 1362م) عندما فاض نهر بردى أغرق الحوانيت في سوق الخيل وبالتالي ارتفعت الأسعار نتيجة إتلاف أغلب السلع الموجودة فيه ([2])، وفي سنة (774هـ - 1372م) تسبب فيضان نهر بردى في إغراق عدد كبير من الحوانيت في دمشق، وأتلف السلع التجارية الموجودة فيها، وهذا بدوره أدى إلى ارتفاع الأسعار ([3])، ولم يكن وقوع الصواعق أقل تأثيراً في تهدم الأبراج، ففي سنة (827هـ- 1423م) هدمت الصاعقة أحد أبراج قلعة عجلون([4]).

3 ـ هدم المنشآت العامة والخاصة:

ترك حدوث الكوارث الطبيعية في بلاد الشام آثاراً بالغة في هدم المنشآت العمرانية العامة والخاصة ومن هذه المنشآت:

أ ـ هدم المنازل:

كان للزلازل آثارٌ مدمرة في ناحية تهدم المنازل، وهجرة السكان، ففي زلزلة سنة (660هـ - 1261م) تهدم عدد كبير من المنازل في كل من الكرك، والشوبك، وصفد، وهرب معظم السكان إلى الصحاري والمناطق الخالية([5])، ويمكن القول :إن هذه الزلزلة بقدر ما تركت آثاراً سلبية، إلا أنها تركت آثاراً ايجابية فمن شدتها فجرت من الأرض عيوناً للمياه، حيث كان الناس بحاجة ماسة إليها؛ بسبب انحباس الأمطار في السنة التي سبقتها ([6])، وفي زلزلة سنة (692هـ - 1293م) تهدم

([1]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 479/4.

([2]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 219/2.

([3]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 413/2؛ عبد الباسط، خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 44/2.

([4]) النعيمي، محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، 196/2.

([5]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 114/2؛ غوانمة، يوسف، **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، 47.

([6]) القلقشندي، أحمد، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 114/2.

عددٌ كبير من البيوت في كل من غزة، والرملة، وقاقون، والكرك، مما كان له أثرٌ كبيرٌ في نزوح السكان؛ لخوفهم من تجدده، ولقلة وجود منازل تأويهم ([1]).

وفي سنة (702هـ - 1303م) هدمت الزلزلة عدداً كبيراً من البيوت في أغلب مدن الشام وتوفي على أثرها عددٌ من السكان، لم تسعفنا المصادر المعروفة في تقدير أعدادهم، ومن سَلم خرج إلى المناطق المكشوفة والآمنة، ونصبوا بها الخيام لمدة أربعين يوماً ([2])، ويبدو أن هذه الزلزلة تركت آثاراً إيجابية في مدينة عكا، فعلى أثرها انحسر البحر من جهة عكا مقدار فرسخين، وبذلك كشفت خبايا كثيرة ([3]) في البحر استفاد منها أهالي عكا، الذين عمدوا إلى التقاطها([4])، وفي زلزلة سنة (739هـ - 1339م)، تهدم عدد من بيوت طرابلس ([5])، وفي زلزلة سنة (744هـ - 1343م) تهدمت البيوت في كلٍّ من حلب، وكركر، ومنبج([6]) التي تهدمت بيوتها بشكل كامل، وتوفي جميع سكانها تحت تحت الردم، عدا خمسة وأربعين شخصاً سلموا([7])، وقد أكد المؤرخ ابن الوردي على ذلك شعراً:

(البحر الخفيف)

منبُج أهلُها حكوا دودَ قزٍ   عندهم تجعل البيوت قُبورا

([1]) ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، 8/ 31؛ عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، 214.

([2])ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 100/14؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 253/1 المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 364/2.

([3])من هذه الخبايا: "الكنوز، وأصناف التجارة"، ويبدو أن المقصود بها بقايا سلع تجارية، وصدفيات بحرية، المقريزي أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 364.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 2/ 364.

([5]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 283/2؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 225/4؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 205؛ العجلوني، إسماعيل **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 109.

([6]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من غبر**، 130/4؛ ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 504/2؛ ابن حبيب الحسن، **المنتقى من درة الأسلاك**، 203؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

([7]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 361/1.

رُب نِعمهم قد ألفوا من   شجرِ التوتِ جلة وحريرا([1])

وهدمت زلزلة سنة(789هـ-1387م) منازل وبيوتاً كثيرة في حلب وأنطاكيا([2])، وفي زلزلة سنة (806هـ - 1404م) هُدم عدد كبير من المنازل والبيوت في منطقة المرقب، وبلاطنس، وجبلة واللاذقية، وحلب، وطرابلس، وثغر بكاس، وتوفي على أثرها أعداد كبيرة من السكان تحت الردم([3]) ويقول ابن قاضي شهبة: "وخُربت قلعة بلاطنس، ومات تحت الردم بها خمسة عشر نفساً، وكذلك مات بجبلة خمسة عشر نفساً، وأما ثغربكاس فقد خُربت جميعها والقلعتان التي بها، ومات أهلها أجمعون إلا نحو خمسين نفساً" ([4])، ويبدو أن تهدم البيوت بهذا العدد، دفع السكان من شدة الخوف إلى نصب الخيام الخيام والسكن فيها بديلاً عن البيوت، وهذا بدوره أثر في تراجع الحركة العمرانية في بلاد الشام.

وعلى أثر الزلزلة التي هزت الكرك سنة (863هـ - 1458م) هُدم عدد كبير من منازلها، ([5])، ويروي ويروي مجير الدين العليمي عن الزلزلة التي ضربت مدينة القدس سنة (902هـ - 1496م)، أنها هدمت جميع البيوت الشاهقة بها، وقال: " لم تترك بيتاً علوياً في بيت المقدس إلا هدمته " ([6])، ويبدو أن هذه الزلزلة أحدثت تغييراً في نمط العمران في تلك الفترة فعزف السكان عن البناء العالي، واكتفوا ببناء بيوتهم من طبقة واحدة خوفاً من سقوطها.

([1]) **تاريخ ابن الوردي**، 504/2.

([2]) الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 199/3.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 104/6؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة** 355/4؛ السيوطي، عبد الرحمن، **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة**، 207؛ العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 100؛ الغزي، كامل، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، 220/3.

([4]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 355/4.

([5]) العجلوني، إسماعيل، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة**، 112؛ حجة، شوكت، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن (من جنوب الشام) في عصر دول المماليك الثانية**، 263.

([6]) **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 492/2.

وترك تشكل السيول آثاراً مدمرة في المنشات العمرانية، كهدم البيوت والمنازل، ففي سنة (669هـ - 1269م) هدم السيل في دمشق عدداً من المنازل والبيوت([1])، وهدم سيل سنة (786هـ - 1384م) فيها ــ أيضاً ــ عدداً كبيراً من البيوت ([2])، وفي سنة (717هـ - 1317م) تضرر بسبب السيل الذي تشكل في بعلبك ثمانمائة وخمسة وسبعون بيتاً، أربعمائة وواحد وستون هُدمت بشكل كامل وأربعمائة وأربعة عشر بشكل جزئي، مما أثر على نزوح أعداد كبيرة من سكانها لعدم وجود مساكن تأويهم([3])، ويبدو أنَّ تهدم البيوت والمنازل بهذا العدد الضخم، أثر في تراجع الحركة العمرانية في بعلبك؛ لأن استعادة بناء هذا العدد كان يحتاج إلى أموالٍ طائلة، ووقت طويل، وفي سنة (745هـ - 1345م) هدم السيل في طرابلس معظم البيوت المبنية على نهر العاصي ([4]).

ويذكر ابن قاضي شهبة أن السيل الذي تشكل في مدينة حماة في اليوم نفسه الذي تشكل فيه سيل طرابلس، أنه هدم عدداً كبيراً من منازلها، خاصة ذات الارتفاع الشاهق وقال: "وخفض المرفوع من بنائها وأزعج خواطر أهلها وسكانها"([5])، وقدر عدد البيوت والمنازل التي تهدمت في حلب بفعل سيل سنة (775هـ - 1373م) بنحو أربعمائة بيت([6]).

وأدى فيضان الأنهار في بلاد الشام إلى ترك آثار في تدمير البيوت والمنازل، ففي سنة (745هـ- 1345م) أدى فيضان نهر حماة إلى هدم عدد كبير من البيوت([7])، وفي سنوات(878هـ - 1474م) ([8])، و(897هـ - 1492م) تسبب فيضان نهر بردى في هدم بيوت كثيرة على ضفافه([9])

([1]) المنصوري، بيبرس،**مختار الأخبار**،45؛البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 233/1؛ ابن سباط،حمزة، **صدق الأخبار**،432/1.

([2]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 163/5؛ ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأبناء العمر** 158/2.

([3]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، /472؛ أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 427/2؛ ابن الوردي عمر،**تاريخ ابن الوردي**، 46/2؛ الصفدي،خليل،**أعيان العصر وأعوان النصر**، 504/3؛ابن سباط،حمزة **صدق الأخبار**، 628/2.

([4]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 417/1.

([5]) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، 417/1.

([6]) ابن شاهين، عبد الباسط، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 68/2.

([7])ابن الوردي،عمر،**تاريخ ابن الوردي**، 506/2؛ابن قاضي شهبة،أبو بكر،**تاريخ ابن قاضي شهبة**، 417/1.

([8]) البصروي، علي، **تاريخ البصروي**، 62.

([9]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 340/1.

ولم يكن تساقط الأمطار أقل تأثيراً من فيضان الأنهار في البيوت والمنازل، ففي سنوات (683هـ - 1284م) ([1])، و(896هـ - 1491م) هدمت الأمطار الغزيرة في دمشق عدداً كبيراً من البيوت القديمة العالي، وكثيراً من الجدران([2])، وقد تركت الأمطار الغزيرة التي تساقطت على مدينة حمص سنة (716هـ - 1316م) آثاراً مدمرة في الناحية العمرانية، إذ خربت قرية كاملة من قرى حمص، وعدداً كبيراً من بيوت التركمان والأكراد([3])، وفي سنة (753هـ - 1353م) تسببت الأمطار الغزيرة في هدم عدد كبير من البيوت في مدينة غزة ([4])، وفي سنة (800هـ - 1398م) هدمت من بيوت مدينة الرملة أكثر من ألف بيت([5])، ويبدو أن هدم البيوت بهذا العدد الكبير في مدينة الرملة راجع إلى اعتماد أهلها في بناء بيوتهم على مادة الرمل دون الحجارة، والمتعارف عليه أن الرمل سريع الذوبان، وهذا بدوره أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من سكانها إلى مدن أخرى، لعدم وجود بيوت تأويهم من شدة البرد والشتاء، مما أثر في تراجع الناحية السكانية في المدينة.

وتسبب هبوب الريح على مدينة دمشق في سنوات (719هـ- 1319م)([6])،و(759هـ - 1357م) ([7])،و(841هـ - 1438م)([8])، و(897هـ - 1492م) ([9])، و(899هـ- 1493م) ([10])، إلى هدم عدد كبير من المنازل والبيوت فيها، وأدى هبوب الريح العاصفة على مدينة طرابلس سنة (718هـ

([1]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 185/2.

([2]) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 133/1.

([3]) ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 75/2.

([4]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 172/4؛ ابن شاهين، عبد الباسط، **نيل الأمل في ذيل الدول** 246/1 عطا الله، محمود، **نيابة غزة في العهد المملوكي**،215.

([5]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 474/1.

([6]) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 169/14؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 15/3.

([7]) ابن قاضي شهبة، أبو بكر، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،129/2.

([8]) ابن الصيرفي، علي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 402/3؛ ابن عبد الباسط،خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**،22/5.

([9]) ابن الحمصي، أحمد، **حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**، 335/1.

([10]) **نفسه**، 345/1.

- 1318م) إلى هدم عدد كبير من المنازل والبيوت فيها ([1])، وتسببت الريح الحارة التي هبت على طرابلس سنة (704هـ - 1304م) في حرق ثلاثة منازل فيها ([2])، ويبدو أن احتراق المنازل الثلاثة كان سببه سقوط نجم مع تزامن هبوب الريح فسقطت منه نار على الأرض أدت إلى إحراقها ([3]).

ب ـ هدم القصور والدور"المؤسسات الحكومية":

لم تسعفنا المصادر التاريخية بذكر تهدم القصور إلا ما أورده ابن قاضي شهبة، عندما فاض نهر حماة سنة (745هـ - 1345م)، فقال: " وأتلف ما لا يحصى من جنانها وقصورها"([4])، أما بخصوص الدور، فقد تهدم أجزاء كبيرة من دارالطعم في عجلون بفعل سيل سنة (728هـ - 1328م)([5])، وفي سنة (753هـ- 1353م)، هدمت الأمطار الغزيرة نصف دار النيابة([6]) في غزة([7])

ج ـ هدم الحمامات

تعرضت الحمامات أيضاً إلى الهدم والتدمير، ففي سنة (717هـ- 1317م) هدمت العديد من حمامات بعلبك؛ بسبب السيل الذي تشكل فيها، وتوفي سبعة أشخاص من روّادها ([8])، وفي سنة

([1])ابن الوردي، عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 381/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 163/14؛ المقريزي، أحمد **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/3؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 306/4.

([2]) الذهبي، محمد، **ذيول العبر في خبر من عبر**، 116/4؛ اليافعي، أبو عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 228/4؛ المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 282/3؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 219/8.

([3]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 282/2/3؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 219/8.

([4]) ابن عبد الباسط خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، 131/5.

([5]) ابن الجزري ، محمد، **تاريخ ابن الجزري**،275/2؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 479/4.

([6]) دار النيابة: هي دار يقيم فيها من ينوب عن السلطان، وكان يجلس فيها للنظر في المظالم، للمزيد ينظر، ابن فضل الله العمري، أحمد، **دولة المماليك الأولى**، 54؛ البقلي،محمد،**التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، 131.

([7])المقريزي،أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 172/4؛عطا الله، محمود،**نيابة غزة في العهد المملوكي**، 215.

([8]) ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 473/1؛ أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 427/2 الصفدي، الحسن **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، 244؛ ابن سباط، حمزة، **تاريخ ابن سباط**، 628/2.

(728هـ- 1328م) هدم السيل في عجلون بعض الحمامات ([1])، وتسبب سيل سنة (732هـ- 1332م) في إغراق أحد الحمامات في حمص ([2]).

د ـ هدم الطواحين والأفران:

كان لتشكل السيول وحدوث الفيضانات دور كبير في هدم بعض الطواحين، ففي سنة (669هـ - 1270م) جرف السيل الذي تشكل في دمشق الطواحين المتواجدة على ضفاف نهر بردى، وسحب حجارتها، فواجه أصحابها صعوبة في إعادة بنائها من جديد ([3])، وفي سنة (801هـ - 1399م) أغرق السيل في دمشق عدداً من الطواحين([4])، وتسبب السيل الذي تشكل بالعوجاء سنة (692هـ- 1293م) في هدم وجرف الطواحين المتواجدة على ضفاف نهرها ([5])، وفي سنة (717هـ - 1317م) جرف السيل الذي تشكل في بعلبك ثماني طواحين بشكل كامل، وهدم تسعاً بشكل جزئي، وتسبب أيضاً، في هدم سبعة عشر فرناً ([6])، ويبدو أن تهدم الأفران أثر في ارتفاع أسعار الخبز لقلة وجودها، وفي سنوات (774هـ - 1372م) ([7])، و(909هـ - 1503م) أدى فيضان نهر بردى إلى هدم وإغراق عدد كبير من الطواحين المتواجدة على ضفافه، وبذلك لم يجد الأهالي ما يطحنون عليه الغلال، وهذا بدوره تسبب في ارتفاع أجرة الطحن، وفقدان الدقيق والخبز وارتفاع أسعارهما ([8])، وقال ابن طولون: " وفقد وفقد الخبز وغلا لقلة الطحن "([9]).

([1]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 479/4.

([2]) الذهبي، محمد، **دول الإسلام**، 275/2؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، 236/14؛ ابن حبيب، الحسن، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 219/2؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 651/2؛ الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 303.

([3]) المنصوري، بيبرس، **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة**، 45؛ البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 233/1.

([4]) ابن حجي، أحمد، **تاريخ ابن حجي**، 341/1.

([5]) المقريزي، أحمد، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 240/2.

([6]) أبو الفداء، إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 427/2؛ ابن الجزري، محمد، **تاريخ ابن الجزري**، 473/1؛ ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**،158/14؛ ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 628/2.

([7]) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، 37/1.

([8]) ابن طولون، محمد، **أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى**، 177.

([9]) **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، 220/1.

هـ ــ هدم الخانات:

تعرضت بعض الخانات في بلاد الشام إلى الهدم بفعل تشكل السيول، ففي سنة (669هـ - 1269م) هدم السيل الذي تشكل في دمشق خان ابن المقدم ([1])، وتوفي في أثره عدد من الحجاج الروم الذين أتوا لزيارة بعض الكنائس([2])، ويبدو أن هذا أثر على تراجع السياحة الدينية في مدينة دمشق؛ بسبب خوف وفزع الزوار الأجانب للمنطقة. وعندما تكرر تشكله سنة (682هـ - 1283م) هدم عدداً من الخانات فيها ([3])، وهُدم أحد خانات مدينة حمص جراء السيل الذي تشكل فيها سنة (718هـ - 1318م) ([4]).

وــ هدم البيمارستانات:

لم تسعفنا المصادر التاريخية المعروفة، التعرف إلى أوضاع البيمارستانات في ظل الكوارث الطبيعية، إلا ما أورده ابن سباط عن بيمارستان مدينة بعلبك الذي تهدم بفعل سيل سنة (717هـ - 1317م)، وقال:" وتشعث البيمارستان، وأفضت المرضى فيه إلى الحمامات " ([5]).

ونلاحظ مما سبق:

1. إنه كان لتهدم البيوت والمنازل العالية جراء الزلازل، دور في تغير نمط العمران، إذ عزف الناس عن تشيد البنايات العالية ذات الطبقات المتعددة، واكتفوا ببناء بيوتهم من طبقة واحدة خوفاً من سقوطها.

2.أدى تهدم المنشآت العمرانية؛ بسبب الكوارث الطبيعية، إلى ترك آثار في نفسية الناس من ناحية الهلع والخوف، والهروب إلى المناطق النائية، بالإضافة إلى الخسارة المادية لإعادة البناء والتعمير.

([1]) خان ابن المقدم: أحد خانات دمشق القديمة يقع داخل باب الفراديس، الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي**، 122/2.

([2]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 233/1؛ الذهبي، محمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 56/3؛ ابن كثير إسماعيل، **البداية والنهاية**، 349/13؛ابن سباط، حمزة، **صدق الأخبار**، 432/1؛ شلبي، محمود، **حياة الظاهر بيبرس**، 309.

([3]) المنصوري، بيبرس، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، 245.

([4]) البرزالي، القاسم، **تاريخ البرزالي**، 326/2.

([5]) **صدق الأخبار**، 628/2.

3.إن تهدم البيوت بفعل الكوارث الطبيعية، دفع السكان من شدة الخوف إلى نصب الخيام والسكن فيها بديلاً عن البيوت، وهذا بدوره أثر في تراجع الحركة العمرانية في بلاد الشام.

4.كان تشكل السيول، وحدوث الفيضانات يؤديان إلى هدم الأسواق والحوانيت، وإغراق السلع، وهذا بدوره كان يؤثر في ارتفاع الأسعار من ناحية، وإفلاس التجار وأصحاب العقارات من ناحية أخرى.

5.ترك تهدم الجسور بفعل الفيضانات آثاراً في تعطيل الحركة التجارية، وتبادل السلع بين نيابات بلاد الشام، وإرهاق المسافرين، وإعاقة تنقلهم.

6.أدى خوف وفزع الزوار الأجانب من جراء تهدم الخانات إلى عدم إقبالهم على زيارة البلاد الشامية فتناقصت أعدادهم، وهذا بدوره أثر في تراجع السياحة الدينية في المنطقة.

7.أدى حدوث الكوارث الطبيعية إلى تدمير بعض المدارس، وفقدان الكتب العلمية، مما اثر في تعطيل الحركة العلمية.

الخاتمة

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة إلى أهم النتائج التالية:

1.أثرت الكوارث الطبيعية ولا سيما موجات القحط والجفاف في تــوفر المحاصــيل الزراعيــة فــي الأسواق الشامية، وارتفاع أسعارها وخاصة محصول القمح، مما أدى إلى خلق أزمة اقتصادية خانقــة داخل بلاد الشام خاصة، والدولة المملوكية عامة، وهذا بدوره دفع الدولة إلى تغطية النقص الحاصــل باستيراده من الدول المجاورة، مما ترك آثاراً في حدوث خلل في ميزانيتها المالية.

2.أثر حدوث الكوارث الطبيعية في تقليص مساحات المراعي، وتوفير الأعلاف، مما أثر فــي نفــوق أنواع كثيرة من الحيوانات وهزلها، وانعكس ذلك على ارتفاع أسعارها، وأسعار منتوجاتها من اللحوم والألبان والأجبان، وانعدام الأضاحي، وارتفاع كلفة وسائل النقل.

3.استغل الفرنج تردي الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام، بسبب حدوث الكوارث الطبيعية وأنزلوا ما لديهم من السلع إلى السواحل الشامية ،وهذا بدوره أثر في اقتصاد بلاد الشام.

4.أدى تلف الأشجار جراء حدوث الكوارث الطبيعية إلى ترك آثار على الصناعات المحفوظة ومنها الزيتون، والسيرج، وارتفاع أسعارهما، مما اضطر السكان إلى الاستعاضة عنها بــدهون الحيوانــات لطهي طعامهم، وهذا بدوره أدى إلى حدوث تغيير في نمط الطبخ في المجتمع المملوكي.

5.استغلت بعض القبائل والمتمردين حدوث الكوارث الطبيعية، وقــاموا بــالثورات، وإثــارة الفــتن والقلائل، مما أدى إلى انعدام الأمن، وحدوث الفوضى، والأضرار في مختلف الجوانب مــن ناحيــة وعدم الاستقرار من ناحية أخرى، مما زاد في تردي أوضاع السكان في البلاد الشامية.

6.ترك حدوث الكوارث الطبيعية في بعض الأحيان آثاراً سلبية في الجيش المملوكي سواء في معداته أو أفراده، مما أثر في حركة الجهاد، واستُغِل ذلك من قبل أعداء الدولة المملوكيــة لتنفيــذ خططهــم العدائية.

7.إن انعدام الأقوات، والغلال، وارتفاع الأسعار؛ بسبب الكوارث الطبيعية، أدى إلى نزوح السكان عن أوطانهم، وهذا بدوره انعكس على تفكك المجتمعات، وغياب التكافل الاجتماعي.

8.أدى كل من الفقر والجوع الناتجين عن الكوارث الطبيعية إلى انعدام القيم الأخلاقية لـبعض فئـات المجتمع الشامي كشيوع القتل، والسرقة، والتسول، وأكل اللحوم المحرمة كالكلاب، والقطط، والميتـة وأكل أبنائهم.

9. كان للكوارث الطبيعية أثر في غياب وانعدام مظاهر البهجة والسـرور فـي الاحتفـالات العامـة والمناسبات الدينية أحياناً، إذ استبدلت بمظاهر الحزن والأسى، ويبدو أن ذلك أثر في حالـة السـكان النفسية.

10. إن هجرة الشاميين إلى الشمال أو العكس ؛ بسبب الكوارث الطبيعية، كان يؤثر فـي الأوضـاع الاقتصادية للمنطقتين، سواء التي تم النزوح منها أو إليها .

11. تميزت بعض الطواعين بسقوط الوفيات في صفوف الأطفال بأعداد كبيرة؛ ممـا تسـبب فـي شيخوخة المجتمع الشامي

12.كان لوفاة بعض الحجاج، ونفوق بعض دوابهم، ورجوعهم في بعض السنوات دون أداء الفريضة بسبب الكوارث الطبيعية، دور من تخوف الأهالي من أداء فريضة الحج على المدى القريب والبعيد.

13. يُعد انحباس الأمطار من أكثر الكوارث الطبيعية تأثيراً في إقلاع بعض النـاس عـن ارتكـاب المحرمات، وإقبالهم على الله بالتوبة، والدعاء والإكثار من العبادات، وحمد الله وشـكره.

14. كان لتهدم البيوت والمنازل العالية جراء الزلازل، دور في تغير نمط العمران، إذ عزف الناس عن تشيد البنايات العالية ذات الطبقات المتعددة، واكتفوا ببناء بيوتهم من طبقـة واحـدة خوفـاً مـن سقوطها.

15.أدى تهدم المنشآت العمرانية؛ بسبب الكوارث الطبيعية، إلى ترك آثار في نفسية الناس من ناحيـة الهلع والخوف، والهروب إلى المناطق النائية، بالإضافة إلى الخسارة المادية لإعادة البناء والتعمير.

17.إن تهدم البيوت بفعل الكوارث الطبيعية، دفع السكان من شدة الخوف إلى نصب الخيــام والسـكن فيها بديلاً عن البيوت، وهذا بدوره أثر في تراجع الحركة العمرانية في بلاد الشام.

18. كان تشكل السيول، وحدوث الفيضانات يؤديان إلى هدم الأسواق والحوانيت، وإغراق السلع، وهذا بدوره كان يؤثر في ارتفاع الأسعار من ناحية، وإفلاس التجار وأصحاب العقارات من ناحية أخرى.

19.أدى خوف وفزع الزوار الأجانب من جراء تهدم الخانات إلى عدم إقبالهم علــى زيــارة الــبلاد الشامية، فقلّت أعدادهم، وهذا بدوره أثر في تراجع السياحة الدينية في المنطقة.

20.تحملت الدولة المملوكية المسؤولية في معالجة الكوارث الطبيعية بعدة الوسائل، كاستيراد المــواد التموينية، وإعادة بناء ما تهدم من الأبنية والجسور وغيرها من المنشآت العمرانية.

21.أدى حدوث الكوارث الطبيعية إلى تدمير بعض المدارس، وفقدان الكتب العلمية، ممــا اثــر فـــي تعطيل الحركة العلمية.

الملاحق

الملاحق

. جدول رقم (1) يوضح تاريخ وقوع الزلازل، والأماكن التي وقعت فيها، وبعض المصادر التي أرخت لوقوعها.

. جدول رقم (2) يوضح تاريخ تشكل السيول والمناطق التي تشكلت فيها، وبعض المصادر التي أرخت لتشكلها.

. جدول رقم (3) يوضح تاريخ وقوع الفيضانات واسم الأنهار، وبعض المصادر التي أرخت لها.

. جدول رقم (4) يوضح تاريخ تساقط الأمطار الغزيرة ببلاد الشام والأماكن التي تساقطت فيها، وبعض المصادر التي أرخت لتساقطها.

. جدول رقم(5) يوضح تاريخ سقوط الثلوج، والأماكن التي سقطت فيها، وبعض المصادر التي أرخت لسقوطه.

. جدول رقم (6) يبين تاريخ سقوط البرد ومكان تساقطه وبعض المصادر التي أرخت لتساقطه.

. جدول رقم (7) يوضح تاريخ حدوث الصقيع والبرد ومكان حدوثه، وبعض المصادر التي أرخت له.

. جدول رقم(8) يوضح تاريخ هبوب الرياح والأماكن التي هبت عليها وبعض المصادر التي أرخت لهبوبها.

. جدول رقم(9) يوضح تاريخ حدوث الصواعق والأمكنة التي وقعت فيها وبعض المصادر التي أرخت لوقوعها.

. جدول رقم(10) يوضح تاريخ حدوث الجفاف (القحط)، والمناطق التي أثرت بها وبعض المصادر التي أرخت لحدوثه.

. جدول رقم(11) يوضح تاريخ هجوم الجراد والمواقع التي أثرت فيها، وبعض المصادر التي أرخت لهجومه.

. جدول رقم (12) يوضح تاريخ ظهور الفئران والمناطق التي ظهرت فيها وبعض المصادر التي أرخت لظهورها.

. جدول رقم(13) يوضح اسم الوباء وتاريخ تفشيه والمنطقة التي تفشى فيها وبعض المصادر التي أرخت لتفشيه.

الملاحق

جدول رقم (1)

الرقم	تاريخ حدوث الزلزلة	مكان حدوثها	بعض المصادر التي أرخت لها
1	6ربيع الثاني 658هـ/20نيسان 1260م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 513/1.
2	ربيع الثاني 659هـ/ شباط 1261م	عكا	ابن أيبك الدورداري،كنزالدرر، 58/8.
3	667هـ/ 1268م	بلاد سيس	السيوطي، كشف الصلصلة،200.
4	15 محرم 686هـ/ 2اذار 1287م	صفد	ابن عبد الظاهر،تشريف الأيام والعصور ،151.
5	21 محرم 686هـ/8 آذار 1287م	حمص	ابن عبد الظاهر،تشريف الأيام والعصور،151
6	5 صفر 686هـ/ 21اذار 1287م	اللاذقية	ابن عبد الظاهر،تشريف الأيام والعصور،151.
7	صفر 692هـ/ كانون الثاني 1293م	فلسطين والكرك	ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، 155/1.
8	23 ذي الحجة 702هـ/ 9 آب 1303م	عامة بلاد الشام	أبو الفضائل،النهج السديد والدرر الفريد 592.
9	محرم 722هـ/ كانون الثاني1322م	طرابلس	السيوطي،كشف الصلصلة،205.
10	723هـ/ 1323م	عاملة بلاد الشام	الدمشقي،نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،114.
11	رجب 739هـ / كانون الثاني 1339م	طرابلس	الذهبي،دول الإسلام،283/2.
12	ذو الحجة 741هـ/ أيار 1341م	عامة بلاد الشام	الحنبلي،شذرات الذهب،8/ 224.
13	15 شعبان 744هـ/ 2 كانون الثاني 1343م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 404/3.
14	29جمادى الآخرة 768هـ/ 1نيسان 1367م	صفد	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 294/2.
15	789هـ / 1387م	حلب وأنطاكيا	الغزي،نهر الذهب في تاريخ حلب، 199/3.
16	17محرم 802هـ/ 19 أيلول 1399م	دمشق	ابن حجر العسقلاني،أنباء العمر بأبناء العمر،99/4.
17	جمادى الآخرة 806هـ/كانون الأول 1403م	حلب	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة،355/4.
18	8 شعبان 806هـ /20 شباط 1404م	حلب	العجلوني،تحريك السلسلة،100.
19	20 شعبان 806هـ/ 3 آذار 1404م	معظم منطقة الشام	المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،104/6.
20	جمادى الأولى 807هـ/ تشرين الثاني 1404م	حلب	ابن حجر العسقلاني، أنباء العمر بأبناء العمر،217/5.
21	ذي الحجة 809هـ/ نيسان 1407م	أنطاكيا	ابن عبد الباسط،خليل، نيل الأمل ،151/3.
22	10 شعبان 811هـ/ 29 كانون الأول 1409م	ساحل بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،214/6.
23	5 محرم 863هـ/ 13 تشرين الثاني 1458م	فلسطين والكرك	العليمي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،102/2.
24	865هـ/ 1460م	القدس	العليمي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،387/2.
25	ربيع الأول 889هـ/ آذار 1484م	حلب	السيوطي،كشف الصلصلة،211.
26	ربيع الثاني 896هـ/ شباط 1491م	طرسوس	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان،115/1.
27	جمادى الآخرة 896هـ/ نيسان 1491م	دمشق	ابن طولون،محمد،مفاكهة الخلان 116/1.
28	22 جمادى الآخرة 896هـ/ 1 أيار 1491م	دمشق	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان ،116/1.

جدول رقم (2)

الرقم	تاريخ حدوث السيل	المناطق التي تشكل فيها	بعض المصادر التي أرخت لتشكلها
1-	653هـ/1255م	دمشق	الذهبي،تاريخ الإسلام،16/2.
2-	22 شوال 699هـ/23ايار 1271م	دمشق	المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية،72.
3-	شعبان 682هـ /تشرين الأول 1283م	دمشق	المنصوري،زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة،245.
4-	20 شعبان 683هـ / 1 تشرين الثاني 1284م	دمشق	النويري، نهاية الأرب80/31.
5-	685هـ / 1286م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية، 361/13.
6-	صفر 692 هـ / كانون الثاني 1293م	الرملة	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 240/2.
7-	رجب 692 هـ / حزيران 1293م	بعلبك	أبي الفضائل، النهج السديد والدرر الفريد ، 538.
8-	699 هـ / 1299م	قريتا / فلسطين	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 318/2.
9-	صفر 7 هـ / تشرين الأول 1300	العوجاء / فلسطين	المقريزي،المقفى الكبير ، 176/7.
10-	صفر 716 هـ / نيسان 1316م	حمص	ابن حبيب،تذكرة النبيه،74/2.
11-	17 صفر 717 هـ 10 ايار1317م	بعلبك	الصفدي، الحسن،نزهة المالك والمملوك،212.
12-	13 ربيع الأول 717 هـ / 25ايار 1317م	حلب	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،526/2.
13-	شعبان 717 هـ / تشرين الأول 1317م	دمشق	الدويهي،اسفطان،تأريخ الأزمنة، 301.
14-	3 رجب 718 هـ 26 أيلول 1318م	حمص	البرزالي،تاريخ البرزالي، 326/4.

-15	رمضان 718 هـ تشرين الأول 1318م	الشوبك	البرزالي،الوفيات،485.
-16	5 رمضان 719 هـ 20 تشرين الأول 1319م	دمشق	النويري، احمد، نهاية الأرب، 233/32.
-17	721 هـ / 1321م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية،174/14.
-18	22ذي الحجة، 728 هـ / 27 أيلول 1328م	عجلون	ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي، 406/2.
-19	732 هـ / 1331م	حمص	اليافعي،مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 213/4.
-21	رمضان 745 هـ / كانون الثاني1345م	طرابلس	أبو الفداء،المختصر في أخبار البشر، 506/2.
-22	رمضان 745 هـ / كانون الثاني 1345م	حماة	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،213/1
-23	ذو الحجة 752 هـ / كانون الثاني1353م	غزة	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،361/4
-24	ذو الحجة 761 هـ / تشرين الأول 1360م	بعلبك،خيران،حلب، جبة عسال	ابن كثير،البداية والنهاية،361/14
-25	769 هـ / 1367م	حلب	الغزي،نهر الذهب في تاريخ حلب،1992/3.
-26	ذو الحجة 775هـ / أيار 1374م	حلب	ابن العراقي، الذيل على العبر، 369/2.
-27	محرم 786 هـ / شباط 1384م	دمشق	ابن حجر العسقلاني،أنباءالعمر بأبناءالغمر،158/25.
-28	8 ربيع الأول 786 هـ / 3 أيار 1384م	الغوطة / دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة،130/3.
-29	ربيع الأول 787 هـ / نيسان 1385م	الكرك والشوبك	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 157/3.
-30	ربيع الثاني 795 هـ / شباط 1393م	حلب	الحنبلي،شذرات الذهب، 576/8.
-31	14 رجب 800 هـ /2 نيسان 1398م	دمشق	الصيرفي،نزهة النفوس والأبدان، 479/16.
-32	14 رجب 800 هـ / 2 نيسان 1398م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة،654/3.
-33	4 جمادى الآخرة 801 هـ / 12 شباط 1399م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي،341/1.
-34	13 شعبان 802 هـ / 20 نيسان 1400م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 424/1.
-35	رمضان 810 هـ / شباط 1408م	طرابلس	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،160/3.
-36	3 ربيع الثاني 891 هـ / 3 نيسان	دمشق	ابن طوق،التعليق" ، 607/2.
-37	صفر 896 هـ / كانون أول 1490م	غزة	ابن عبد الباسط، خليل، نيل الأمل، 215/8.
-38	7 جمادى الأول 899 هـ / 4 نيسان 1493م	دمشق	ابن الحمصي،حوادث الزمان ، 351/16.
-39	6 شوال 916 هـ / 13 أيار 1510م	دمشق	ابن الحمصي،حوادث الزمان ، 194/3.
-40	23صفر 922 هـ / 27 آذار 1516م	دمشق	ابن الحمصي،حوادث الزمان ، 281/3.

جدول رقم (3)

الرقم	تاريخ حدوث الفيضان(الزيادة)	اسم النهر	بعض المصادر التي أرخت للفيضان (الزيادة)
-1	699 هـ / 1270م	نهر حلب	ابن الشحنة،روض المناضر ،227.
-2	700 هـ / 1300م	نهر العوجاء	المقريزي،المقفى الكبير، 176/7.
-3	رمضان 745 هـ / كانون الثاني 1345م	نهر حماة	ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي، 329/2.
-4	ربيع الأول 764 هـ / كانون الأول 1362م	نهر بردي	ابن كثير،البداية والناهية، 342/14.
-5	جمادى الأولى 764 هـ / شباط 1363م	نهر بردي	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 219/2.
-6	ربيع الأول 770 هـ / تشرين الأول 1370م	نهر بردي	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،44/2.
-7	6 ذي الحجة 774 هـ / 9 أيار 1372م	نهر بردي	ابن كثير،البداية والنهاية، 362/14.
-8	11 رجب 799 هـ / 11 نيسان 1396م	نهر بردي	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 242/2.
-9	ربيع الأول 802 هـ/ تشرين الثاني 1399م	نهر بردي	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 73/4.
-10	19 شوال 878 هـ / 8 آذار 1474م	نهر بردي	البصروي،تاريخ البصروي، 62.
-11	ذو الحجة 897 هـ / أيلول 1492م	نهر بردي	ابن الحمصي،حوادث الزمان ، 340/1.
-12	جمادى الأول 909 هـ / كانون الأول 1503م	نهر بردي، نهر حماةنهر طرابلس، نهر الكلب	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 377.
-13	24 ربيع الأول 913 هـ / 6 تموز 1507م	نهر بردي	ابن سباط،صدق الأخبار، 932/2.

جدول رقم (4)

الرقم	تاريخ تساقط الأمطار	مكان تساقطه	بعض المصادر التي أرخت لسقوطه
-1	صفر671 ه / ا 1272م	حلب	مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، 96.
-2	23 شعبان 683 ه / 26 تشرين الأول 1284م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،185/2.
-3	صفر 692 ه / كانون الثاني 1293م	عامة بلاد الشام	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 152/1.
-4	صفر 700 ه / تشرين الأول 1300م	عامة بلاد الشام	النويري،نهاية الأرب 257/31.
-5	708 ه / 1308م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية، 121/14.
-6	ربيع الأول 716 ه / أيار 1316م	عامة الشام	أبو الفضائل، النهج السديد والدرر الفريد 764.
-7	رجب 731 ه / آذار 1329م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 464/2.
-8	ا رمضان 731 ه / 9 حزيران 1329م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 466/2.
-9	أول رجب 738ه/الرابع والعشرين كانون الثاني	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 1024/3.
-10	13 شوال 748 ه / 15 كانون الثاني	دمشق	[1] ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، 150/1.
-11	ذو الحجة 753 ه / كانون الثاني 1353م	غزة	الدباغ،الموجز في تاريخ الدولة الإسلامية،83.
-12	9 جمادى الأولى 796 ه / 12 آذار 1393م	دمشق	ابن حجي، أحمد، تاريخ ابن حجي، 52/1.
-13	800 ه / 1398م	غزة والرملة	الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان ،/471.
-14	1 رجب 806 ه / 15 كانون الثاني 1403م	دمشق	ابن حجي، تاريخ ابن حجي، 616/2.
-15	9 محرم 833 ه / 8 تشرين الأول 1429م	حمص	ابن عبد الباسط،نيل الأمل، 262/3.
-16	صقر 837 ه / تموز 1433م	غزة والقدس	ابن عبد الباسط،نيل الأمل ، 262/3.
-17	878 ه / م	القدس	العلميي ،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،426/2.
-18	17 صفر 896 ه / 24 كانون الأول 1491م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان،113/1.
-19	18 ربيع الأول 903 ه / 13 تشرين الثاني 1497م	دمشق	البصروي، علي، تاريخ البصروي، 240.
-20	رجب 909 ه / كانون الثاني 1504م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، 220/1.

جدول رقم (5)

الرقم	تاريخ سقوط الثلج	مكان تساقطه	بعض المصادر التي أرخت لسقوطه
-1	محرم 659 ه / كانون الاول1260م	دمشق	الذهبي،تاريخ الإسلام، 72/2.
-2	668 ه / 1269م	عامة بلاد الشام	الكتبي،عيون التواريخ، 0312/20
-3	10 رمضان 680 ه / 22كانون الأول 1281م	دمشق	البرزالي،تاريخ البرزالي، 535/1
-4	685 ه / 1286م	ارسوف / غزة	العيني، عقد الجمان،351/2.
-5	صفر 692 ه / كانون الثاني 1293م	دمشق	البرزالي،تاريخ البرزالي، 317/2، 318.
-6	رجب 692ه / نيسان 1293م	بعلبك	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 152/1.
-7	صفر 700 ه / تشرين الأول 1300م	عامة بلاد الشام	الذهبي،دول الإسلام، 231/2.
-8	1 شوال 713 ه / 7 شباط 1314م	مشق	البرزالي،الوفيات، 225.
-9	ربيع الأول 716 ه / 29 كانون الأول 1316م	حلب، حمص، بعلبك	النويري،نهاية الأرب،32 /178.
-10	2 شوال 716 ه / 29 كانون الأول 1316م	حماة، اللاذقية	أبو الفداء،المختصر في أخبار البشر، 455/2.
-11	12 ربيع الأول 725 ه / 26 كانون الثاني 1326م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 177/1.
-12	6 رمضان 745 ه / 10 كانون الأول 1345م	دمشق	الذهبي، الذيول على العبر،134/4
-13	1 شوال 745 ه / 3 كانون الثاني 1346م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية، 297/14
-14	محرم 748 ه / آذار 1347م	حلب	الغزي،نهر الذهب في تاريخ حلب، 186/3.
-15	رمضان 752 ه / تشرين الثاني 1351م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 20/2.
-16	ذو الحجة 753 ه / كانون الأول 1352م	غزة	ابن عبد الباسط، نيل الأمل ، 246/1.
-17	11 جمادى الأول 797 ه / 5 آذار 1394م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 107/1.
-18	1محرم 798 ه / 13 كانون الثاني 1396م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 157/1.
-19	2 رجب 799 ه / 1 نيسان 1396م	دمشق	ابن حجي، تاريخ ابن حجي،224/1.
-20	1 ربيع الأول 800 ه / 22 كانون الأول 1397م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي،270/1.
-21	30 ربيع الثاني 800 ه / 20 كانون الثاني 1398م	صفد	ابن حجي،تاريخ ابن حجي،2/ 127.

-22	803 هـ / 1400م	دمشق	الصيرفي،نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، 92/2.
-23	14 ربيع الثاني 806 هـ / 3 تشرين الثاني 1403م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 610/2.
-24	شوال 881 هـ / كانون الثاني 1478م	دمشق/ الكسوة	البصروي،تاريخ البصروي، 79.
-25	15 محرم 896 هـ / 26 تشرين الثاني 1490م	دمشق	ابن طولون، مفاكهة الخلان 112/1.
-26	8 ربيع الأول 899 هـ / 7 كانون الثاني 1493م	القدس والرملة	العليمي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 494/2.
-27	30 ربيع الأول 899 هـ / 18 كانون الثاني 1493م	دمشق	ابن الحمصي، حوادث الزمان،34/1.
-28	6 ربيع الثاني 899 هـ / 24 كانون الثاني 1493م	القدس	العليمي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 495/2.
-29	900 هـ / 1494م	دمشق	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 370.
-30	30 ربيع الثاني 800 هـ / 20 كانون الثاني 1398م	صفد	ابن حجي،تاريخ ابن حجي،2/ 127.

جدول رقم (6)

الرقم	تاريخ سقوط البرد	مكان تساقطه	بعض المصادر التي أرخت لتساقطه
-1	رجب 671هـ / كانون الثاني 1272م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 361/2.
-2	17 ذي الحجة674 هـ / 5 أيار 1275م	دمشق	البرزالي، تاريخ البرزالي، 357/1.
-3	صفر 692 هـ / كانون الثاني 1293م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية، 51/16.
-4	701 هـ / 1301م	حلب	البرزالي،تاريخ البرزالي، 170/3.
-5	703 هـ / 1303م	غزة والرملة	مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، 129.
-6	ربيع الأول 716 هـ / أيار 1316م	المناطق الشمالية من بلاد الشام	النويري، احمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، 178/32.
-7	29 ربيع الثاني725 هـ /13 نيسان 1325م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 63/1.
-8	731 هـ / 3 أيار 1331م	دمشق	ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي، 424/2.
-9	14 رجب 800 هـ / نيسان 1398م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 654/3.
-10	محرم 825 هـ / كانون الثاني 1422م	بلاد حوران	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،105/4.
-11	ذي الحجة 825 هـ / تشرين الثاني 1422م	صفد	المقريزي،أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، 69/7.
-12	محرم 826 هـ / كانون الأول 1422م	بلاد حوران	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،124/7.
-13	شعبان 885 هـ / تشرين الأول 1481م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان،23/1.
-14	صفر 900 هـ / تشرين الثاني 1494م	غزة	ابن الحمصي، احمد، حوادث الزمان، 373/1.
-15	صفر 922 هـ / آذار 1516م	دمشق	ابن طولون، محمد، أعلام الورى، 22.

جدول رقم (7)

الرقم	تاريخ حدوث الصقيع والبرد	مكان حدوثه	بعض المصادر التي أرخت لها
1	657هـ - 1258م	دمشق	ابن دقماق،نزهة الأنام في تاريخ الاسلام، 255.
2	667هـ - 1268م	عامة بلاد الشام	الكتبي،عيون التواريخ، 382/20.
3	668هـ - 1269م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 64/2.
4	682هـ - 1283م	دمشق	ابن حبيب، تذكرة النبيه86/1.
5	ربيع الأول 691هـ / آذار 692م	دمشق وصحرائها	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 274/2.
6	699هـ - 1299م	دمشق	اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان،4/ 698
7	6 جمادى الآخرة 727هـ / 29 آذار 1327م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 2/ 181.
8	ذي الحجة 729هـ/ تشرين الأول 1329م	دمشق	ابن الجزري، محمد، تاريخ ابن الجزري، 332/2.
9	ذي الحجة 730هـ/ أيلول 1330م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري،402/2.
10	جمادى الآخرة 732هـ/ نيسان 1332م	دمشق	ابن الجزري، محمد، تاريخ ابن الجزري، 521/2.
11	17 صفر 734هـ/ 27 تشرين أول 1333م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 664/2.
12	رمضان 745هـ/ كانون الثاني 1345م	عامة بلاد الشام	ابن عبد الباسط، نيل الأمل،103/1.
13	763هـ - 1363م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 263/4.
14	محرم 785هـ/ شباط 1484م	دمشق	ابن صصرى،الدرة المضيئة في الدول الظاهرية،1.
15	793هـ - 1391م	حلب	ابن صصرى،الدرة المضيئة في الدول الظاهرية، 72.
16	4 رجب 799هـ/ 5 نيسان 1396م	دمشق وصحرائها	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 3/ 613.
17	12 شعبان 801هـ/ 23 نيسان 1399م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 1/ 349
18	10 ذي القعدة 811هـ/ 12 آذار م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 866/2

19	جمادى الأولى 828هـ - 1425م	عامة بلاد الشام	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،4/ 72.
20	841هـ - 1338م	عامة بلاد الشام	الصيرفي،نزهة النفوس والأبدان، 3/ 409.
21	صفر 885هـ / آذار 1488م	دمشق	ابن طولون، مفاكهة الخلان،1/ 13.
22	17 ربيع الثاني 894هـ/ 26 آذار 1489م	دمشق	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان، 87/1
23	6 شوال 907هـ/ 13 نيسان 1502م	دمشق	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان، 207/1.

جدول رقم(8)

الرقم	تاريخ هبوب الرياح	الاماكن التي هبت فيها	بعض المصادر التي أرخت لها
1	ذي الحجة 667هـ/ آب 1269م	عامة بلاد الشام	البرزالي،تاريخ البرزالي، 199.
2	668هـ/ 1269م	شمال بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 64/2
3	محرم 692هـ/ كانون الأول 1292م	معان	ابن كثير،البداية والنهاية، 352/13.
4	شعبان 698هـ/ أيار 1299م	بيروت	اليونيني،ذيل مرآة الجنان، 204/1
5	13 ربيع الأول 717هـ/ 25 أيار 1317م	حلب	ابن حبيب،تذكرة النبيه،8/2.
6	صفر 718هـ/ نيسان 1318م	طرابلس	البرزالي،الوفيات، 453.
7	محرم 719هـ/ 21 شباط 1319م	دمشق	الدمشقي،نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، 115.
8	جمادى الآخرة 723هـ/ حزيران 1323م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 66/3.
9	1شعبان 731هـ/ 10 أيار 1331م	دمشق	أبو الفداء،تاريخ أبو الفداء، 455/2.
10	14 شعبان 731هـ/ 20 أيار 1331م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 466/2.
11	صفر 740هـ/ آب 1339م	طرابلس	الذهبي،ذيول العبر،116/4.
12	745هـ/ 1344م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 421/3.
13	748هـ/ 1347م	عامة بلاد الشام	أبو الفداء،المختصر في أخبار البشر، 517/2.
14	رجب 749هـ/ آب 1348م	دمشق	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 313.
15	757هـ/ 1356م	عامة بلاد الشام	الذهبي،ذيول العبر،171/4.
16	محرم 759هـ/ كانون الأول 1375م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 129/2.
17	781هـ/ 1380م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 56/3.
18	7 محرم 783هـ/ 2 نيسان 1381م	دمشق	ابن العراقي،الذيل على العبر،506/2.
19	جمادى الأولى 783هـ/ آب 1381م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 120/5.
20	رمضان 792هـ/ آب 1390م	طرابلس	الصيرفي،نزهة النفوس والأبدان،312/1.
21	جمادى الاولى800هـ/ شباط1398م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة،654/3.
22	رمضان 806هـ/ نيسان 1404م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 357/4.
23	ربيع الأول 825هـ/ آذار 1422م	الكرك	ابن حجر العسقلاني،أنباء الغمر بأبناء العمر ، 450/7.
24	10 شعبان841هـ/ 4 شباط 1438م	المناطق الغربية والشمالية لبلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 347/7.
25	19 شعبان 841هـ/ 19 شباط 1438م	دمشق، صفد، الأغوار	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،22/5.
26	شوال 841هـ/ أيار	صفد	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 352/7.
27	شعبان 844هـ/ كانون الثاني 1441م	طرابلس	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،131/5.
28	1 محرم 885هـ/ 14 آذار 1480م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،9/1.
29	صفر 885هـ/ نيسان 1480م	دمشق	ابن طولون، مفاكهة الخلان ،15/1.
30	ذو الحجة 885هـ/ كانون الثاني 1481م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،29/1.
31	ربيع الثاني 890هـ/ أيار 1485م	دمشق	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان، /58
32	شعبان 894هـ/ تموز 1489م	دمشق	السخاوي،وجيز الكلام،527/2.

33	3 رمضان 897هـ/ 28 حزيران 1492م	دمشق	ابن الحمصي،حوادث الزمان،335/1
34	ذو الحجة 897هـ/ آب 1492م	دمشق	ابن الحمصي، ، حوادث الزمان،341/1.
35	9 محرم 899هـ/ 5 تشرين الأول 1493م	دمشق	ابن الحمصي، حوادث الزمان،345/1.
36	رجب 909هـ/ كانون الثاني 1504م	سخنين	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان،220/1
37	رمضان 909هـ/ شباط 1504م	صيدا	ابن سباط،صدق الأخبار، 929/2.
38	17 محرم 916هـ/ 16 نيسان 1510م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،275/1.
39	19 محرم 917هـ/ 17 نيسان 1511م	دمشق	ابن طولون، محمد، مفاكهة الخلان، 285/1.

جدول رقم(9)

الرقم	تاريخ حدوث الصواعق	الأمكنة التي وقعت فيها	المصادر التي أرخت لها
1	رمضان 676هـ/ كانون الثاني 1277م	صفد	ابن كثير،البداية والنهاية، 367/13.
2	687هـ/ 1288م	حلب	السيوطي،المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،51/2.
3	698هـ/ 1298م	شمال بلاد الشام	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 172/1.
4	شعبان 804هـ/ آذار 1402م	دمشق	ابن عبد الباسط،نيل الأمل، 75/.
5	محرم 827هـ/ 1423م	عجلون	النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس، 196/2.
6	شعبان 894هـ/ تموز 1489م	بعلبك	ابن عبد الباسط،نيل الأمل في ذيل، 161/8
7	17 محرم916هـ/ 16 نيسان 16هـ/ 1510م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،275/1.

جدول رقم(10)

الرقم	تاريخ حدوث ا الجفاف	المناطق التي أثر فيها	المصادر التي أرخت لها
1	658هـ/ 1259م	دمشق	اليافعي،مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 114/4.
2	659هـ/ 660م	عامة بلاد الشام	المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 268/2.
3	674هـ/ 1276م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية، 362/13.
4	680هـ/ 1282م	عامة بلاد الشام	الذهبي،تاريخ الإسلام،61/4.
5	691هـ/ 1292م	دمشق	البرزالي،تاريخ البرزالي، 272/2.
6	694هـ/ 1295م	غرب الشام والقدس	المقريزي،إغاثة الأمة في كشف الغمة،34.
7	695هـ/ 1296م	بلاد حوران والقدس	مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك،37.
8	696هـ/1297م	بلاد الشام	الطراونة،مملكة صفد في عهد المماليك،189.
9	697هـ/ 1297م	عامة بلاد الشام	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 394/1.
10	704هـ/ 1304م	منطقة الأغوار	المنصوري،التحفة الملوكية في الدولة التركية، 176.
11	705هـ/ 1305م	فلسطين	الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، 189.
12	706هـ/ 1307م	عامة بلاد الشام	اليونيني،ذيل مرآة الزمان، 172/2.
13	719هـ/ 1319م	عامة بلاد الشام	الكتبي،عيون التواريخ، 82/2.
14	723هـ/ 1322م	عامة بلاد الشام	أبو الفداء،المختصر في أخبار البشر، 439/2.
15	725هـ/ 1325م	عامة بلاد الشام	المقريزي،درة العقود الفريدة، 462/.
16	747هـ/ 1346م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 4/ 40.
17	748هـ/ 1347م	بلاد حوران، دمشق، القدس	ابن كثير،البداية والنهاية، 14/ 306.
18	754هـ/ 1353	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 4/ 186.
19	760هـ/ 1358	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 2/ 149.
20	782هـ/ 1380م	عامة بلاد الشام	ابن حجر العسقلاني،أنباء الغمر بأبناء العمر ، 257/52 .
21	790هـ/ 1388م	القدس	ابن حجر العسقلاني،أنباء الغمر بأبناء ، 5، 275/2.
22	797هـ/ 1394م	عامة بلاد الشام	ابن صصرى،الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، 164.
23	798هـ/ 1395م	القدس	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 165/1.
24	799هـ/ 1396م	عامة بلاد الشام	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 611/3.

25	800هـ/ 1398م	عامة بلاد الشام	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 652/3.
26	807هـ/ 1404م	عامة بلاد الشام	ابن حجي،تاريخ ابن حجي،675/2.
27	818هـ/ 1415م	عامة بلاد الشام	السخاوي،وجيز الكلام ،1/ 194.
28	820هـ/ 1417م	عامة بلاد الشام	ابن حجر العسقلاني،أنباء الغمر بأبناء العمر ،268/7.
29	825هـ/ 1422م	عامة بلاد الشام	حجة،شوكت، التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن،263.
30	829هـ/ 1426م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 7/ 131.
31	831هـ/ 1428م	عامة بلاد الشام	ابن عبد الباسط، نيل الأمل، 237/4.
32	873هـ/ 1468م	عامة بلاد الشام	البصروي،تاريخ البصروي، 34.
33	891هـ/ 1486م	عامة بلاد الشام	البصروي،تاريخ البصروي، 108.
34	895هـ/ 1489م	عامة بلاد الشام	العليمي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ .
35	906هـ/ 1500م	حوران	ابن طولون،مفاكهة الخلان،194/1.
36	918هـ/ 1512م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،291/1.
37	920هـ/ 1514م	دمشق	ابن طولون، محمد، أعلام الورى،220.
38	921هـ/ 1515م	عامة بلاد الشام	ابن طولون،مفاكهة الخلان،1/ 308.

جدول رقم(11)

الرقم	تاريخ هجوم الجراد	المواقع التي هاجمها	بعض المصادر التي أرخت لهجومه
1	699هـ/ 1299م	دمشق	ابن صصرى،الدرر المضيئة في الدول الظاهرية،1.
2	701 هـ/ 1302م	دمشق	اليونيني،ذيل مرآة الزمان، 656/1.
3	702 هـ/ 1303م	لبنان	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 283 .
4	703 هـ/ 1304م	غزة وقاقون	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 2/ 370.
5	715هـ/ 315م	حدود بلاد الشام	البرزالي،الوفيات، 311.
6	724هـ/1323م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 72/3.
7	727هـ/ 1326م	حلب	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 181/2
8	743هـ/1342م	دمشق	أبو الفداء،المختصر في أخبار البشر، 499/2.
9	747هـ/1342م	دمشق	ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 491/2.
10	محرم 748هـ/ نيسان1347م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 64/4.
11	752هـ/ 1351م	دمشق	ابن عبد الباسط، نيل الأمل،212/1.
12	756هـ/ 1355م	دمشق	الذهبي،ذيول العبر ، 167/4.
13	765هـ/ 1363م	عامة بلاد الشام	أبو زيتون،المجاعات في مصر والشام في العصر المملوكي، 20.
14	766هـ/ 1364م	دمشق	ابن كثير،النهاية والبداية، 400/14.
15	شعبان 803هـ/ آذار 1401م	عامة بلاد الشام	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،59/3.
16	شوال 803هـ/ أيار 1401م	عامة بلاد الشام	ابن عربشاه،عجائب المقدور،147
17	صفر 813هـ/ أيار 1410م	سواحل بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 258/6.
18	861هـ/1456م	عامة بلاد الشام	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 355.
19	محرم 883هـ/ نيسان 1478م	عامة بلاد الشام	ابن الحمصي،حوادث الزمان،221/1.
20	ربيع الأول 883هـ/ حزيران 1478م	عامة بلاد الشام	ابن الحمصي، حوادث الزمان ،223/1.
21	محرم 884هـ/ نيسان 1479م	دمشق	ابن عبد الباسط،نيل الأمل،284/7.
22	885هـ/ 1480م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،18/1.
23	صفر 887هـ/ آذار 1482م	دمشق	ابن طوق،التعليق،159/1.
24	ربيع الثاني 888هـ/ أيار 1483م	دمشق	ابن الحمصي،حوادث الزمان، 284/1.
25	889هـ/ 1484م	القدس	العليمي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 459/2.
26	جمادى الأولى 890هـ/ أيار 1485م	دمشق	ابن عبد الباسط،نيل الأمل، 411/.
27	جمادى الآخرة 894هـ/ آذار 1489م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان،88/1.
28	10 شعبان 894هـ/ 8تموز 1489م	دمشق	ابن طولون، محمد، مفاكهة،92/1.
29	شعبان 900هـ/ أيار 1494م	دمشق	ابن طوق،التعليق1242/3.

جدول رقم (12)

الرقم	تاريخ ظهور الفئران	المناطق التي ظهرت بها	بعض المصادر التي أرخت لظهورها
1	659هـ -1261م	حوران والجولان	ابن واصل، مفرج الكروب،322.
2	748هـ - 1347	حوران والجولان	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 502/1.
3	770هـ - 1369م	بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 374/4.
4	شهري رمضان وشوال 802هـ/ شـهري آذار وأيـار 1399م	الجولان، حوران، الجيدور	ابن حجي، تاريخ ابن حجي، 432/1.
5	827هـ - 1424م	غزة والرملة والقدس	ابن الصيرفي،نزهة النفوس والأبدان، 71/3
6	828هـ - 1425م	اللجون	السخاوي،وجيز الكلام ،475/2.

جدول رقم(13)

الرقم	نوع الوباء	تاريخ تفشيه	المنطقة التيتفشى فيها	بعض المصادر التي أرخت لتفشيه
1	طاعون	656هـ /1258م	عامة بلاد الشام	ابن شامة،الذيل على الروضتين، 306.
2	طاعون	658هـ/ 1259م	دمشق	السيد،القدس في عصر المماليك، 71.
3	حميات	672هـ/ 1273م	القدس والرملة	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 87/2.
4	وخم	658هـ/ م	غزة	العيني،عقد الجمان،351/2.
5	سعال	726هـ/ 1325م	دمشق	ابن الجزري،تاريخ ابن الجزري، 123/2.
6	وخم	726هـ/ 1325م	من الفرات إلى دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 90/3.
7	طاعون	743هـ/ 1342م	دمشق والكرك	الدويهي، تاريخ الأزمنة، 307.
8	وخم	748هـ/ 1347م	صفد	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 116/3.
9	طاعون	749هـ/1348م	عامة بلاد الشام	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ة، 155/10.
10	طاعون	شعبان 764هـ/أيار 1363م	عامة بلاد الشام	الأنصاري، تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين،110.
11	طاعون	شعبان 765هـ/ أيار 1363م	دمشق	ابن كثير،البداية والنهاية، 402/14.
12	طاعون	رمضان 770هـ/ شباط 1368م	دمشق	السخاوي ، وجيز الكلام،1/ 171.
13	طاعون	محرم 771هـ/ 1369م	دمشق	ابن إياس، بدائع الزهو،ج1، ق2، 96.
14	طاعون	773هـ/ 1371م	دمشق	ابن إياس، ، بدائع الزهو،ج1، ق2، 109.
15	طاعون	صفر 774هـ/ آب 1372م	دمشق	ابن العراقي، لذيل على العبر، 335/2.
16	طاعون	رمضان 775هـ/ شباط 1374م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 435/2.
17	طاعون	محرم 776هـ/ حزيران 1374م	عامة بلاد الشام	ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر،100/1.
18	طاعون	779هـ/ 1377م	صفد	السخاوي، وجيز الكلام،1/ 234.
19	طاعون	783هـ/1382م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 131/5.
20	طاعون	صفر 784هـ/ آذار 1382م	حلب	ابن الشحنة، روض المناظر،291.
21	طاعون	جمادى الأول 787هـ/ حزيران 1385م	حلب	ابن عبد الباسط،نيل الأمل ، 232/2.
22	طاعون	789هـ/ 1387م	دمشق	السخاوي، وجيز الكلام، / 281.
23	طاعون	جمادى الأولى 790هـ/ آذار 1388م	القدس وغزة والمناطق الساحلية من بلاد الشام	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 244/3.
24	طاعون	جمادى الأولى 795هـ/ آذار 1393م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 468/3.
25	طاعون	رجب 795هـ/ أيار 1393م	عامة بلاد الشام	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 468/3.
26	طاعون	جمادى الأولى 796هـ/ آذار 1394م	عامة بلاد الشام	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 59/1.
27	طاعون	رمضان 799هـ/ أيار 1397م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 618/3.
28	طاعون	رمضان 800هـ/ أيار 1398م	دمشق	ابن حج،تاريخ ابن حجي، 291/1.
29	حمى	800هـ/ 1398م	دمشق	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 307/1.
30	حمى	806هـ/ 1403م	دمشق	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 354/6.
31	طاعون	صفر 812هـ/ حزيران 1409م	دمشق، حمص، حماة، طرابلس	ابن عبد الباسط،نيل الأمل ، 180/3.
32	طاعون	محرم 813هـ/ أيار 1410م	عامة بلاد الشام	ابن حجي،تاريخ ابن حجي، 931/1.
33	طاعون	محرم 814هـ/ أيار 1411م	طرابلس، حوران،	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 290/6.
34	سعال	816هـ/ 1413م	دمشق	ابن قاضي شهبة،تاريخ ابن قاضي شهبة، 348/4.

35	حميات	816هـ/ 1413م	دمشق، حماة، حلب	ابن إياس،بدائع الزهور،ج1، ق2، 686.
36	طاعون	ربيع الأول 819هـ/ نيسان 1416م	دمشق، طرابلس	الصيرفي،نزهة النفوس والأبدان، 363/2.
37	طاعون	ربيع الأول 820هـ/ آذار 1417م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 410/6.
38	طاعون	ذي الحجة 825هـ/ تشرين الثاني 1422م	حلب	السخاوي، وجيز الكلام،475/2
39	طاعون	ربيع الأول 826هـ/ نيسان 1423م	عامة بلاد الشام	ابن عبد الباسط، نيل الأمل ، 475/2.
40	طاعون	ربيع الأول 830هـ/ كانون الثاني 1426م	صفد	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 148/7.
41	طاعون	شعبان 832هـ / أيار 1429م	بلاد فلسطين	الصيرفي نزهة النفوس والأبدان، 159/3
42	طاعون	صفر 833هـ/ تشرين الأول 1429م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 1/ 474.
43	وباء	838هـ/ 1434م	عامة بلاد المسلمين	ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 328/9
44	طاعون	محرم 841هـ/ تموز 1437م	عامة بلاد الشام	المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك، 7/ 342.
45	طاعون	852هـ/ 1448م	حلب	الحلبي،اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء،46/3.
46	طاعون	853هـ/ 1449م	عامة بلاد الشام	الأنصاري، تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين،110.
47	طاعون	جمادى الآخرة 863هـ/ آذار 1459م	حلب	ابن عبد الباسط، نيل الأمل،57/6
48	طاعون	محرم 864هـ/ تشرين الأول 1459م	القدس وغزة	ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة 110/16
49	طاعون	صفر 864هـ/ تشرين الثاني 1459م	دمشق	ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ،446/9
50	طاعون	رمضان 873هـ/ آذار 1468م	دمشق والمناطق الشمالية للشام	البصروي، علي، تاريخ البصروي، 36
51	طاعون	محرم 874هـ/ تموز 1469م	القدس	ابن سباط،صدق الأخبار،814/2
52	طاعون	محرم 881هـ/ آذار 1476م	عامة بلاد الشام	البصروي،تاريخ البصروي، 81
53	طاعون	882هـ/ 1477م	دمشق وبلاد فلسطين	البصروي،تاريخ البصروي،82
54	طاعون	جمادى الآخرة 897هـ/ آذار 1492م	عامة بلاد الشام	العليمي،الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 486/2
55	طاعون	شعبان 903هـ/ نيسان 1497م	دمشق	البصروي، تاريخ البصروي، 220
56	وباء	904هـ/ 1498م	بيروت	ابن سباط،صدق الأخبار ، 921/2
57	طاعون	909هـ/ 1503م	دمشق	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 378
58	جدري	916هـ/ 1510م	عامة بلاد الشام	ابن الحمصي، حوادث الزمان 225/3
59	وسعال	916هـ/1510م	دمشق	ابن الحمصي،حوادث الزمان 228/3
60	جدري وجرب	917هـ/ 1510م	دمشق	الدويهي،تاريخ الأزمنة، 381
61	طاعون	جمادى الأولى 919هـ/ تموز 1513م	عامة بلاد الشام	ابن طولون،مفاكهة الخلان ،307/1
62	وسعال	921هـ/1515 م	دمشق	ابن طولون،مفاكهة الخلان ، 323/2

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

ثانياً المصادر والمراجع العربية

ثالثاً: الرسائل الجامعية

رابعاً: الدوريات

خامساً المصادر والمراجع الأجنبية

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:المخطوطات :

1. ابن الأزرق إبراهيم، (ت902هـ - 1496م)، **تسهيل المنافع في الطب والحكمة**، مخطوط بجامعة طوكيو تحت رقم 1226.

2. الأنصاري، زكريا، (ت925هـ - 1519م)، **تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين**، مخطوط في جامعة برنتسون، ويوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة

3. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر (ت 713هـ - 1313م)، **درر التيجان وغرر تواريخ الزمان** مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم .4409

4. البيلوني، محمد (ت1085هـ - 1674م)، **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون**، مخطوط موجود بمكتبة الملك سعود تحت رقم 5605.

5. الجعفري، محمد، (من وفيات القرن الثامن الهجري)، **أنهج الطرايق والمنهاج والسلوك إلى تواريخ الأنبياء والملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، باريس، رقم 1815، ويوجد نسخة مصورة عنه بمركز المخطوطات والوثائق بالجامعة الأردنية تحت رقم 341.

6. ابن حبيب، الحسن (ت779هـ - 1377م)، **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، مخطوط ضمن مجموعة مارشن بولد ليان إكسفورد، يوجد نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم .539

7. السيوطي، عبد الرحمن، (ت911هـ - 1505م)، **ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**، مخطوط بمكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم 193.

8. العمادي، حامد (ت1171هـ - 1757م) **رسالة الحوقلة في الزلزلة**، مخطـوط ضـمن مجموعـة بيرتسون، ويوجد نسخة مصورة عنه في الجامعة الأردنية تحت رقم 2085.

9. الفيومي، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1776.

10. ابن النجيم المصري (ت970هـ - 1562م)، **رسالة في ضبط أهل النقل في خبر الفضل في حـق الطاعون والوباء**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، تحت رقم 5935.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية :

1. ابن أجا، محمد بن محمود(ت881هـ/1476م)، **العراك بين المماليك والعثمانيين والأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار**،صنعه:محمد دهمان، دار الفكر للطباعـة والتوزيـع والنشـر دمشق،1406هـ/1986م.

2. الإدريسي، محمد بن إدريس(ت560هـ/1164م)،، **نزهة المشـتاق فـي اختـراق الآفـاق**،عـالم الكتب،بيروت،1410هـ/1989م،(جزءان).

3.إديوري،بيترو،**قبرص والحروب الصليبية**،دار الملتقى للطباعة والنشر،قبرص،1417هـ/1997م.

4. أسامة، حسن،**الناصر محمد بن قلاوون**، دارا لأمل،(د.م)، ،1418هـ/1997م.

5. الأسدي،محمد بن خليل(ت855هـ/1451م)،**التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيمن يجب مـن حسـن التـدبير والتصـرف والاختيـار**،تحقيـق عبـدالله طليمـات،دار الفكـر العربي،القاهرة،1368هـ/1968م.

6. الإصطخري،إبراهيم أبو القاسم(ت340هـ/951م)،**المسالك والممالك**،تحقيق:محمدجابرالحيني،مراجعة محمد شفيق غربال،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،الجمهورية العربية المتحدة1381هـ/1961م .

7. الألوسي،محمود شكري(ت1322هـ/1924م)،**بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**،عني بشرحه وتصحيحه:محمد بهجت الأثري،منشورات دار الشرق العربي،ط1،بيروت،1410هـ/1990م .

8. الإمام،رشاد،**مدينة القدس في العصر الوسيط**،الدار التونسية للنشر،ط1،(د.م) 1416هـ/1996م .

9. ابن إياس، محمد بن احمد (ت930هـ/1523م)،**بدائع الزهور في وقائع الدهور**،تحقيق:محمد مصطفى،الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة،1984م،(5 أجزاء).

10. ـــــــ **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، دارا لجليل،بيروت،1410هـ/2010م.

11.ابن أيبك الدواداري،أبو بكربن عبدالله(ت713هـ/1313م)،**كنز الدرر وجامع الغرر**،تحقيق: هانسروبرت رويمر،قسم الدرسات الإسلامية بالمعهد الألماني، القاهرة،1371هـ/1971م

12.البخيت،محمد عدنان، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**،المعهد الدبلوماسي الأردني، الأردن،1998م.

13. البدري،أبي البقاء عبد الله(من وفيات القرن التاسع الهجري)، **نزهة الأنام في محاسن الشام**، دار الرائد العربي،بيروت،1400هـ/1980م.

14.البديري، محمد، **حوادث دمشق اليومية**،دار ابن حزم،بيروت،1424هـ/2004م.

15.البرزالي،القاسم،(ت890هـ/1485م) **المقتفى على كتاب الروضتين"المعروف بتاريخ البرزالي**"تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،صيدا،(د.ت)،(4 أجزاء).

16 ـــــــ **الوفيات**،ضبط النص وعلق عليه: أبو يحيى عبد الله الكندري،غراس للنشر والتوزيع،(د.م) 1426هـ/2005م.

17. البصروي،علي بن يوسف(ت904هـ/1498م)، **تاريخ البصروي** "**صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك**"، تحقيق:أكرم حسن العلبي،دار المأمون للتراث،دمشق،(د.ت).

18. ابن بطوطة،محمد بن عبدالله(ت779هـ/1377م)،**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة**،دار التراث،بيروت،1368هـ/1968م.

19. البعلبكي،ميخائيل موسى،**تاريخ بعلبك**،المطبعة الأدبية،بيروت،(د.ت).

20. البغدادي،عبد المؤمن بن عبد الحق(ت739هـ/1338م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** تحقيق:علي محمد البيجاوي،دار الجليل،بيروت،1411هـ/1992م.

21. البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1403هـ/1883م.

22. البكري، عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م)،**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**،تحقيق مصطفى السقا،عالم الكتاب،ط3،بيروت، 1403هـ/1882م(4اجزاء) .

23.ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت874هـ/1469م)،**الدليل الشافي على المنهل الصافي**،حققه وقدم له:فهيم محمد شلتوت،دار الكتب المصرية،ط2،القاهرة، 1408هـ/1988م (جزءان).

24. ـــــــ **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**،تحقيق محمد محمد أمين،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1406هـ/1986م،(7 أجزاء).

25. ـــــــــ **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**،تحقيق:نبيل محمد عبد العزيز،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،1417هـ/1997م،(جزءان).

26. ـــــــــ **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**،تحقيق:محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية،بيروت،1413هـ/1992م،(16 جزء).

27.توا،فادي، **المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك**،(د.ن) بيروت،1419هـ/1998م.

28. توني، يوسف،**معجم المصطلحات الجغرافية**،دار الفكر العربي،(د.م)،1377هـ/1977م.

29. ابن تيمية، تقي الدين (ت728هـ/1327م)،**الحسبة في الإسلام**،تحقيق:سيد أبي سعد،مكتبة دار الأرقم،الكويت،1403هـ/1983م.

30 ـــــــــ **مجموعة فتاوي ابن تيمية**،تحقيق:سليمان عبد السلام الغصن وآخرون،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،ط2،السعودية،1425هـ/2004م،(37 جزء).

31. جاد الرب،حسام الدين،**الجغرافيا البشرية**،المكتبة الجغرافية،،(د.ط)،(د.م)،(د.ت).

32. ابن جبير،محمد بن أحمد(ت614هـ/1217م)،**رحلة ابن جبير**،دار صادر،بيروت،(د.ت)

33. **ابن** الجزري،محمد بن إبراهيم(ت738هـ/1338م)،**تاريخ حوادث الزمان ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف"بتاريخ ابن الجزري"**،المكتبة العصرية،صيدا،(د.ت).

34. الجزيري ،عبد القادر محمد (ت977هـ/1569م)،تحقيق:محمد حسن إسماعيل،**الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**،تحقيق:محمد حسن إسماعيل،دار الكتب العلمية، بيروت،1422هـ/2002م(جزءان).

35. جمعه،علي،**المكاييل والموازين الشرعية**،القدس للإعلان والنشر،ط2،القاهرة،1421هـ/2001م.

36. حاطوم، نور الدين،**تاريخ العصر الوسيط في أوروبا**،دار الفكر ،دمشق،1413هـ/1993م،(جزءان).

37. ابن حبيب،الحسن بن عمر(ت779هـ/1377م)،**تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**،تحقيق:محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1406هـ/1986م.

38 ـــــــــ **المنتقى من درة الأسلاك في "ملك" "الأتراك" "في تاريخ حلب الشهباء"**،تحقيق:عبد الجبار زكار،تقديم:سهيل زكار،دار الملاح للطباعة والنشر،(د.م)،(د.ت).

39. حجة، شوكت رمضان، **التاريخ السياسي لمنطقة شرق الأردن(من جنوب الشام) في عصر دولة المماليك الثانية**،مؤسسة حمادة للدرسات الجامعية والنشر والتوزيع،ط1،إربد، الأردن 2003هـ/2002م.

40 ـــــــ **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس**،مؤسسة حمادة إربد،2005م.

41. ابن حجر العسقلاني،أحمد بن علي (ت852هـ/1449م)،**أنباء الغمر في أبناء العمر في التاريخ** دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت)،(9 أجزاء).

42 ـــــــــــ **بـذل المـاعون فـي فضـل الطـاعون**،تحقيـق:أحمـد عصـام الكاتـب،دار العاصمة،الرياض،1410هـ/1990م.

43 ـــــــ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجليل،بيروت،(د.ت)،(4 أجزاء).

44 ـــــــ **ذيل الـدرر الكامنـة**،تحقيـق:عـدنان درويش،معهـد المخطوطـات العربيـة،(د.م) 1412هـ/1992م.

45. الحجي، حياة، **أحوال العامة في حكم المماليك دراسة فـي الجوانـب السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية**،شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع،الكويت، 1404هـ/1884م.

46. ابن حجي،شهاب الدين أحمد (ت815هـ/1412م)، **تاريخ ابن حجي**،ضبط النص وعلق عليه:أبـو يحيى عبد الله الكندري،دار ابن حزم،بيروت،1424هـ/2003م،(جزءان).

47. حسن،أسامه، **رجال لهم تاريخ**،دار الأمل،(د.م)، 1419هـ/1999م.

48. حسـين،حميدي عبـد المـنعم، **دراسـات فـي تـاريخ الأيـوبيين والمماليـك**،دار المعرفـة الجامعية،السويس،2000م.

49. الحلبي،محمد راغب،**أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**،المطبعة العلمية،حلب،(د.ت)|،(7 أجزاء).

50. حمزة، عادل عبد الحافظ، **نيابة حلب في عصر سلاطين المماليـك**،الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب،(د.م)،2000م.

51. حمزة، عفت وصال،**الكوارث الطبيعية**،دار ابن حزم،بيروت،1423هـ/2003م.

52. ابــن الحمصــي،أحمد بــن محمــد (ت934هـ/1527م)،**حــوادث الزمــان ووفيــات الشــيوخ والأقران**،تحقيق:عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس،بيروت،1421هـ/2000م،(3 أجزاء).

53. الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت626هـ/1228م)،**معجم البلدان**،دار صادر،بيروت،(د.ت)،(5أجزاء).

54. الحميري،محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1494م)،**الروض المعطار في خبر الأقطار**،تحقيق:إحسان عباس، مكتبة لبنان،بيروت،1974م.

55. الحنبلي،عبد الرحمن(ت927هـ/1521م)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق: محمود عودة الكعابنة، إشراف : محمود علي عطا،مكتبة دنديس،ط1،الخليل،1412هـ/1992م،(جزءان).

56. ابــن حوقــل، أبــو القاســم محمــد (ت367هـ/977م)،**صــورة الأرض**، منشــورات دار مكتبــة الحياة،(د.م)،(د.ت).

57 ـــــــــــ **المسالك والممالك**،بريل،لندن،(د.ت).

58. ابــن خرداذبــه، عبيــد الله بــن عبــدالله(ت280هـ/893م)،**المســالك والممالــك**،مكتبــة المثنى،(د.ط)،بغداد،(د.ت).

59.الخطيب،إبراهيم،**تاريخ المغول والمماليك**،مؤسسة دار شيرين،عمان،1413هـ/1993م.

60. الخطيب،مصــطفى عبــد الكــريم،**معجــم المصــطلحات والألقــاب التاريخيــة**،مؤسســة الرسالة،(د.ط)،(د.ت).

61. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون(ديوان المبتدأ والخبــر في تاريخ العرب والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الأكبر)**،ضــبط المــتن والحواشــي والفهارس :خليل شحادة،مراجعة:سهيل زكار،دار الفكــر،(د.ط)،بيــروت،1421هـ/2000م (7 أجزاء).

62 ـــــــــ **مقدمـــــة ابـــن خلـــدون**،تحقيـــق:حامـــد أحمـــد الطـــاهر،دار الفجـــر للتراث،ط1،القاهرة،1425ه/2004م .

63.خليـــف، يوســـف، **شـــعراء الصـــعاليك فـــي العصـــر الجـــاهلي**، دار الكتـــاب العربـــي ،بيروت،1425ه/2005م.

64. الخوارزمي، محمد بن أحمد(ت232ه/847م)،**مفاتيح العلـوم**،تحقيـق: عثمـان خليل،مطبعـة بريل،بليدن،1349ه/1930م.

65. الدباغ،مصطفى،**بلادنا فلسطين**،دار الهدى،كفر قرع، 1411ه/1991م،(7 أجزاء).

66 ـــــــــ **الموجز في تاريخ الدولة الإسلامية وعهودها في بلادنـا فلسـطين**، دار الطليعـة للطباعة والنشر،بيروت،1401ه/1981م.

67. الدجاني، يعقوب وزميله، **الرملة**، (د.ن)،الأردن،1413ه/1993م.

68.ابن دقماق، إبراهيم بن محمد(ت809ه/1406م)،**الانتصار لواسطة عقد الأمصار**،المطبعة الأمريكية الكبرى،(د.م)،(د.ت)،(جزءان).

69 ـــــــــ **الجوهر الثمين في سيرة الملـوك والسـلاطين**،تحقيـق:سـعيد عاشـور،جامعة أم القرى،(د.ط)،مكة المكرمة، 1403ه/1983م،(جزءان).

70 ـــــــــ **نزهـة الأنـام فـي تـاريخ الإسـلام**،تحقيـق:سـمير طبّـارة، المكتبـة العصـرية ،بيروت،1420ه/1999م.

71 ـــــــــ **النفحة المسكية في الدولة التركية**،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية ،بيروت،1420هـ/1999م.

72. الدمشقي محمد بن أبي طالب(ت727هـ/1327م)،**نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**،اختار النصوص واعدها وقدم لها:عبد الرزاق الأصفر،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق1403هـ/1983م.

73. دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر دمشق،1410هـ/1990م.

74 ـــــــــ **ولاة دمشق في عهد المماليك**،دار الفكر،ط2،دمشق،1401هـ/1981م.

75. الدويهي، أسطفان، **تاريخ الأزمنة**، نشره وعلق على حواشيه:الاتابي بطرس فهد،(د،ن)،(د.ت).

76. الديار بكري، حسين بن محمد(ت966هـ/1558م)،**تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع،بيروت،(د.ت)،(جزءان).

77. الذهبي، محمد بن أحمد(ت748هـ/1347م)،**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**،تحقيق:عبد السلام تدمري،دار الكتاب العرب،بيروت،1419هـ/1999م.

78 ـــــــــ **دول الإسلام**،تحقيق:حسن إسماعيل مروة،دار صادر،بيروت 1419هـ/1999م،(جزءان).

79 ـــــــــ **سير أعلام النبلاء**،إشرف على تحقيقه:شعيب الارنؤوط،مؤسسة الرسالة،ط3،بيروت،1405هـ/1985م،(25 جزء).

80 ـــــــ **العبر في خبر من عبر**،تحقيق وإشراف: هاجر محمد زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت)،(4 أجزاء).

81. ابن الرفعة، أبي العباس نجم الدين الأنصاري(ت710هـ/1310م) **الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان**،تحقيق:محمد الخاروف،دار الفكر،دمشق،1400هـ/1980م.

82. رمضان، أحمد، **المجتمع الإسلامي في بلاد الشام**، دار الكتب العلمية،بيروت،1423هـ/2003م.

83. رمضان،عبد العظيم،**الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية**،دار المعارف،القاهرة،(د.ت).

84.الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،دار العلم للملايين،ط6،بيروت،1405هـ/1985م،(8 أجزء).

85. الزيات، حبيب، **نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق**،دار الفكر،دمشق،1427هـ/2007م.

86. زياده، نقولا،دمشق **في عصر المماليك**،مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر،نيويورك،1966م.

87. الزين، أحمد عارف، **تاريخ صيدا**،مطبعة العرفان،صيدا،(د.ت).

88. سالم،عبد العزيز، **تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي**،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1406هـ/1986م.

89.ـــــــ **طرابلس في التاريخ الإسلامي**، المكتبة العصرية،بيروت،1427هـ/2007م.

90. ابن سباط، حمزة بن أحمد(ت بعد 926هـ/1520م)، **صدق الأخبار "تاريخ ابن سباط"**، تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،جروس بروس،طرابلس،1413هـ/1993م،(جزءان).

91. السبكي،محمد(ت771هـ/1369م)، **معيد النعم ومبيد النقم**،تحقيـق: محمـد علـي النجار،مكتبة المثنى،بغداد،(د.ت).

92. السخاوي،محمد بن عبد الرحمن(ت902هـ/1496م)، **التبر المسبوك في ذيل الملوك**،مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،(د.ت).

93 ـــــــــ **الضـوء اللامـع لأهـل القـرن التاسـع**،تحقيـق:محمـد جمـال القاسـمي، دار الجليل،بيروت،1412هـ/1992م،(12 جزء).

94 ـــــــــ **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيـق:بشـار عـواد معروف،مؤسسة الرسالة،بيروت،1416هـ/1995م،(4 أجزاء).

95.سليم،محمود رزق،**عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**،المطبعة النموذجيـة،ط2،(د.م) 1384هـ/1965م،(5 أجزاء).

96. سليمان، فتوح، **اليهود والقدس دراسة تاريخية للادعاءات الصهيونية وممارستها في المدينـة**، دار الكتب العلمية،بيروت،1428هـ/2008م.

97. سليمان، مصـطفى، **الـزلازل مـن فجـر التـاريخ إلـى اليـوم**،الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب،القاهرة،1416هـ/1996م.

98.السيد،علي السيد،**القدس في العصر المملوكي**،دار الفكر،القاهرة،بيروت،1406هـ/1986م.

99.السـيد،محمود، **تـاريخ العـرب فـي أخطـر المعـارك الحربيـة فـي العـالم**، المكتبة العصرية،بيروت،1426هـ/2006م.

100.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م) **تاريخ الخلفاء** دار ابن حـزم للطباعـة والنشر والتوزيع،بيروت،1424هـ/2003م.

101 ـــــــــ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق:محمد أبو الفضل إبـراهيم،دار إحياء الكتب العربية،(د.م) 1387هـ/1968م،(جزءان).

102 ـــــــــ **كشف الصلصلة عن وصف الزلزلـة**،تحقيـق:محمـد كمـال عـز الـدين،عالم الكتب،بيروت،1407هـ/1987م.

103. أبو شامة، عبد الرحمن إسماعيل(ت665هـ/1267م)،**الذيل على الروضتين**،وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،1422هـ/2002م.

104. ابن الشحنة، محمد بن كمال الدين(ت890هـ/1485م)،**الدرر في تاريخ مملكة حلب**، تقديم:عبـد الله الدرويش،دار الكتاب العربي،دمشق،1404هـ/1984م.

105 ـــــــــ **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر**، تحقيق:سيد محمـد فهمـي،دار الكتـب العلمية،بيروت،1417هـ/1997م.

106. ابن شداد، محمد بن علي(ت684هـ/1285م)،**الأعـلاق الخطيـرة فـي ذكـر أمـراء الشـام والجزيـرة**،تحقيـق:يحيـى زكريـا ، منشـورات وزارة الثقافـة فـي الجمهوريـة السورية،دمشق،1978م،(جزءان).

107 ـــــــــ **سيرة الملك الظاهر**،اعتناء:احمد احطيط،المعهـد الألمـاني للأبحـاث الشـرقية بيروت،1403هـ/1983م.

108. شلبي، محمود، **حياة الملك الظاهر بيبرس**،دار الجليل،بيروت،1412هـ/1992م.

109.الشهابي، قتيبة،معجم **ألقاب أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين**،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1415هـ/1995م.

110 ــــــــ معجم دمشق التاريخي،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1419هـ/1999م.

111.شوفاني، إلياس، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر الإسلام حتى سنة 1949م**،مؤسسة الدرسات الفلسطينية،بيروت،1416هـ/1996م.

112.الشوكاني، محمد بن علي(ت1255هـ/1839م)،**البدر الطالع بمحاسن القرن السابع**،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،(د.ت).

113.الشيزري، عبد الرحمن(ت589هـ/1193م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**،تحقيق:السيد الباز العريني،دار الثقافة،ط2،بيروت، 1401هـ/1981م.

114.الشيلي، فيصل، **بلاد الشام في ظل دولة المملوكية الثانية**،دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق،1428هـ/2008م.

115. صالح، يحيى من وفيات القرن 9هـ/15م، **تاريخ بيروت**،أشرف على تحقيقه،فرنسيس هورس اليسوعي،دار المشرق، بيروت،1969م.

116.ابن صصرى، محمد (ت800هـ/1397م)،**الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية**،عني بتحقيقه وترجمته ونشره:وليم م. بربنز،مكتبة بولدليان،اكسفورد،(د.ت).

117.الصفدي، الحسن بن أبي محمد(ت717هـ/1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**:تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،صيدا 1423هـ/2003م.

118.الصفدي، خليل بن أيبك(ت764هـ/1363م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**،تحقيق:علي أبو زيد وخليل أبو عمشه،دار الفكر المعاصر،بيروت،1418هـ/1998م،(6 أجزاء).

119 ـــــــ **أمراء دمشق في الإسلام**،دار الكتاب الجديد،ط2،بيروت،1403هـ/1983م.

120 ـــــــ **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب**،تحقيق:زهير حميدان الصمصام،منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية،دمشق،1412هـ/1992م،(6 أجزاء).

121 ـــــــ **الوافي بالوفيات،تحقيق:**أحمد الارناؤوط ،دار إحياء التراث العربي،بيروت 1420هـ/2000م،(29 جزء).

122.ابن الصيرفي، علي بن داود(ت900هـ/1494م)، **أنباء الهصر بأبناء العصر**، تحقيق:حسن حبشي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1422هـ/2002م .

123 ـــــــ **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان**، تحقيق:حسن حبشي،مطبعة دار الكتب،(د.م)،1973،(3 أجزاء).

124.ضومط،أنطون خليل،**الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري**،دار الفكر،عمان،(د.ت).

125.الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ/922م)،**تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق:أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،ط2،القاهرة،1970،(11 جزء).

126.الطراونة،طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**،منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت،1401ه/1981م.

127.طرخان،إبراهيم، **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،1968م.

128.طقوش، محمد، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1،القاهرة،1428ه/2008م.

129.طلس،أسعد، **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، منشورات المعهد الفرنسي،دمشق،(د.ت).

130. ابن طوق،أحمد شهاب الدين (ت908ه/1502م)،**التعليق "يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق**"،المعهد الفرنسي للدرسات العربية،(د.م)،1421ه/2000م (4 أجزاء).

131. ابن طولون، محمد بن علي(ت953ه/1546م)، **أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**،تحقيق: محمد أحمد دهمان،دار الفكر،ط2،دمشق،1404ه/1984م.

132 ـــــــــ **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**،تحقيق، محمد أحمد دهمان،مكتب الدراسات الإسلامية،دمشق،1368ه/1949م،(جزءان).

133 ـــــــــ **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**،وضع حواشيه:خليل منصور،دار الكتب العلمية،بيروت،1418ه/1998م،(جزءان).

134 ـــــــــ **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق: محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان،مراجعة:نزار أباظة،دار الفكر المعاصر،بيروت، 1412ه/1992م.

135.العارف،عارف باشا،**تاريخ القدس**،دار المعارف،ط2،القاهرة،(د.ت).

136 ــــــــــــــ **قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس**،مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية،القدس،(د.ت).

137 ـــــــــــــ **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت،1406هـ/1986م.

138.عاشور، سعيد عبد الفتاح، **الأيوبيين والمماليك في مصر والشام**،دار النهضة العربية،بيروت،1406هـ/1986م.

139 ــــــــــــــ **العصر المماليكي في مصر والشام**،دار النهضة،القاهرة،1976م.

140 ــــــــــــــ **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**،دار النهضة العربية،بيروت،1422هـ/2002م.

141.عاشور،فايد،حماد،**العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**،دار المعارف،القاهرة،(د.ت).

142.عامر،سامية،**الصليبيون في فلسطين**،**بلاد الشام**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بور سعيد،1422هـ/2002م.

143.العبادي،أحمد مختار،**تاريخ الأيوبيين والمماليك**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،(د.ت).

144.**ابن** عبد الباسط، خليل بن شاهين(ت920هـ/1514م)، **نيل الأمل في ذيل الدول**،تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،بيروت، 1422هـ/2002م.

145.عبد الحميد، صلاح محمد، **الزلازل**،مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع،القاهرة،1428هـ/2008م.

146. ابن عبد الظاهر، محمد بن علي(ت692هـ/1292م)،**تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**،تحقيق:مراد كامل،مراجعة:محمد علي النجار،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،الجمهورية العربية المتحدة،1961م.

147.عبد المنعم، صبحي، **الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين**،دار صادر بيروت،1425هـ/2005م.

148 ـــــــ **المغول والمماليك السياسة والصراع**،دار الجليل،بيروت،1428هـ/2008م.

149.ابن العبري، غريغويوس أبو الفرج(ت685هـ/1286م)،**تاريخ الزمان**، نقله إلى العربية:إسحاق أرملة،قدم له: جان ووريس فييه،دار المشرق،بيروت،1406هـ/1986م.

150.ـــــــــ **تاريخ مختصر الدول**،وقف على تصحيحه وفهرسته:أنطوان صالحاني اليسوعي،دار الرائد،ط3،اللبنان،1415هـ/1994م.

151. عثامنة، خليل، **فلسطين في العهد الأيوبي والمملوكي**، دار الفكر المعاصر،بيروت،1428هـ/2008م.

152. العجلوني، إسماعيل بن محمد(ت1087هـ/1676م)، **تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة** اعتناء:سفيان بن عايش بن محمد،دار ابن الجوزي،عمان،(د.ت).

153. ابن العراقي،أحمد بن عبد الرحيم(ت826هـ/1422م)،**الذيل على العبر في خبر من غبر**،تحقيق:صالح مهدي سليمان،مؤسسة الرسالة،بيروت،1409هـ/1989م،(جزءان).

154.ابن عربشاه، أحمد(ت854هـ/1450م)، **عجائب المقدور في أخبار تيمور**،تحقيق:أحمد فايز الحمصي،مؤسسة الرسالة،بيروت،1406هـ/1986م.

155.العريني، السيد الباز،**المماليك**،دار النهضة العربية،بيروت،(د.ت).

156.ابن عساكر،علي بن الحسن(ت571هـ/1175م)،**تاريخ مدينة دمشق**،دراسة وتحقيق:عمر غرامه العمري،دار الفكر،بيروت 1428هـ/2008م،(80 جزء).

157.العسقلاني،شافع بن علي(ت730هـ/1329م)،،**الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور**،تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،بيروت،1418هـ/1998م.

158.العصامي،عبد الملك بن حسين(ت1111هـ/1699م)،**سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي**،تحقيق وتعليق:عادل أحمد عبد الموجود،وعلي محمد عوض،دار الكتب العلمية،بيروت 1419هـ/1998م،(4 أجزاء).

159.عطا الله محمود علي، **نيابة غزة في العهد المملوكي**،دار الأفاق الجديدة،بيروت،1406هـ/1986م.

160.علي،وفاء أحمد،**جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين**،دار الجليل،بيروت،1428هـ/2008م.

161.ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد(ت1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،تحقيق: محمود الاناؤوط، دار ابن كثير،دمشق، 1413هـ/1993م،(10 أجزاء).

162.ابن العميد، جرجس(ت672هـ/1272م)،**أخبار الأيوبيين**، تحقيق: كلود كاهن، مجلة المعهد العلمي، دمشق،1958م.

163.أبوعيانة،فتحي أحمد،**جغرافية السكان**،دار النهضة العربية،ط3،بيروت،1406هـ/1986م.

164.العيني،بدر الدين محمود(ت855هـ/1451م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر**،تحقيق:هانس ارنست،دار إحياء الكتب العربية،(د.م)،(د.ت).

165________. **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد"شيخ المحمودي"** ،تحقيق:فهيم محمد شلتوت،مراجعة:محمد مصطفى زياده،دار الكتب المصرية،ط2،القاهرة،1418هـ/1998م.

166 ________ **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**،تحقيق:محمد محمد أمين،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1412هـ/1992م،(3 أجزاء).

167.أبو غازي، عماد، **تطور الحياة الزراعية زمن المماليك الجراكسة**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،(د.م)، 1420هـ/2000م.

168.الغزي، كامل بن حسين(ت1351هـ/1933م)، **نهر الذهب في تاريخ حلب**،المطبعة المارونية،حلب،(د.ت)،(3 أجزاء).

169.غوانمة،،يوسف درويش، **التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي**،دار الفكر للنشر والتوزيع،ط2،عمان، 1402هـ/1982م.

170________ **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**،دار الحياة،عمان.

171 ـــــــــ **دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي**،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،1403هـ/1983م.

172 ـــــــــ **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،1410هـ/1990م.

173.فاخوري، عبد الباسط أفندي، **تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام**،دار الأفاق العربية القاهرة،1419هـ/1999م.

174.ابن فارس،أحمد بن زكريا،**معجم المقاييس في اللغة**،تحقيق:شهاب الدين أبو عمر ،دار الفكر للطباعة والنشر،(د.م) 1413هـ/1993م .

175.الفاسي،محمد(ت832هـ/1429م)،**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**،تحقيق:محمد حامد الفقي،مؤسسة الرسالة،1406هـ/1986م، (8اجزاء).

176.أبو الفداء، إسماعيل بن علي(ت732هـ/1331م)،**تاريخ أبي الفداء المسمى"المختصر في أخبار البشر**"،علق عليه ووضع حواشيه:محمود ديوب،دار الكتب العلمية،بيروت 1417هـ/1997م،(جزءان).

177 ـــــــ **التبر المسبوك**،تحقيق:محمد زينهم،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1415هـ/1995م.

178 ـــــــــ **تقويم البلدان**،اعتنى بتصحيحه وطبعه:رينود والبارون ماك كوكين ديسلان دار الطباعة السلطانية،باريس،1850م.

179.ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم(ت807هـ/1404م)، **تاريخ ابن الفرات**:

أ ــ ج7، تحقيق:قسطنطين زريق، ونجلا عز الدين،(د.ن)،(د.م)،(د.ت).

ب ــ ج8، تحقيق:قسطنطين زريق، ونجلا عز الدين،(د.ن)،(د.م)،(د.ت).

ج ــ مج9،ج1،تحقيق:قسطنطين زريق،المطبعة الاميركانية،بيروت،1936م.

180.أبو الفضائل،المفضل(ت بعد 759هـ/1358م)،،**النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، samira kortantamer agypten und syrain zwischen 1317 in der chronik des muffaddal b.abe fada il Klaus Schwarz verlag Freiburg im breis gau 1973

181.ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى(ت749هـ/1349م)،**التعريف بالمصطلح الشريف**،تحقيق: محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،1408هـ/1988م.

182 ـــــــــ **دولة المماليك الأولى**،دراسة وتحقيق:دوروتيا كرافولسكي،المركز الإسلامي للبحوث،بيروت،1407هـ/1986م.

183ـــــــــ **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين**، دراسة وتحقيق:دوروتيا كرافولسكي،المركز الإسلامي للبحوث،بيروت،1406هـ/1985م.

184 ـــــــــ **مسالك الأبصار في ممالك الأقطار**،تحقيق: إبراهيم صالح،المجمع الثقافي،ابوظبي،1423هـ/2003م.

185.ابن الفقيه،أحمد بن محمد(ت340هـ/951م)، **مختصر كتاب البلدان**،ليدن،بريل،(د.ت).

186.قاسم،عبده قاسم، **الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،(د.م).(د،ت).

187 ـــــــــ **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك**،دار المعارف،ط2،القاهرة،1403هـ/1983م.

188.ـــــــــ **عصر سلاطين المماليك**،دار الشروق،القاهرة،1415هـ/1994م.

189. ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد (ت851هـ/1447م)، **تاريخ ابن قاضي شهبة**،تحقيق: عدنان درويش،المعهد العربي العلمي الفرنسي للدرسات العربية،دمشق،(د.ت)،(4 أجزاء).

190.القرشي، أبو زيد محمد، **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق:علي محمد البجاوي،نهضة مصر للأبحاث والنشر والتوزيع،(د.م)،(د.ت).

191.القرماني،أحمد بن يوسف(ت1087هـ/1676م)،**أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**،تحقيق:أحمد احطيط،عالم الكتب،(د.م)،1412هـ/1992م.

192.قساطلي، نعمان، **الروضة الغناء في دمشق الفيحاء**،دار الرائد العربي،ط2،بيروت 1402هـ/1982م.

193.القلانسي، حمزة بن أسد(ت555هـ/1160م)،**ذيل تاريخ دمشق**،تحقيق:سهيل زكار،دار حسان للطباعة والنشر،دمشق،1403هـ/1983م.

194.القلقشندي، عبد الله بن أحمد(ت821هـ/1418م) **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1407هـ/1987م.الكتب،بيروت،(د.ت).

195ـــــــــ **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**،تحقيق:إبراهيم الابياري،دار الكتاب اللبناني،ط2،بيروت،1402هـ/1982م.

196 ـــــــــ مــآثر الأنافــة فــي معــالم الخلافــة،تحقيــق:عبــد الســتار أحمــد فراج،عــالم الكتب،بيروت،1964م،(3 أجزاء).

197.الكتبي، محمد بن شاكر(ت764هـ/1362م)،**عيون التواريخ**،تحقيق:فيصــل الســامر،ونبيلة عبــد المنعم داود،دار الرشيد للنشر،الجمهورية العراقية، 1400هـ/1980م.

198 ـــــــــــــ **فـــوات الوفيـــات والـــذيل عليهـــا**،تحقيـــق:إحســـان عبـــاس،دار صادر،بيروت،(د.ت)،(4أجزاء).

199.ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، **البدايــة والنهايــة**،تحقيــق:مصــطفى بــن العدوي،دار ابن رجب،(د.ت)،(14 جزء).

200.كحالة،عمر، **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين القديمة والحديثــة**،دار العلــم للملايين،،بيروت،1968م.

201.كرد، محمد علي،**خطط الشام**،مكتبة النوري،ط2،دمشق،(د.ت)،(6 أجزاء).

202.ابن كنان، محمد بــن عيســى(ت1153هـ/1740م)، **حــدائق الياســمين فــي ذكــر الخلفــاء والسلاطين**،تحقيق:عباس صباغ،دار النفائس،(د.م)،1412هـ/1991م،(جزءان).

203.ـــــــــــ"**نيابتا دمشق وحلب" من كتاب المواكب الإسلامية**،تحقيق:بندر محمد الهمذاني،جامعة أم القرى،1424هـ/2004م.

204.لابيش، أحمد وزميله، **معالم دمشق التاريخية**،منشورات وزارة الثقافة،دمشق1423هـ/2003م.

205.الماوردي،علي بن محمد(ت450هـ/1058م)،**الأحكام السلطانية**،تحقيق:أحمد جـاد،دار الحـديث القاهرة،1426هـ/2006م.

206.مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**،المكتبة العلمية، طهران،(د.ت)،(جزءان).

207.مصيلحي،فتحي محمد،**الجغرافيا البشرية المعاصرة**،دار الإصلاح،ط2،الدمام،1404هـ/1984م.

208.مغني، عبد الحليم،**شعراء الصعاليك منهجه وخصائصه**،المكتبة العصرية،صيدا،1426هـ/2005م.

209.ابن المغيزل، علي عبد الرحيم(ت701هـ/1300م)، **ذيل مفـرج الكـروب فـي أخبـار بنـي أيوب**،تحقيق:عمر عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،صيدا،1425هـ/2004م.

210.مقـامي نبيلـة، **فـرق الفرسـان الرهبـان فـي بـلاد الشـام**،دار الكتـب العلمية،ط2،بيروت،1427هـ/2007م.

211.المقدسي، محمد بن أحمد(ت390هـ/999م)،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقـاليم**،تحقيـق:غـازي طليمات،وزارة المعارف والإرشاد القومي،دمشق،1401هـ/1980م.

212.المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ/1441م)،**إغاثة الأمة بكشف الغمة**،قام بنشره:محمد مصطفى زيادة،وجمال الدين الشيال،مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر،ط2،القاهرة،1957م.

213 ـــــــــ **الأوزان والأكيال الشرعية**،تحقيق:سلطان بن هليل بن عيد المسـمار،دار البشـائر الإسلامية،(د.م)، 1428هـ/2007م.

214 ـــــــــ **الخطـط المقريزيـة**،تحقيـق:محمـد فهيم،ومديحـه الشـرقاوي،مكتبة مـدبولي القاهرة،1418هـ/1998م،(3 أجزاء).

215 ـــــــــ **درة العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**،تحقيق:محمود الجليلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1423هـ/2002م،(4 أجزاء).

216 ـــــــــ **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**،تحقيق:جمال الدين الشيال،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،1420هـ/2000م.

217 ـــــــــ **السلوك لمعرفة دول الملوك**،تحقيق:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية بيروت،1418هـ/1997م،(8 أجزاء).

218 ـــــــ **المقفى الكبير**،تحقيق:محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1411هـ/1991م،(8 أجزاء).

219.الملواني، يوسف بن الوكيل(ت1131هـ/1718م)،**تحفة الأصحاب لمن ملك مصر من الملوك والنواب**،تحقيق:محمد الشنتاوي،دار الآفاق العربية،القاهرة،1419هـ/1999م.

220.المنصوري، بيبرس الدوادار(ت725هـ/1325م)،**التحفة الملوكية في الدولة التركية"تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من648هـ ـــ711هـ**"، حققه وقدم له ووضع فهارسه:عبد الحميد صالح حمدان،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،1407هـ/1987م.

221. ـــــــــ **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة**،تحقيق:دُونَاد س.ريتشاردز،المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،بيروت،1419هـ/1998م.

222 ـــــــ **مختار الأخبار**،حققه وقدم له ووضع فهارسه:عبد الحميد صالح حمدان،(د.ن) (د.م)،1413هـ/1993م.

223.ابـــن منظور،محمـــد بـــن مكـــرم (ت711هـ/1311م)، **لســـان العـــرب**،دار صـــادر،ط3 بيروت،(د.ت)،(15 جزء).

224.ابن منكلي، محمد، **الأدلة الرسمية في التعابير الحربية**،(ت784هـ/1382م)،تحقيق:محمد شـيت خطاب،المجمع العلمي العراقي،ط1408هـ/1988م.

225.مؤلف مجهول(ت742هـ/1341م)،**تاريخ سلاطين المماليك**،تحقيق:زيتر ستين،ليدن،1919م.

226.مؤلف مجهول(ت852هـ/1448م)،**تاريخ الملك الأشرف قايتباي**، تحقيــق:عمــر عبــد الســلام تدمري،المكتبة العصرية،صيدا،1424هـ/2003م.

227.الميناوي، محمد عبد الرؤوف(ت1031هـ/1622م)،**النقود والمكاييل والموازين**،تحقيــق:رجــاء محمود السامرائي،دار الرشيد،بغداد،1401هـ/1981م.

228.النابلسي، عبد الغني إسماعيل(ت1143هـ/1731م)،**الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز المعروف برحلة عبد الغني النابلسي**،تحقيق:رياض عبد الحميــد،دار المعرفــة،(د.م) 1410هـ/1989م.

229.نصر الله، سعدون، **رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوســطى**،دار النهضــة العربيــة للطباعة والنشر،بيروت،1416هـ/1995م.

230.النعيمي،عبد القادر بن محمد(ت978هـ/1570م)،**الدارس في تاريخ المدارس**،أعدّ فهارسه:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت 1410هـ/1990م،(جزءان).

231.نوار،صلاح الدين محمد،**الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية**،منشآت المعارف،(د.ت).

232.النويري، أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،تحقيق:نجيب مصطفى فواز،وحكمت كشلي فواز ،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1424هـ/2004م،(33 جزء).

233. النويري، محمد بن قاسم(ت775هـ/1372م)،**الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**،تحقيق:عزيز سوريال عطية،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،الهند،1393هـ/1973م،(12 جزء).

234.ابن واصل،محمد بن سالم(ت697هـ/1298م)،**مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**،تحقيق:عمرعبد السلام تدمري،المكتبة العصرية،صيدا،1425هـ/2004م.

235.ابن الوردي،عمر أبي حفص(ت749هـ/1348م)،**تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي**،منشورات المطبعة الحيدرية،النجف،(د.ت)،(جزءان).

236.الوقاد، محاسن محمد ،**الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1419هـ/1999م.

237.وهبه، مصطفى،**موجز تاريخ الحروب الصليبية**، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع،المنصورة،1418هـ/1997م.

238.اليافعي،أبو عبد الله بن أسعد(ت759هـ/1358م)،**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**،وضع حواشيه:خليل منصور،دار الكتب العلمية،بيروت،1417هـ/1979م،(4أجزاء).

239.اليعقوبي،أحمـــــد بـــــن أبــــي يعقـــــوب(ت282هـ/895م)،**تـــــاريخ اليعقـــــوبي**،دار بيروت،لبنان،1400هـ/1980م،(جزءان).

240.أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم(ت182هـ/798م)،**الخراج**،المطبعة السلفية،(د.م)،1968م.

241.اليوسفي، موسى محمد (ت759هـ/1358م)،**نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**،تحقيــق:أحمــد احطيط،عالم الكتب،بيروت،1406هـ/1986م.

242 .اليونيني، موسى بن محمد(ت726هـ/1326م)،**ذيل مرآة الزمان**،تحقيق:حمزة أحمد عباس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،أبوظبي،(د.ت)،(3 أجزاء).

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

1. أعرج، سميح، **الشخصية الإسلامية في شعر العصر المملوكي**، رسالة دكتوراه دراسة مشتركة بين جامعة الأقصى وجامعة عين شمس، فلسطين، مصر، 2008م.

2. حجازي، فايزة عبد الرحمن، **أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**، رســالة ماجستير، إربد، اليرموك، 1992م.

3. حمد، فيصل، **الأسواق الشامية في العصر المملوكي**،رسالة ماجستير، جامعــة اليرمــوك، إربــد 1992م.

4.خرابشة،ســليمان ،**مملكــة طــرابلس فــي العهــد المملــوكي**، رســالة ماجســتير، الجامعــة الأردنية،عمان،1985.

5. خصاونة، حسين، **طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 1992م

6.داود،فريد طريف،**مدينة حلب في العصر المملوكي الأول**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية،عمان،.1980

7.الزربا،فريال بدوي،**الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية،عمان،.1980

8. أبو زيتون، إيمان، **المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير إربد،اليرموك، 1998م.

9.شطناوي،محمد،**دولة المماليك الأولى في مصر والشام في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد،2001م.

10.شفيق،عواد عرار،**سكان فلسطين في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت،فلسطين،2003م.

11. صافي، سعيد، **مدينة الخليل في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك إربد1996م.

12. صلاح، محمد حمزة،**الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر(491 ـ 923 هـ ـ1097ـــ 1517م)**،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية،غزة،2009م.

12. العضايلة، فراس، **أسباب ومظاهر تلف منزل الأمير في قلعة الكرك**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، 2004م.

13. مقابلة، إيمان، **القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك إربد 1998م.

14. مكاحلة، نهى، **الزراعة في بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد 1992م.

15. ناصر،عامر، **الحياة الزراعية في مصر زمن الدولة المملوكية الثانية**، رسالة دكتوراه،الجامعة الأردنية،عمان،1998م.

رابعاً: الدوريات :

1. إبراهيم، رائد، **رحلة حظيرة الأنس إلى حضرة القدس لابن نباتة المصري دراسة موضوعية وفنية**، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية،مج1،ع 20، 2006م.

2. حمد، فيصل، **أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي** حوليات الآداب الاجتماعية، مجلة الرسالة، الحولية 28، الرسالة 272، 2008م.

3. ـــــــــــ **العوامل المؤثرة على تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول والثاني**، مجلة المنارة، مج14،ع2 2008م.

4. الخاروف،محمد،**وحدات الوزن وآلاتها عند المسلمين**، مجلة البحث العلمي، جامعة أم القرى،مج 1،ع 4، 1981م.

5. الخالدي، خالد، **الزلازل في بلاد الشام (من القرن الأول الهجري إلى الثالث عشر الهجري القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي)**، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية،غزة،مج 13، ع1، 2005م.

6. الريحاوي، عبد القادر، **خانات مدينة دمشق**، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، الجامعة الأردنية، مج 25،ع 12، 1975م.

7. صالحية، محمد، **ظاهرة الطرح والرمي في الاقتصاد المملوكي**، مجلة أبحاث اليرموك وسلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج4،ع9، 1993م.

8. ابن طولون، محمد، **ضرب الحوطة على جميع الغوطة**، مجلة المجمع العلمي، دمشق، مج21 ع12، 1946م.

9. ابن طولون، محمد، **وصف ربوع دمشق**، مجلة المجمع العلمي، دمشق،مج 2، ع5، 1922م.

10. الغنيم، عبد الله، **أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي**، مجلة المجمع العلمي العراقي،الجامعة الأردنية مج35،ع 4، 2002م.

11. غوانمة، يوسف، **التجارة الدولية في مناطق شرق الأردن (من جنوب الشام) في العصر المملوكي**، مجلة دراسات تاريخية، الجامعة الأردنية، مج **23**، ع11 1986م.

12. ــــــــــــ **الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الأردن وفلسطين في العصر المملوكي**، مجلة دراسات تاريخية، الجامعة الأردنية، العددان، 14،13،1983م.

13. يوسف، عبد الودود، **جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر**، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، الجامعة الأردنية مج23،ع2، 1973م.

خامساً: المصادر والمراجع الأجنبية:

ــ المعربة:

1. اشتور،الياهو، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**،ترجمة عبد الهادي عبلة،دار قتيبة،دمشق،1405هـ/1985م.

2. بولياك،أ،ن،**الإقطاعية في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين**،ترجمة:عاطف كرم، منشورات دار المكشوف، لبنان،1948م.

3. بيك،ج. فريدريك، **تاريخ شرقي الأردن وقبائلها**،تعريب: بهاء الدين طوقان،مكتبة النهضة،بغداد،(د.ت).

4. جورج،بيار،معجم المصطلحات الجغرافية،ترجمة:أحمد الطفيلي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ةالتوزيع،ط2،بيروت،1422هـ/2002م.

5. حتي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**،ترجمة كمال اليازجي،دار الثقافة،بيروت،1959م.

6. خسرو،ناصر،**سفر نامة**،ترجمة:أحمد الخشاب، تصدير:عبد الوهاب عزام،الهيئة المصرية للكتاب،ط2،القاهرة،1413هـ/1993م.

7. رانسيمان،ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**،ترجمة:الباز العريني،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1994م،(3 أجزاء).

8. زابوروف، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق**،ترجمة: الياس شاهين،دار القلم،موسكو،1406هـ/1986م.

9. زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**،ترجمة:محمد حسن بك،وحسن أحمد محمود،دار الرائد العربي،بيروت،1400هـ/1980م.

10. سـميث، جوناثـان رالـي، **الإسـبيتارية "فرسـان القـديس يوحنـا فـي بيـت المقـدس وقبـرص (1050-1310م)** ترجمة: صبحي الجابي، دار طولاس للدراسة والطباعة والنشر، دمشق، 1989م.

11. الصوري، وليم، **الحروب الصليبية**،ترجمـة:حسـن حبشـي،الهيئة المصـرية العامـة للكتـاب القاهرة،1412هـ/1992م،(3 أجزاء).

12. عطيه،عزيز سوربال،**الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب**،ترجمة:فيليب صابر سيف،دار الثقافة،ط2،القاهرة،(د.ت).

13. فيتري،يعقوب،**تاريخ بيت المقدس**،ترجمة وتعليق:سعيد البيشاوي،دار الشروق للطباعة والنشر،رام الله،1998م.

14. لابدوس،ايرا، **مدن إسلامية في عهد المماليك**،نقله إلى العربيـة:علـي ماضـي،الأهلية للنشـر والتوزيع بيروت،1407هـ/1987م.

15. لسترنج،كي،**بلدان الخلافة الشرقية**،نقله إلى العربية ووضع فهارسه:بشير فرنسـيس وكـوركيس عواد،مؤسسة الرسالة،ط2،بيروت،1405هـ/1985م.

16. ماير ، ل . أ ، **الملابس المملوكية**،ترجمة:صالح الشيني،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـاهرة 1972م.

17. مـوير ولـيم، **تـاريخ دولـة المماليـك فـي مصـر**،ترجمـة:محمـود عابدين،وسـليم حسـن،مكتبة مدبولي،القاهرة،1415هـ/1995م.

18. هنتس، فالتر، **الأوزان والمكاييل الإسلامية وما يعادلها في النظـــام المتـــري**،ترجمـــة:كامـــل العسلي،الجامعة الأردنية،عمان،1970.

ـ المراجع الأجنبية:

1. Gasquet, Francis Aidan, 1846-1929. **The great pestilence** London : S. Marshall, Hamilton, Kent.
2. Putnam, Bertha Haven, 1872-1960. **The enforcement of the statutes of laborers during the first decade after black death 1349-1359**, New York, Columbia university, Longmans, Green & co., agents:1908.
3. Moshe Sharoun, **The polictical Role of the Bedouins in Palestine in the sixteenth and seventh centuries, Studies in Islamic History, and civilization**, E.J Brill, Leiden. 1968.
4. smith, J.S. C, Riley, **Ayyubids, Mamlukes and Grusaers, Selection from the Turikh al-Duwal wa'l- muluk of ibn al-Furat,** university of cambrige, 1971
5. W .Dols, Michael, **The Black Death in The Middle East**, new, jersey, 1977.

Abstract

This study deals with natural disasters and their resulting effects in Cham during the Mamluk period (1517- 1250\ 922 – 648). The aim of this study is to identify the types of natural disasters that hit Cham in the era of the Mamluk age clarifying their effects and impact on various aspects of life

In the first chapter, the study addresses various natural disasters including earthquakes, and climate disasters such as floods, rain, snow, wind, drought, storms, frost, whirlwinds lightning and other and other disasters. In addition to the occurrence of agricultural lesions of pests such as locusts, mice and grasshoppers, and outbreaks of epidemics and plague which arranged from oldest to newest.

In the second chapter, the study shows the effects left by the natural disasters on the economic terms and the farmers adoption on agriculture, industry and trade to provide their needs.

In the third chapter, the study discusses the role of natural disasters in terms of political instability such as insecurity, disorder and stifle. In addition to the exploitation of the bandits and enemies of the Mamluk period to these disasters in order to assault the state sovereignty and implement their plans. The study also addresses the role of the Mamluk Sultanate offering in-kind and cash assistance to those affected and the reconstruction of the buildings destroyed by those disasters

In the fourth chapter, the study also mentions the impact of natural disasters especially the spread of social problems such as murder, begging, fraud, deceit and myths. It also analyses the changes of behaviors, habits and traditions resulted on people. The study also shows the effects of those disasters on people such as immigration, deaths and the demographic reality of the area. It also mentions the role of ordinary people against those natural disasters.

In the fifth chapter, the study also discusses the effects of those natural disasters on the religious and architectural aspects. Religiously, they disrupt worship in mosques and disable pilgrims convoy from reaching Hijaz. On the other hand, it shows the role of those disasters in leading people to more worship and repentance to God. Architecturally, the study also shows the effects of those natural disasters on the destruction of private and public buildings.